

# الربيع والخريف



رواية

حنّا مينة



دار الآداب

•  
وها وطناً بالحبّ تكسو أديمه  
فيحرمنا من رضاء ويمنعُ

الحقوق مفضولة

•  
إلياس أبو شبكة

الطبعة الأولى

حزيران (يونيه) ١٩٨٤

جلس في مقهى «ام كي» M. K. في شارع لينين ببودابست. كان وحيداً، غريباً، يراقب الناس والأشياء من حوله مراقبة فيها فضول، يازجه عدم اكتراث، كأنما قرر أن يكون لا مبالياً، ما دام يجهل البيئة واللغة وطرائق التصرف، في بلد ورت عن اميراطورية قديمة، كل نزعة الشعور المفرط بالذات، بالانتماء القومي، بالمهارة فيما يباشر من عمل، وفيما يصنع من مواد، أغذية، خمر، وبنين من جسر ذات مواصفات عالية، حتى أطلق المجرهون على أنفسهم، أو أطلق الآخرون عليهم، هذا اللقب الذي يحبون تردادده وسماحه: «بناء الجسور».

ولقد جاء جسرهم الملقب، على الدانوب الأزرق، تحفة فنية معمارية، وإن كان في بدايته، من طرفه «هست»، قد انخرقت استقامته قليلاً، لأن قبة كيسة أثرية قديمة، أثر المصممون، والبناء، وهيئة التخطيط كلها، ألا تفسر أبدأ، باعتبارها من مفاخر المدينة، وأطلقوا على الجسر اسم اليزابيت.

هذه المعلومات الأولية، التي عرفها عن الجسر، وبخاصة عن بودابست، ثم عاين بعضها منذ وصوله، كان قد حدثه عنها صديق مجري يدعى «هيدجي»، يعمل أستاذاً في جامعة بكن، وقد ذهب

إشارة إلى الصين، لتعليم اللغة الجهرية، وهناك التقى «كرم  
المجاهدي» الذي كان يعلم اللغة العربية أيضاً، فأحبب أحدهما  
الآخر، إذ كانا جارين، فجمعهما بناية واحدة، في مجمع سكني يبعد  
نصف ساعة عن المدينة، خصص لإقامة «الخبراء الأجانب» الذين  
جاءوا يساعدون الصين، في أوائل الستينات، وبعد التحرير  
بباشرة، في بنائها الاشتراكي، وإعداد الكوادر اللازمة لها في كل  
المجالات.

كانت هذه المدينة الصينية الصغيرة، التي أطلقوا عليها اسم  
«دروجيا» (الصدافة) أشبه ببرج بابل القديم، لا من حيث تعدد  
اللغات التي يتكلمها سكانها فقط، بل من حيث اختلاف جنسياتهم  
أيضاً، حتى لم يكن لأحدهم أن يتعرف إلى أخلاق وأمزجة وآراء  
بلدان كثيرة في العالم، من خلال معايشة السكان الوافدين منها،  
مادام الجميع يلتقي في المطاعم والمخيمات، والملاعب الرياضية،  
وحفلات المنوعات الفنية، وتخصيصاً في «داويرا بكين» التهمرة،  
إضافة إلى الحفلات الخاصة التي كانت تنظم في هذه البناية أو تلك،  
كثمنة لحظة السبت الراقصة في النادي الواسع.

كان هيدجي طويلاً، رمادي الشعر، أزرق العينين، موزن  
الوجه، له احناة خفيفة في كتفيه، ونظرات تحسبها تصدر عن  
زجاج لأع، وبدان لا تكفان عن التحرك وهو يتكلم الفرنسية  
ببطء: كأنه يمتحن بالإشارات، على نقل ما في رأسه من أفكار،  
بحيث تتكامل مع نظرات عينيه الرجائية، الزرقاء، وتضفي ثوباً  
من فرح طفولي على مظهره كله، عطفة إلى حد بعيد، من مفاخره  
القومية الجهرية التي تبدأ ولا تنتهي، كأنها يريد أن يفتح الدنيا بأن  
الجهر هي جنة الله على الأرض، وأنه يمثلها في الصين، وأن هذا

التشيل يرتفع عنده إلى مرتبة الواجب القومي الذي لا تساهل  
فيه، مهما كانت الظروف.

وكانت له زوجة تدعى «انيكو»، وابنة تدعى مثل اسمها  
أيضاً، بحسب التقليد الجهرى، ومن أجل التمييز يدعونها «أنا  
الصغيرة»، وصبي يافع اسمه غابور، وقد جاءت هذه العائلة  
الصغيرة إلى الصين، وفي خيالها تهاويل عن بلد العجائب، في الشرق  
الأقصى البعيد، بلد آلهة بوذا، والصور العظيم، والمهيرة الكبرى  
التي لا مثل لها في التاريخ، والمآيد والصوامع والقبور الأثرية  
لأسرة مينغ.

لكن هيدجي، مع اهتمامه الشديد برؤية الصين كلها، والتعرف  
إلى حضارتها الباذخة، والوقوف على أساليبها في البناء المجدد،  
كانت له هواية، حببها ما قرأه في المجلات المتخصصة بالآثار  
والمعادنات، قبل أن يأتي إلى بكين، وكان مصحاً، على نحو شديد،  
أن يكتشف، ويمتلك في الصين، أجل وأقدم ما يقع عليه من تحف،  
رغم أن ماله لا تساعد في ذلك، لمرتبه محدود، ولا يمكن أن يقوم  
تلازم بين «مرضه التحفي» ودخله للتواضع، بأي شكل. لذلك كان  
يحب الاقتصاد، إلى درجة تتجاوز العقول، وإذا اعترضت زوجته  
السيدة «انيكو» على سلوكه هذا، كان يقول لها ببساطة بالغة:

- تذكرني، يا عزيزي، أنني أنا الخبير هنا، وأنا الذي أصل،  
وأنك تعيشين من دخلي، وكل هذا فعلته لإطلاعك على هذه البلاد  
المعجبة، البعيدة، التي ما كنت تحلمين في الوصول إليها يوماً.  
وتجيبه السيدة انيكو:

- أفهم هذا... أفهم جيداً... لقد قلته مئات المرات، حتى

المريجة للشهر كله، إنلك يصيح:

- إلى الشيطان بكل ما تقولين.. إنني جنتلمان يا بكفي، وهذا ما لا أحتاج إلى تذكيرك به.. الحضارة، يا عزيزي، تاريخ طويل، وبالنسبة للمجر تاريخ طويل وعريق، وبصفتي مجرباً أصيلاً، فأنا نتاج هذه الحضارة.. لكن هذا موضوع آخر، ما يعني، الآن، هو جانب الاقتصاد، الحضارة، وإن شئت السياسة كلها، لا تفهم دون أساس اقتصادي.. صفواً.. لا تقاطعيني.. أعرف كل اعتراضاتك.. بمضمنا، حفظتها.. لكن هذا لا يمنع، ولا يلغي الحقيقة الموضوعية، التي لا دخل للمواقف فيها، وهي أنني أنا الخبير هنا، وأنا الذي ألتقي عليك وعلى الأسرة.. وأنت تعرفين، وتؤمنين أيضاً، أن القيسة، بعد كل شيء، هي للعمل.. هذا هو العيار.

- إذا كان هذا هو العيار، يا عزيزي، فمعني أنني، الآن، لا شيء.. وإذا أخذنا بقاعدة من لا يعمل لا يأكل، فمعني هذا أنك تصدق علي حتى بوجبات الطعام.. ألا ترى هذا شيئاً هزلاً حقاً..؟

- لا عجل في العلم يا أليكسو.. أنا أبسط حقائق علمية..  
- والمواقف الإنسانية؟ مواطن الزوج تجاه الزوجة؟  
- آه فهمت.. هذا بيت القصيد.. إنك تطالبين مواطن زوجية..

- علاقة زوجية قائمة على المحبة..

- بتعبير آخر، قائمة على الحب..

- هذا هو.. الحب.. مواقف الرجل تصرفاته، شهادته، كياسته في كل الظروف..

ملكته، لكن ذلك كله لا يمنع أن تحقّق من غلوائك التحفة اللينة هذه، وتيسّر لنا أن نعيش كالأحرار، ما دامت هذه فرصتنا، كما قلت قبل سفرنا، لنتمتع بعامين من «شهر العسل» حسب تعبيرك.  
- أولاً لننتقي ما هو شهر العسل هذا؟ ما هي مقوماته، ونتائج الحميدة، ومصادرها ودوافعها؟

- دعني من كلمة «أولاً» هذه التي تبدأ بها كل حديث.. في العلاقات الزوجية، لا يتكلمون كما في المحاكم.. أو في المفاوضات السياسية.. لا يقولون أولاً وثانياً في كل خطوة..

- وما يقولون إذن؟  
- ما أظنك تجهل.. تتنسى، كل لحظة، بالحضارة المجرية، بالثقافة الأوروبية، ولا تعرف كيف تدير حديثاً طيباً مع زوجتك.. قل كلمات لائقة، حتى بالنسبة إليك كأستاذ جامعي..

- أولاً.. آسف.. لنبدع أولاً هذه التي لا تحببها..  
- لا أطيقها أيضاً..  
- ولا تطيقها أيضاً..  
- وتسبب لي توتراً نفسياً..  
- وتسبب لك توتراً نفسياً..  
- قل ما تريد الآن.. قل به شكل تنسى معه أنك أنت الخبير هنا، وأنت أنت الذي تشتغل، وصاحب الدخل الوحيد في الأسرة، وكل هذه المقدمات التي تجمت على الفتيان..

هنا يجتهد السيد هيدجي، إحتشاده نابع من أنه لم يشرب بعد، فمن زجاجة من البيرة، أو إذا أسرف، زجاجة من النبيذ، يحدث اختلالاً، مهما يكن بسيطاً، فهو اختلال في موازنته المحسوبة بدقة،

- أنا، إسحق لي أن أقول هذا، كيف في كل الظروف...  
لكنك تريدني ما هو أكثر.. تريدني ما تريد كل امرأة، بعد  
الزواج..

- وما هو هذا الشيء الذي تريد للمرأة بعد الزواج؟  
- العشق أن يبقى الزوج عشيقاً إلى آخر العمر.. للمرأة تريد  
زوجها عشيقاً، فإذا ما انصرف عنها قليلاً، افتقدت عشقه لها،  
ورمته بافتراءات كاذبة..

- أرغى المباراة الأخيرة.. لاحظ أنها لا تناسب مع حديث  
بدور بين زوجين لا خصمين...

- أصراً على ما قلته.. المرأة تريد زوجها عشيقاً.. المرأة تطلب  
في الرجل عشيقاً أبدياً..

- وما الضرر في ذلك؟ ليس هذا صحيحاً، وضرورياً.. ويصدر  
من محبة، واحترام للذات..

- أرجوك.. إسحق لي.. المسألة هنا، لا تتعلق باحترام  
الذات بل بالأنانية..

- وماذا في ذلك.. الحب، إذا لم يكن أنانياً.. والحب، إذا لم  
يكن قبيحاً.. ماذا يبقى؟

كان كرم، الذي تدور هذه المحاورات بين السيدين هيدجي  
أمامه باللغة الفرنسية، وأحياناً، عند الشتم أو الإقذاع، بعبارات  
مجترية، يستشر غربة كاملة من نط التفكير هذا.. في الشرق لا  
تقوم معادلة اقتصادية صارمة فيما يتعلق بعمل الزوجين.. طبعاً  
الظروف في الغرب مختلف، والمرأة، منذ تعلمت وعملت، لم تبق  
عالة على الزوج في أوروبا، لكن الحب، بين الزوجين، يظل أسمى

من تعهد من يقدم وجبة الطعام.. مع ذلك فإن كلام السيد هيدجي  
على رغبة المرأة في أن يظل زوجها عشيقاً لا يجانب الحقيقة...  
المرأة، هذا الكائن الرائع، وحيث الشهور، بالغ الحساسية، تريد من  
الزوج أكثر مما هو بيت ولباس وطعام.. تشد الحب، العشق، حياة  
ما قبل الزواج، يوم كانت كلبات الغزل، تشكل قاموس الكلام، في  
أي لقاء بين مخلوقين متقدمين على بناء حياة مشتركة.. لكن هيدجي،  
بسبب مرضه ولتحمي بهذ أذنيه عن مثلات كهذه، ويرفض  
الاعتراف حتى بحق انيكو في أن تذكرها له، أن تطالب بها.. فإذا  
ما حاصرتها، وأحدثت المناقشة، راح يصرخ:

- إلى الشيطان، عودي إلى بودابست.. دعيني وحدي، إنني،  
بعد كل شيء، أقوم بواجب تربيوي، ولي مهمة ثقافية هي الاطلاع  
على حضارة الشرق الأقصى، على أسرار الديانات، على حكمة  
الحكماء، وكل ألوان الثقافات القديمة والحديثة. ذلك أنني أضع  
كتاباً هو أمل حياتي..

تقول السيدة هيدجي، عندئذ، وهي تحافظ على رباطة جأش  
بالغة:

- أفهم طموحك الثقافي هذا يا عزيزي.. لكن ما همكر صنفوك  
ليس أنني أطلب أن تظل عشيقتي، حسب تعبيرك، بل إنني أطلب  
أن نتناول وجبتنا كاملة.. إنني، بعد كل شيء، أأثدق الطعام  
الصيني.. قل أنتلذ به..

- ذلك أنك أدمنت..

- وكيف ذلك..؟

- الطعام الصيني، مثله مثل المختر، يحمل من يتناوله على

الإدمان.. وضد هذه الآفة ينبغي أن نكافح.. لا إدمان؟ هذا هو شعاري.. نحن لا نستطيع، في يودايت، أن نغرس هواية الطعام الصيني، هذا الترف الزائد.. إلى الشيطان بكل المطاعم الصينية.. إنها منتشرة في أوروبا كلها.. وماذا تقدم، مقابل أسرارها الخيالية؟ أصنافاً من طعام برع الصينيون في إعدادها.. إنها، باختصار، تحذر الزبائن وتبتزهم.. ولن أعطي، أنا، لهذا الابتزاز.. لن أطلب، في أيها وجبة سوى نصف طبق..

- وبمن النصف الآخر، نبتاع تحفة.. إنه حساب جميل.  
- جميل أو قبيح، لا فرق.. المهم أن تضفي في حسابك أتى هنا في مهمة ثقافية..

ولأجل هذه المهمة الثقافية، فرض السيد هيدجي على عائلته أن تقتصد.. ربما كانت حكاية نصف الطبق هذه مثلاً على منعه في الاقتصاد، ولم تطبق في أي يوم، لكنه كان يذكرها، كدعوة لكبت الشهوات. وقد اضطرت العائلة، أمام مناهه، أن تخضع خضوعاً لا مناص منه، وأن تجاري حساباته الدقيقة، بحيث لا تفسد موازنة التحف، ولو بقي، هو بالذات، محروماً من كأس النبيذ الذي يشتهي.

وكان كرم، الذي جاء بكين قبل السيد هيدجي، ومكث خمس سنوات متواصلة فيها، يشير شهية الزوجين، في التجاهين متضادين: يسرف في الكلام على الطعام الصيني، على مهارة الطباخين الصينيين، الذين بلغ من أمر المائلات الاقطاعية، في صين ما قبل التحرير، أنها كانت تصطنعهم وتورثهم أباً عن جد.. فقد كان للمائلة طبّاخها الخاص، أطباخها الخاصة، وكانت كل عائلة تحافظ على أسرار مطبخها، وتقاخر، في الولائم، بما تقدم من

أصناف، تختص بها وحدها.. كذلك يسرف في الكلام على التحف الصينية، هذه التي يأتي خبراء وتجار الماديات لشرائها، باعتبارها ثروة فنية، لا توجد إلا في الشرق الأقصى، والأصلي منها، بالغ الندرة، وبشكل تراثاً حضارياً لا يقدر بثمن..

وأمام هذا الإغراء المزدوج، للطعام والتحف، كان يضعف الزوجان الصديقان أكثر فأكثر. يصيبها ولع جنوني، يصطدم أبداً بفقدان الأسكوانية، فيحل الإحباط، ويصبح الحب، والجنس، وكل روابط الروح، في خلفية الأشياء تماماً، وعندئذ، في ممرسة شرقية هواية السخاء، يتقدم كرم باقتراح بسيط:

- ماذا، يا صديقي، لو قبلنا دعوتي؟

تنظر، السيدة هيدجي، من مجلسها بوقار. هي لا تتحدث عن المراقبة المهرية بل تعيشها، تفضل، تمسكاً بالتأني الذاتي، الذي لا تتخلى عنه حتى في أخذ مقعدها، أو عند تقبل كأس أو سبكارة، أن تترك كنفها.. إنها قادرة، حيال تصرفات زوجها، أن تخرجه من عواطفها، لكنها ليست على استعداد، مقابل أية دعوة، أن تدخل أي شخص إلى هذه العواطف أيضاً. وقد فهم كرم هذا المنحى الخلفي فيها، وأثبت لها، من خلال تصرفه، أنه لا يرغب في شيء، وأن دعوته منزلة عن شوائب كهذه.... وهذا ما جعلها تميل إليه، تودّه، تصادقه، ترغبه أيضاً، لكن دون أن يتطور ذلك إلى علاقة.... وربما، في الاستشارة، عندما تتشأن الأنثى، كانت تريد، لكنه، هو، كان لا يريد.. إنه مريض على طريقته، مريض بحبسه إلى الوطن، وحبسه إلى الجهول، إلى غداً بعيد قادم، معهم، يأتيه في نهاراته، ولياليه، وأحلامه، ويقتطعه، ويدعوه إلى الرجوع، إلى مساقاة الشوق في ذات هي شطر من ذاته قدّتها يوماً لا يدري

أين، في أي زمن أو أي تاريخ. وكان يعلم، بدافع من يقين لا يقل غموضاً وإلهاماً، أنه سيلتقي هذه الذات، هذا النطر الضائع، وأن القدر يمدّه لمفاجأة كبيرة، وأن الرياح التي حلتها بانغماس أقصى الشرق، ستحمّله، يوماً، بانغماس أدناه، وهناك، في مدينة في بلدة، في قرية، في خرائب معبد، في قاع واد، في غابة، سهل، ضفة نهر، شاطئ، بحر، سيلتقي شطره الضائع.

من أجل ذلك كانت دعوته تحمل حجمها فقط، هدفها المباشر فقط، دون غرض، ودون مقابل، سوى أن ينعم بصحبة هذين الصديقين، وأن يشهد نقاشاتها، ثم يشهد، في عارسة تمهيد نفسه للآخرين، كيف يتصرفان به، وماذا يقولان له، وأية انعطافات فكرية، خيالية، تجريدية، عند زوج يرفض أن يكون عشيقاً، أن يبقى عشيقاً، وأن يمارس هذا الواجب الذي خلا من أي اندفاع ذاتي، ما دامت الاندفاعات الذاتية في العشق تتناقص، وتتآكل، تدريجياً، بعد الزواج.

ومقابل لحفظ الزوجة، ترغّبها، ترُدّها، يبدو الزوج، هيدجي، طفلاً طيباً، يريد أن يلتقي الدعوة، وهو لا يداور، ولا يستردد، في قبولها رأساً، وبكلمة شكر قلبية، بينما حينئذ الزاججيتان، الزرقاوان، ثلثمان بحيث يريده، حيث من يعرف ما يريد، ويندفع للحصول عليه اندفاعاً طفلاً إلى دمية، لذلك كان يجب صراحة:

- بالنسبة لي، يا عزيزي كرم، لا مانع لديّ من قبول الدعوة... وأحسب أن أنيكو لا ترفض أن تصنع لها بهجة صغيرة... برغم أنني، في تقرير أمر خاصّ كهذا، أترك لها حرية التصرف... إنها، بعد كل شيء، تستمتع بالحديث عن أحاسيب هذه البلاد... ويسعدنا أن

تكون معنا.. وأن تتناول قهصاً صغيراً. من هذا الشراب الذي يسمونه «ماوتاي»...

- لكن السيد كرم، تقول أنيكو، يكلف نفسه، حيالنا، أكثر مما ينبغي.. (وتنظر إليه نظرة خاصة ثم تضيف): وفي المقابل، كيف أقول؟

- يا عزيزي، أرجوك.. لا تقولي شيئاً.. إنني أكون حيداً مع كرم، وهذه هي المسألة.. أنا لا تعني كثيراً، الجوانب المادية من الدعوة.. هناك ما هو أهم.. هناك..

وتضحك أنيكو:

- الجانب الثقافي.. أليس كذلك؟..

- ليس تماماً.. خبرة كرم من الحياة في الصين.. كلامه على الآثار، على الأساطير..

وتضحك أنيكو ثانية:

- وعلى التحف.. قلها يا عزيزي.. كن صريحاً..

ويقول كرم:

- أنا نفسي بطيب لي الكلام عليها.. إذا كان هذا لا يضاهيك.. أين نذهب؟ إلى المطعم.. أم إلى البار؟

ويجد هيدجي فرصته:

- إلى البار أولاً.. ولكن، يا صديقي، هذا ما يسمونه باراً «هنا»... عندنا مثلاً..

يقولها بالفرنسية: *chez nous par exemple* ويظل، طوال الجلسة، يردد عبارته: «عندنا مثلاً» لا يقول عندنا في الجمر.. يدع لجليه أن يفهم ما يعني.. ففي الدنيا مكان واحد، هو الجمر، وهذا المكان،



بالنسبة لهيدجي، هو «عندنا» وبعد ذلك نقطة النهاية.

وها هو كرم أخيراً، في المجر...

إنه سعيد في مجله يقضى «أم كي» في الشارع الرئيسي من بودابست.. وقد قال في نفسه «أستطيع بعد اليوم أن أكتشف، وأثبت، من عبارة «عندنا مثلاً»، هذه التي عنت لي، قبل الهبة، أشياء كثيرة، من قطعة البيفتيك إلى زجاجة النبيذ، إلى اللقمة، مروراً بكل ما خلق الله من أشياء، كان هيدجي يقضي عليها طابعاً آسراً من الرؤية الخاصة، ليجرد أن تكون مجردة».

ولقد اعترف، وهو يتذوق قهوة الاكسبرسو، أنها لذيدة تماماً، وأنها تنطبق على «عندنا مثلاً» بشكل كامل. وحين أشعل سيكارة جديدة، من عليه «الكت» الموضوعة على المائدة أمامه، رغب بفنجان ثانٍ، على خلاف الزبائن، الذين يكتفون بطلب واحد، هو المقرر من القهى مقابل الجلوس فيه. ذلك أن كرم يتجاوز المألوف دائماً.. يتجاوز دون تمتد. يفعل ذلك عفواً، دوناً ميل إلى التشوف، أو نزعة إلى الإدهاش، أو حتى ممارسة أي نوع من التمييز، أو التظاهر بذلك، بفعله لأنه ما يروق له، وما يجب أن يكون، أو ما يلبي الطمئناناً في أحاسيسه القلقة، الساغبة، الباحثة. ابدأ من ظل يرف عليها، أو لفنة ترتاح لها، أو تصرف، فيه تدبر من المتعة، حتى في الحفاقة التي يتبدى فيها.

كان ذلك بعد ظهر الأحد. في الساعة الخامسة تماماً، الساعة الأمل من مساءات الصيف، وكان القهى مزدحماً، وجل الزبائن من الشباب، وشبه ما حلوا، متنق، مضاء بفرحة لقاء جديد، بعد سهرة مائتة، يلوح على الوجوه، والمجالسون إلى موائد ملوثة، رشيقة، مستديرة، يشكلون مثلثات وزوايا، وهم يتحدثون بغير

انقطاع، ويغير تحفظ، بأصوات رخيصة، مزقزقة، تعطي لغتهم الغريبة، للفرقة من لغات الشرق والغرب، نكهة خاصة، هي تماماً نكهة «عندنا مثلاً» التي تحسها «هيدجي» تلخيصاً رالمأ.

وكانت الشمس، في شارع لينين الذي يمتد نحو الغرب، تسحب ببطء، كلفافة حريرية ضخمة. شفاقة، ذهبية، فُرشت كلها، ثم جرى سحباً على سهل، فهي تتقلص وتتقلص، تنادر، بمجدوبة بقرص من المفاطيس يتحدر ويصحبها وراءه، كما عروس سائرة وثوباً وراءها في بلاطات النصبور الأوروبية، وليس ثمة فارق سوى اللون الذهبي الذي تتساقط بقاياها. بقعة، على الموائد، المقاعد، الواجهة الخارجية، وتزهر قليلاً، ثم تنطفئ، مخلفة الفراغ للأضواء الكهربائية، التي تشتعل، بدورها، تدريجياً.

كان هذا القهى صغاباً في الليلة الثالثة. ففي طابقه العلوي، الواسع، وعلى أنغام موسيقية هادئة، وفي جو من الازدحام الشديد، تقام، كل ليلة سبت، حفلة راقصة. ولأن بودابست، في ليالي السبت هذه، تتحول إلى قاعات رقص لا عدد لها، فإن الحجز، أو حضور الحفلات، يجري باكراً، ضماناً للأماكن. وكان كرم يعرف هذا من صديقه هيدجي، فقد حدثه، في مقارئة تمت من احتقار شديد، بين ما يقام في «مدينة الصداقة» في بكين من حفلات سبت، وما يقام في بودابست من حفلات حتمية، غنية، زاهية في مثل هذه الليلة. قد قال له بإشارة ازديراء من يده:

- إلى الجميع، يا صديقي، بحفلة كهذه.. عندنا مثلاً..

أضاف:

- انتبه! ينبغي لك أن تكون قد تواعدت مع صديقه على السهر منذ أيام على الأهل.. الفتاة، منذ يوم الاثنين، تنتظر موعداً مع

صديق لليلة السبت. تعلّق على ذلك أهمية خاصة. نفهم مقدار حب الآخر، الآخرين، لها، من يوم الموعد، فإذا جاء السبت ولم تكن قد ارتبطت بموعد، تعتبر نفسها خائبة، وقد ترفض الموعد، إذا جاء في يوم السبت ذاته، لأنه يعني أن الصديق الذي بواعدها لم يجد سواها، أو كان غائلاً مثلها، وأن عليها، في قبول دعوة كهنه، أن تتلحق مثله بالعربة الأخيرة في القطار، وهذا مايسوّيها جداً.

ولقد جاء كرم، ليلة أسى، في نحو العاشرة، الى الرقص... كان وحيداً، ولم يكن راقياً في السهر. وليس من صديقة ترافقه. حتى عربة القطار الأخيرة فاتته.. وبطيعة مزاجه المتقلب، وعدم قدرته على المكوث طويلاً في مكان واحد، خرج من البيت دوناً وجهه مضطرب. كان الليل جيلاً. كانت ليلة صيف من ليالي بوهابست، ومن بيته، في شارع «بنتزور اوتسا» القريب من ساحة الأبطال، سار متملاً، تحت الأشجار الوارفة، بنعم ببرودة الليل، وأضواء المدينة، ومتابعة المتزهين، وهو يفضّ الطرف عن المشاي، في الزوايا، عند جذوع الأشجار، على مفارق الطرق، أو فوق المقاعد التي تتوسط شارع الجمهورية، وأمام الأبطال التاريخيين للمجر، حيث يتعانق أزواج من الفتيان، ويقبل حبيب حبيبته، أو يريح رأسها على صدره وأناطه تداهب وتتخلل، الشعر.

وقال في نفسه: «هنيئاً» وقال في نفسه: «حقاً إنها «باريس الصغيرة»...

ولم يستثمر أبداً حرقه أو حسرة، أو حرمان. إنه، بعد كل شيء، في رحلة لما تنته.. رحلة بدأها من بلده الجديد، شرقي المتوسط، حين خرج، كما آدم من الجنة، مطروداً بغير ذنب. وطوال هذه الرحلة، كان يردد، بغير شعور، على كل احساس

بالتأفف، بإحساس مضاد، نابع من التفور أن يستكين أو يألف، أو يرضى بفكرة العيش طويلاً خارج وطنه. كان الانتفاء إلى الوطن دماً في دمه، وكان هذا الانتفاء حنيناً إلى البيت، والحي، والبحر، والناطئ، ووجه الأم.. وكان، فوق ذلك، حنيناً إلى مجهول، إلى صدر، إلى حالة بصرية، إلى ابتسامة ماسية، إلى غفوق غير محدد، غير محدد، لكنه موجود، ونادر، وهيّ وماجد.

لذلك مرّ بالذهن في طريقه ليس إلا. وكان أمام باب الرقص صفّاً من الشباب والشابات، في ثياب السهرة، وكان ينتظر دوره في الدخول. فجأة نبق سؤال في ذاته: «ماذا لا أدخل أنا أيضاً؟» وكما دته في الإقدام، مضى إلى تنفيذ فكرته رأياً، أخرج نقوداً، وحاول ابتياح بطاقة، لكن قاطع التذاكر لم يكن يعرف الفرنسية، وحيناً حاول شرح غرضه بالإشارة، لكن حارس الباب المجري، وهو رجل ثخين بزة رسمية، تدخل وقام بالترجمة، ولأنه أجنبي، وماتع، فقد سمح له بأن يتخطى الصف، وهكذا وجد نفسه يصعد الدرجات الأولى إلى الرقص، ووجد، لا بدري كيف، فتاة تتأبط ذراعه.. زاعمة أنها صديقه.. لكنها، ما إن صارت داخل القاعة، حتى لوحّت له بيدها مودعة وهي تضحك بصوت عال، فيه شفاوة، وعندئذ أدرك أن دوره انتهى، وأنه لم يكن إلا وسيلة اصطفتها الفتاة للدخول إلى قناتها الذي ينتظرها على طاولة حبرها مبعراً في الرقص.

لم يتشعر كرم أيا انزعاج من لعبة الغناء معه. كاد، أمام صحبته انعبث، أن يظن صفة عالية هو الآخر، لقد جدع ومادا في ذلك؟ المرء، أحياناً، يحب أن يُجدع، أن يكون صفة للقلب صبور يريه كهذا، ما دام بعيداً عن الضرر، عن الأذى، وبه طموح شروخ أي الحياة، وإلى التمتع بالرقص والماء في ليلة «حر الأسبوع»، حيث الجميع، يدعون همومهم، ساعهم، جاساً، ويهندون المرأة والترويح عن النفس

رحاس عفيف، خفيف جداً، بالأسى انبائه، لأن لعبة الغناء التي لم تدم إلا دقائق، ولم تستغرق إلا ساعة صمود الدرج، قد بحث فيه أملاً بأنه ما يزال في العمر الذي يتناسب مع الحاجات السعيدة لمد دهر، وهو يقطع بطاقة الدخول، أن دراعاً تنك بدراعه وحين التفت ووجد فتاة صبية، ضاحكة القصب، تتعلق به، اتسعت دهشته، وعامت على بحر من السرور النباحي، فمر من أن يتبع لها بذكره، لكن الفتاة أرته تذكرتها المقطوعة سلفاً، وشدت به بأعده الدرج، فامره قهراً، فل أن يشبه المدارس، ويحجج المنى قطعوا تذاكر مثلها، ووقعوا في صفة طويل يسطرون دورهم في الصعود إلى قاعة الرقص

قال في نفسه «جاء هذه علامة جيدة في دفترك يا صديقي هيدجي «عدنا مثلاً» لم تأت على واقعة كهذه. انت في بك، ومكاشتك الجامعية، لم بعد من رواد المراهق أو اللاهي النبيلة، وربما لم تقم، بعد زمن بعيد، سد أيام الشباب، في صفة على باب مرقص، السيدة انيكو حدثني عنك طويلاً. روت قصصاً كثيرة عنك، روتها وهي تصحك، قالت إنك تتصرف بشيء من اندام ابؤوليه، أهنأ، نكن تصرفك يحدد طابع الطرافة، وقد ألقه، سد الله الاوى لرواج، بذلك لم تعد تساء به، وإذا كان حثك للسب في بودانسك المصنة هذه، قد تحوّل إلى حب مجنون للحنف في نكس، حتى أساك «هوى الأول»، عربها عادت من بوانك السيدة غير مدب من المناعب والمهموم قال إنك كنت، في بعض الدال، وخاصة لسه البت، تخرج في طلب أي شيء، وبو كان كيو عرماً من البطاطا، بوجه، لأحد، فوصحك ألا تتأخر، ولا تمسب، وأيا يسطاروك، لأعد د الوجبة سد اساء، وتؤكد أنت أنك عائد لئوك، وأن شئاً من يعربك أو يهلك من هذا الوجبة السي، وأبك سمود مريباً، لتساول كلاً من السيد معها، هي روحك الصبر، اللطيفة، التي أحببتها وانما في الجامعة وتصدق هي أمك عائد وتؤمن أن أي أمر لن يملكك تهملها، أو يبك أنك حرج في طلب حاجة من حاجات البت، نكسك، سد أن تصبح في السوق، وتري إلى حانه السيد، و يناديك أحد أصدقائك من داخلها، حتى تدخل، وفي بيتك، كما تؤكد لها، أن تأخذ كلاً كويلاً فخارياً كما أكواب البرء، وهذا لا شيء، في حساب سدريك على الشرب، ولن يؤثر منك «نما تأثير» غير أنك بعد الكوب الاوى، تجد نفسك مسجماً في الحديث مع الشاربين، أو مع الأصدقاء،

وتنظر في ساعتك، قائلاً لي معك «علي أن أذهب إلى هنا، بعد كل شيء، رجل متزوج، وأينكو تنطري» ولكن مقاومتك تصعب أمام زعماء النيبيد، وظلاوة الحديث، فتجد نفسك مدعوها إلى طلب كوب آخر، وهكذا، يمضي الوقت، تزداد مقاومتك ضعفاً، ويرداد عليك بسيد، ويعود في اليوم التالي، دون بطاط و دون فلوبس وسرع، كما دت في مثل هذه الأحوال، بإرسال الحانة والسيد والناربي إلى الشيطون، مقبلاً عليك من عملها مرة أخرى، معها كانت الأسباب لكبك، يا صديقي هديني، كنت تفعلها، ونعم سأعاقب عني رجلك في حانات السيد، هذه التي حدثتني عنها طويلاً، قائلاً وأب تفحص شعيتك، «عندنا مثلاً» آه! الخلة لو دت السيد الهري يا كرم، لو دت سيد «نوكاي» الصخر لا بد أن تأتي إلى البحر، وأن أصبح بك إلى حانة سيد، وأن أدمك تتدو في هذا «الإكسبر» إلا أني» لكك لم تذكر المراقص إلا قليلاً، ولم نقل إلى الناس، عندكم في بودابست، يقعون في صفاً طويلاً، باستظار الدور لدخول، لقد رأيت أنا، في بكين، وموسكو، وفيينا، وجيبس، وعواصم أخرى، الناس يقعون في صموف لأجل الخبر، لأجل اللحم، السمك، المخلبات، وأشياء أخرى، أما أن يقعوا، في صموف، يدخلون للمراقص، فهذا ما لم أراه سوى في بودابست.. بودابستك الدوموية العانة يا صديقي

كان، كرم، يجلس إلى «البار»

اعتزم أن يتناول كأساً من الكوباك ويخرج وكان البارمان يتكلم العرسية، وقد مضى أن يجرب الكوباك الهري قال له «الآخرون، السباح، الرؤا، وحتى الهريون أنفسهم» في بعض الحالات، يتدوون الكوباك العرسية بودابست، أو مارمل، أو

عاموس لكبي، أنا، أنصحك أن تجرب الكوباك الهري اليك مدحاً، ما دمت تطلب نصيحتي»

واقف كرم بعين ترقدة، لم يكن ثمة ما يدعو إلى التناخر بطلب الكوباك الأجنبي، عرسياً كان أو غيره. هذا يعمل بعضهم نكره لمعهم الصديق، إذا كانت معه صديقة عربية، يهدم لها مشروباً أجيباً شامبا أو كوباك أو ويسكي وقد يفعل الهري ذلك، لجرد حب الأشياء الأجنبية المستوردة. اخبراء الأجانب، في بكين، ومن جميع البلدان، كانوا يسيرون ما أن تكون لديهم سلطة هري صيبة كانوا، برغم الصعوبة والتعقيد، يتوردون بعض الحاجات من هويج كويج.. خاصة الكاكر. أما هو فقد أحب الكاكر الصبة، والطعام الصيني، والألسة الصينية، ولم يجد ميلاً إلى مجاراء الآخرين في النوع بما هو مسود، من عرب أو أميركا. وقد سافر مرة إلى شامباي، وشرى هناك حذاء جليلاً، من صمغ الصين بمسما، لكنه، حين عاد إلى بكين، ورأت أهداء سيدة كندية، حكمت موراً أنه من «هويج كويج» فأحب أن يمسها، مؤكداً أنه من هناك، ومن صمغ اسكتلزي، وعندما نهمت السيدة الكندية قائلة «يا لروغنه!» وحق عندما وصل إلى البحر. وليس هناك جريباً، رخص جاره أن يصدق إلا أنه حذاء بريطاني وهكذا تذكر مثلاً قدماً في بلدة سورية، معاده «كل ما هو عربي بريجي»

لم يصادف المراقص بعد الفتح الأول، كان صديقاً دائماً للبارمانات وقبيل ذلك، في وطنه، كان صديقاً للبحاري، كان يطبق عليهم لماً جليلاً «صانع المرات» وأعظم صانع مرة بالسة إليه، هو الخنار الذي يهيمه من الإشارة ينمته كما يحب

ن يقول إذا جاء وحده، وإذا جاء مع آخرين، فليس له أن يطلب، الخباز الدكي، الرائع، ابن لثمة، هو الذي، من نظرة، بهم كل شيء، ويستجيب، تلقائياً، لا برغبة، وما يناسب المقام وعلى هذا السلوك واظب في إقامته الاضطرابية في أوروبا والصين كان يصادق البارما، في أي بار أو فندق، برعيه حميفة، يستيره، يطلب رأيه، بمادته، يناديه إذا كان لديه وقت لذلك.. وكذلك كان يعمل مع «الليتر» في أي مطعم أو فندق، ويمر هؤلاء أصدقاءه، وأدلاءه، لما فيه منده، ومنحه، في الترتيب والطعام ولكن أحبهم همضوي، بعد ذلك، لأنه كان يحب الترميمات أيضاً، ويطلق على أحدهم الحاً صعباً حلاً «الهابيرو الأعظم»، ومنحه، في يدوقه لأصناف الشراب، ومرجعه المنعده، وألوان الطعام، والنواهل، كان مديهاً لمضوي، وسائراً على حده، إلا أن يطلع بالاسدانة، من أي بار، أو فاحل الدع، والمهاون في الإكراميه بعد كان حريصاً على الملاءمة بين ما يحصل من مال، وما يتناول من شراب أو طعام.

ولقد نسي، بعد المدح الأول، على الكومك الهري، وقال بسارمان غيرانس

- بصيحتك يا صديقي، في مكانها.. ودلي من هذا الشراب.

قال غيرانس

- يمرني أن أسمع ذلك.. نادراً ما يقع لي أن أصبح بمشروب هري إدارة اهل تفصل أن يمدم المشروبات الاجبه للسباح هذا برصيههم أكثر. وثمة أغنى، بما لا يقاس.

قال كرم

- هل كل، أنا لست سائناً اجيباً. ثم لست طاووساً بديل عريض طون كما نرى..

قال غيرانس:

- إلى الجميع بكل الطواويس.. هؤلاء الرغماء يملكون هناك، في الصالة، ويرقصون حتى الصباح، على رجاحة سيد و حده - هؤلاء شباب وقد جاءوا لرخص لا نسرب إني أنهم..

- وأنت، هل ستقضي بأك لي ترخص..؟

- أنا سأشرب فقط.. ألا تراهي وحيداً. وبالنسبة.. ماذا تعمل بطاقة المدخول هذه، التي دفعت ثمنها ستة فورنت ؟

- تشرب بشمها حين تجلس إلى طاولة في الصالة.. هذه ليست رسم دخول إلى الرقص.. إنها ثمن شراب، حتى لا يسهر الناس على رجاجة بهرة. إنها الحق الأدنى

- واخذ الأقمى؟

- أن تشرب، أنت وأهبة فتاة، حتى السكر ثم تذهب إلى المراش

أصاف هوانس ضاحكاً

- وما أحبيك سيالي ماذا تملأ في المراش، أليس كذلك يا صديقي؟

- أنا لن أسألك سؤالاً نصاً كهذا وإن كب أحمل، حتى الآن، كيف أتعاقل مع فتاة مجرية في المراش.

- المرأة المجرية كميها.. فقط احذر أن تكون غريباً معها

- وماذا يفعل المجر يا هوانس؟

- يرمعون ساقى المرأة بأكثر مما يجب

- أنا سأرغمها بأقل ما يجب

- انت يا سيد كرم، ستتصرف مع المرأة المجرية كما تتصرف،  
الآن، مع الكوبيك المجرية تتدفعها على مهل ويكثر من  
اللفظ.. ولن تقسمي بصفائك، قل لي، لماذا جئت وحدك الى  
الرقص ؟

- لان أحداً لم يأت معي.. ما دلت غريباً عن الجو.. انا ها  
سيد، سبرغ فقط

- الم تعرف اي أنها فتاة ؟

- بي ا تعرفت اى فتاة، وأنا أدخل الرقص  
وروي به الحكاية فصحك فبرانس في غير لحظ، وانصرف  
الى نسيه طلبات الرباتش، حتى إذا عرج وعاد إليه، قال له مارحاً  
- أب لست شرطياً على كل حال.. ولو كنت كذلك لما استطعت  
إرغام تلك العاهرة الصميرة على الاعتذار إليك

- أنا الذي سأهتد إلىها.. لقد واقبتها، إنها تجلس هناك..  
سأرسل اتي طاولتها رجاجة من النبيد.. تحبوا عن اعجابي  
بدكاتها، ساعدي يا صديقي.. من أطلب ذلك؟

- من الكرميون.. ولكن انظر.. اصل ذلك بعد انتهاء فترة  
الرقص

- خلال ذلك، نشرب معاً كأسين من الكوبيك يا هيرانتس، ما  
رأيك؟

تذكره طيبة

- وإليك تذكرة الدخول هذه.. تصرف بها..  
- مسح ي "أشكرك إذن، على الكوبيك، وقبحة تذكره

الدخول هذه

- لا تشكركي.. يكفي أن تكون صديقي

- هيرتي أن أراك هه دائماً، ولكن ليس وحيداً ولا مع فتاة  
تراكبك في صعود الدرج فقط.. مع صديقة.. صديقة حقيقية..  
يرقص معها إلى الصباح..

- أرجو ذلك.. وإن كنت، أحياناً، أحب أن أكون وحيداً  
أن أراقب لعبة الآخرين دون أن أشارك فيها..

- في هذه الحال لن تتعرف على المجر بشكل جيد.. هل منطول  
إقامتك؟

- ولكني عقيم ها.. أنا أصل في بودابست..

- وماذا تفعل؟

- أستاذ في الجامعة، قسم اللغة العربية..

- هذا جيد.. جيد جداً يا سيد كرم..

- قل يا صديقي..

- يا صديقي..

- والآن نحب صحتك.. كيف يقولون ذلك بالمجرية؟

- اكش اكدي..

- اكش اكدي يا هيرانتس!

- شن ش.. يا صديقي كرم.. والآن، أي نوع من النبيد

نريد؟.. هيا.. لقد توقف الرقص، سأذهب بنفسي وأشرح  
الموضع.. وسأرى تلك الصميرة.. وأعطيك رأيي..

انص كرم، جاء على صبيحة هيرانتس، أصغر نوع من النبيد،  
ودهب للباربان بالرجاحة الى الطاولة التي جدها كرم.. ورجع  
وهو يصحك قائلاً

- إني يشكركم لقد حدثت العدة أصدقاءها بما وقع لها  
وكانت القصة طريفة صحكوا لها . لكنهم آسفون لعدم دعوتك إلى  
مأدبتهم . ظنوك مرتبطاً بموعد ما

- لو دعوني لأعدت .. أنا لن أشتغل بمصادفة كهذه  
- وما هو وجه الانحلال في الجلوس إليهم؟ ها أنت لا  
تعرف المهرج بعد . إني عشرةا وطيبون جداً ..

بعد قليل جاءت العدة وصديقتها إلى البار . كانت نينيم وقد  
احترت وجناتها من البعيد والرقص .. قام هيرانيس بهمة التحريف  
أصر كرم على دعوة السابن إلى كأس من الويسكي ، لاحظ أن  
العدة تنحس النظر إليه مباشرة ، لكنها نحس أن يصغر صحك  
يكسبه ، نحس هو أيضاً ، حنة ن عار في الصحك كان مرهراً  
الآن يدرج مفاجيء . لم يكن لديه ما يقوله .. فوق أنه لا  
يسطيع ان يموت بالمهرج والمساء لا يمكن موه .. اما النسي فيكلم  
الانكبيته التي يجهد كرم إضافة إلى ان الدراما هيرانيس أسأر  
بصديقه ، وراح الثابان بصميان إليه ، وكاما يشبان ، ثم ضحك  
الثلاثة سماً ، وقال هيرانيس

- أخبرني أي عجرتي أنت!

- أرجو ألا تكون قد أتيت على ذكر الفرائش

- اكتمت ، هذه المرة ، بالكلام عن عجرتي في التراب

- كيف؟

- قلت إنك خمت من الكوميك المهرج

- وماذا أيضاً؟

- وأنيك تحاف المرأة المهرج . لذلك انت وحيد ها

- في هذه أنت عن حق

- لذلك اقترحت على الفتاة أن تشحك قليلاً .

- آمل ألا تكون قد خمت الموقف خطأ

- إلى الشيطان يا لهم الخطأ يا صديقي أنت في بار أم

معد ؟

- أنا في مرقص

- أصبل شيء إذن أن ترقص ، هيا ، الفتاة تدعوك .

قالها ونكلم مع العدة بالمهرج .. أهست .. قالت :

- أرحب >

ومرقت عن كرسي البار كانت هذه الحركة صيا بمثابة دعوة ،  
وكان صديقه لاسلو ، الذي هو خطيب أيضاً ، ينشم بطييه ، مشعاً  
خطيبه على أن يحمل كرم سعيداً ، في كان قد يمدم الماء ، ثم  
نأحر مرصكاً ، وجعلها تير أدمه كح يسبي ، واضطر ، في حليه  
الرقص ، أن يجازيها في حركاتها الخفيفة عن أخاها موسي صابحة ،  
لم يأنها في الصبي ، اشعر معها حرجاً غير قليل ، لأنه هو ، من  
الأرمين ، كان يرقص سيملا ، ويديع يديه إلى أمام ووراء ، ويجرث  
ركبه ، ويرك كسبه ، محاولاً أصطاع المرح ، التبعه ، الاندهام  
بالحو ، راعياً في كل لحظة ، أن يسبي هذه لجنون الموسيقى ، وأن  
تعرف الجوقة مقطوعة هادئة ، ترجمه من هذا الاختناق الجسدي ،  
وتتج له أن يخنوي جد الفتاة بدوه وعمومه ، وأسباب كح ألم  
لكن الموسيقى ظلت مريحة ، عسبه ، وظل كرم يسطوح كأنه في حلفه  
ذكر ، والمساء يرى إليه ويسم ، مدركة انه ما ران عريباً على الجو ،  
والموسيقى ، وانه يلقى عتاً في مجاراتها

- انتهت الجولة ، عادا إلى البار ، كان هيرانيس والنسي يتحدثان

ويصاحكان ، وقال له -

- أحسنت . كانت رقصة ممتعة ، أليس كذلك ؟

- أرجو أن نكون قدما روبريكا سليش

وقالت الصاة مارحه

- ليس تماماً

وقال فيراتس

- ديكنت جيداً يا صديقي .

أبى

- لا بأس يا فطنت ، كهداية .. ظني أنك لم ترقص سوى

السامو ؟

- وحتى هذه ، كانت تابعة لجمعية على الطريقة المسيحية . لكنها

كانت تناسبني أكثر ، أنا المجوز كل ما تری .

قال فيراتس

- أنت مجبور حاجر على كل حال . اسبح لي انا اقول هذا يا

صديقي

- لا ابرجع من هذا الوصف . إنه أفضل لدي ، بما لو كنت

صالحاً لذلك ..

- يسأل صديقتك في المستقبل . السيدة هي التي تعطي علامة

الرجل

- ستكون فلامتي صمراً ادى ..

قال فيراتس ضاحكاً

- ومع الرحلة أيضاً

ناب كرم

- لا نكر فخرها سفيهاً يا فيراتس .. أنا لا أريد الرحلة .

فان لاسلو

- ما رأي السيد كرم ان يأتي ويجلس معنا بقية السهرة ؟

وقالت روبريكا

- أحدها طيبون ، وسيكون ضرورياً بينما .

ترجم فيراتس ، وقال .

- أنا أقبل الدعوة بياحة منه .. أریده ان يدخل الحياة الحرة

بسرعة . (وقال بالعربية) هيا يا صديقي .. لي احتجرك على

«باري» هذا اكثر مما فعلت .. اذهب وكن مرحاً . لا تخش على

خدمتي التي تراقصك كثيراً . انت لا تقدم انتحاليا في الرقص على

كل حال

- شكراً على لطفك يا فيراتس .. سألق بها بعد قليل

انصرف الشابان . دفع كرم حجاب .. دفع أيضاً فن زجاجة

أخرى من النبيذ ، حلها الكرسون الى المائدة ، وجاء هو بعده ،

مرتبطاً قليلاً ، متسائلاً عن الطريقة التي سينتاهم بها مع أصحابه ،

لكن شاباً بسهم كان يكلم العربية بركاكة ، استطاع ان يفل

كلماته ، ويكون واسطه تناهم في حديث عادي ، يدور حول أصله ،

وعمله ، ورأيه البدني بالجر ..

قال كرم ببرة صدق

- بودابست رائعة .. حدثني عنها صديق مجري التفتته لي

الصبي ..

سألت عدة اصوات دفعة واحدة

- في الصبي ؟

- نعم . ولماذا الاسفراية .. نصبت في بكبي خمس صوت ..

- وماذا كنت تفعل ؟

- مدوماً للغة العربية



سألت فتاة

- هل صحيح أن المرأة القصيرة تصعب قدميها في الحديد صد  
الصر؟

- كان هذا في الماضي.. الآن، بعد التحرير، أصبحت هذه  
«مادة» تحررت الصبي، وتحررت أقدام القصيرات أصبحت كبيرة،  
مثل أقدام النساء في كل مكان.

- وجود النساء القصيرات.. هل صحيح أن النساء تصعب  
عصاة على ثدييها كي لا يسوّا؟  
- هذا صحيح أيضاً، لكن ليس لأن كان ذلك في الماضي  
وعلى كل هذا ذوق جالي خاص.

- كيف؟

سألت الفتاة

- التذوق الجاني يختلف من بلد لآخر، أو من منطقة إلى أخرى  
في هذا العالم

صاح لاسلو خطيب الفتاة.

- ولكن هذا عجيب.. امرأة ودون صدور؟

كان كرم:

- أنا أيضاً أقول إنه عجيب.. إني لا اعلم كيف يتدفقون  
الاشياء ولكنهم يتدفقونها.. في الدنيا أكثر من حسن جالي.

وطفت الموسيقى الصاخبة، كرة أخرى، على الحديث، ومن  
جديد ألمي كرم معه امام حرج مراقبة إحدى الفتيات، ممسك  
ال الخلع، ونطع الى مرتنس مرآة يسم، ويتحده بحركة ودبة من  
يده، وهكذا بدأ جولة من «الروك أند رول» وغايه في زحام  
الأجساد محاولاً بسن وقاره لأربعيني سذكراً قوله البارمان «كن

مرحاً وطيباً» وعبارة هديجي «صدا مثلاً» وقال في نفسه،  
«كل شيء في البحر يبدو عابراً لما عرفته في بكين». هذا المجتمع  
مضوح، والتعصب للذهبي لا أثر له، وتستطيع عند أسبوعك  
الأول، أن تجد أصدقاء من المجريين، وأن تدخل بيوتهم، أنت  
الذي عشت خمس سنوات في الصين مع بكين لك، خارج علاقات  
الدراسة، أياً صديق حسي، ولم تدخل بيتاً صلباً قط. أرقص يا  
كرم، ادلك كما قال لك ميراس، ولكن لا تكن صريحاً ابن  
العاهرة ككعك من اللقاء الأول، قال عليك أنك محبور داهر. ربما  
كان يرح، ولكنه لم يسعد عن الحليفة. أنا داهر يا بكيني، أحب  
المرأة والشراب، والرقص. لكني لا أستطيع أن أكون خارج  
جلدي. لا أغوي على احتفال هذه العربة التي طالت، ومنها عرفت  
من ساء، يعني هناك، في داخلي فراخ، يعني حين أو هذا ما  
كأبدية في الصين، وما أدري إذا كانت البحر تنخضمي من نسي،  
سيسي انني عربي، وأني في معنى ألماني الى الظروف، وأن  
الوطن يناديني، وربما كان حبيبي اليه يتجاوز الأرض والبحر  
والعابة، يتجاوز السبت والمي والمدنية، ويصل بالإسكان الأهل،  
والأصدقاء والرفاق، وشيء ما سيهم، أحبه ولا أكتنمه، لا  
أحروه، ولا أعرف التعبير عنه

في نحو الواحدة بعد منتصف الليل انتهت مهرته، رقص يا فيه  
الكنافة شرب أكثر ما اعتاد لكنه ظل محتفظاً بوعيه وعدد وداع  
المساء وخطبها أعطاهما عواذ، وشكرها على الدعوة، والهدية،  
والصادقة المربية، وقالت الفتاة

- سزورك وستحدثنا عن الصين. لا شك أن لديك قصصاً  
كثيرة عن تلك البلاد...

- ولديّ نصف صبية أهدأ، وموسى شرقية، ومجموعة كبيرة

من النوحات.

حدثت الفتاة بهشة وبراءة

- ما أمتح كل هذا.. سنزورك في اقرب فرصة، اتي الغاء!

عاد لي بيه القريب ماشياً، كان الجو لطيفاً جداً، وكان الهواء  
معتاً، وقد طاب له، بعد وصوله، أن يكتب فضلاً جديداً في  
روايته، فظل ساهراً الى العجر وعندها استمى على فراشه وبام  
الى عصر اليوم التالي ثم بهض فتناول طعام العشاء وتصد معنى  
« مكي » مستشراً الراحة والصحو بعد ثعب الرقص، وإجهاذ  
الكتابة، والنوم الميق الميق الدائم..

وهو هو بسعيد وقائع ليلة الأسى، وقبلها وقائع حياته في  
المعنى وأحاديث عيدي، وحواره مع البارون ميرانس، مصحفاً  
من كل ما حوله، راعياً في الترف بأحد، حتى بهض العرب النسي  
يترددون على اسمي ويتعاطى بمصمم التهريب، وتبدل العملة في  
السوق السوداء مكسباً بمحة مراغبة الأشياء في دونه، ومن حوله،  
في نوع من الاسترخاء والكلل اللوكي.

كانت تجلس في مائدة مجاورة صانان، كانت تنظران أحداً ما  
ولم تطل إحداها البقاء قدمت وخرجت بقيت الأخرى، إما  
ببسطار مودة عديتها، او باسظار صديق ما، وقد بدا عليها  
القلق، فهي تكثر من النظر في ساعتها، وتكثر من التدخين راح  
يراقبها بمصول. كانت جملة غارحة التامة ذات شعر خروبي،  
وعيين عليلتين، مستديرة الوجه، غيداء وفي وجنتها غارقات  
تكساها طاباً متميزاً، خاصة عندما تبتسم.. لم يول الأمر، في

البد، أي أهتام، بحالته النظر الى وجهها وطولها كانت تتحد صمه  
الاهتمام من انسان غريب. بحاله غريبه من النفس تتبدى على فناء الى  
جواره، كأنها هو رسام ومع على نموذج لوجه فريد. لكن الصاة،  
تناول علبة ثعبا بعصبيه، ومدت إصبعها داخلها كأنها على يقين  
ان عه، في قاع العلبة، سكاره وحيدة ناقة لكبي، مع الأسف  
وجدتها فارغة، وعندها قبضت على العلبة في كفها ودعكتها، وفي  
اللحظة نفسها، قد اليها كرم عليه « الكت » قائلاً بانهرسية  
« تفصلي. ارجوك!

فيها، وقد وصلت، كما خيل إليه، عرض شابه اراد الجلوس الى طاولتها، وضعت كتابها مشعة بوجهها معه

المساء أيضاً، التي أخذت بحركة كرم وتقبلتها، لم تكن على استعداد، مقابل بادرة فيها كياسة، أن تسمح لصاحبا أن يستل بادرته على نحو موثي، لو أتبع حركته بأي عرض لمصت فوراً، ولو عدم ه سبكاره اخرى لامتعت، ولو اصطح أي وضع فيه يظهر لادرته أما ن يصرف الى تدخين سبكارته، دون ن يجعل الالتفات إليها، ودون ان يستل ماسبة السبكاره مباشرة حديث معها، فهذا يعني أنه يستمر فعلته ويتصرف بحسبها. قالت في هذا «هل هو فرسي؟ ليس بالضرورة أن يكون فرسياً إذا تكلم اللغة الفرنسية، وحتى لو كان عرساً في لي معه شاب» إنه سائح كميره وهو وحيد ويرغب في أن يكون له صديقه يرغب أكثر أن يكون صديقه على إلام بالفرنسية ثم هو يكبرها بشكل واضح حطبي اللون، في شعره بعض البياض، في نظراته شرود، متدل القامة مثلاً، على محول بالسبة لعمره، لا يسطر أحداً، ولا يتلف إلى اكتشاف الأشياء سرعه، شاب السائح الذي يريد أن يعرف أكثر ما يمكن في أقل وقت يمكن

مرة اخرى باصمها، ضيها لتجلس النظر إليه، ابتسم ارتسكت. ابتسمت، اطرقت، جادها صوته:

- هل لدى أنسي مانع لو جلست الى طاولتها؟

أجابت ببرود

- تستطيع ذلك لو اردت.

بعض واقرب منها، أحس وعرف بمعه

- ٣ -

بوعتت المساء بحركة كرم وبلعت الفرنسية، وبعد تردد لم يدم ثواني، مدت يدها وتناوبت سبكاره، شاكرة بالفرنسية بدورها أشعل كرم السبكاره، وأشعل نفسه واحدة، ونظر إليها مباشرة غصت طرفها تحت وقع نظراته. كان مريح من شعور خاص يستنكها، فهي تعرف لا ن هذا الرجل الأجني كان يراقبها، وهي مسرورة لأنه فعل ذلك، وكارحه لأنه صطح في اللحظة المناسبة، لحظة بحثها عن السبكاره الأخيرة في علبته

تركها كرم تداري مشاعرها المستجدة. لم يكن متمجلاً، أو صلباً، ولم يبدر عنه تلك الحركة عن تمدد كامل، وليس هدفه منها اقتصاص امرأة، مها تكن رائحة الجبال، على نحو يشتدل فيه معه، فهو كثير الاهداد من هذه الناحية، ويختير طرح النص على الآخر، لجرد تعارف أو تحية، نوعاً من الرخص في السلوك، بأي منه، ولا يرتاح اليه حين يتبدى في أنها إنسان أيضاً لقد فعل ما فعل، لأنه وجد ماسبةً ولأن المساء لفتته بقوة، فهي صميرة، وغريبة عن جزئ لتبني والعصاة المتذبذبات عبه، وهي سمعه أو طالع، دليل ما تحمل من كسب، ورغم القلق الذي هم عن مصاد صبر، فإن فيها لاسبالاة واضحة بالذي حولها، أو الذين مروا بها، وحدثوا

- كرم الجهادي

بيروشكا

جلس قبالتها، وقدم لها سبكايرة تناولتها وقالت

- آمنة . عدت سكاتري، ولم استطع الخروج لبيع حبة

سها

- هذا يصادى.. نحن لندخلى معهم هذه المصادقات، ولا نعلن

أهنة عديها

أصاف

- تسبح أنتي ان اطلب لها حبة من الكرسون.. ما نوع

سكاترك؟

- لا بيعون سكاتر في المنفى

- ادن نفنسم ما عدي، حتى نعلم من السكاتر معاً

- لكنني لن أجعلك تعلم لأجلي..

- هذا أفضل أنواع الإطلاس.. نحتاج قليلاً

- في هذه أنت مصيب.. تأمل! طالبة جامعية ومدممة هل

تدخين؟

- كنت في سكك أد أبعاً حتى أدمت.. برعم أنتي لم أكن

طاباً حامياً أبداً

تأملته ملياً، فكرت «ماذا يكون ادن؟ مظهره لا يدل على

شيء مثير اجتماعاً لا هو بعام ولا فلاح مثقف.. حديثه يدل

على أنه مثقف.. لكن أي نوع من الثقافة؟ إنه لم يكن حامياً

قط.. ماذا يعمل إدن؟ ما هي مهنته؟ ما هو الوسط الذي ينتمي

(إنه؟ أليكون تاجر؟ رحلاً ثرياً؟ ومادا يعمل في الحر؟ سائح؟

و لمر؟ له مهنة؟» وقالت في نفسها «مما يكن غائباً بعد كل شيء،

لن ألتقي به ثانية.. مصادفة.. مجرد مصادفة ربما كانت معرفتي

بالمرسة هي التي رعبه في.. يستطيع أن يقيم حواراً معي.. يعرف

أشياء عن البحر.. أو ربما.. لكنه ليس من أولئك.. أم إنه

يتظاهر بالبراعة؟ من يدري.. سأكون معه كما أفا.. الأمر لديّ

سيان.. حين تعود صديقي نترق.. وبإسطارها أثرت معه قليلاً..

أدعه يأخذ فكرة جيدة عن البحر..

سألها

- يا رأي لئسقي أن شرب شيئاً؟

- شربت قهوة

- وأنا شربت عصيراً.. كنت ظان.. أما الآن فيمكن أن

تناول شيئاً آخر.. قدحاً من الويسكي مثلاً

- هذا لطيفاً منك.. ولكنني أفضل النبيذ..

- «نوع البند الذي تفصينه؟ إني أجهل أنواع الأسدة

عندك.. لذلك أترك لك حرية الاختيار.. دعيني أتعرف إلى ذوقك

في هذا المجال..

انهمت بيروشكا.. قالت في نفسها: «الطيب هو أم يتلاطف

معي؟ هذه الطريقة في المعاملة تطوي على قدر كبير من التهديب

هل هذا بسبب أنه عرسي؟ يشر شاكة ببطاادي أبطني

سبهه أي هذا الهد؟ لا يبدو من لمحبه أنه عرسي.. أعرف اللبحة

العرسية غاماً.. مع ذلك لا بأس، سأبأل الكرسون عن أجود ما

عنده من النبيذ.. لكنني سأقول له إن هذا ذوق الكرسون وليس

ذوقي.. أنا لست بحيرة على أية حال.. الأفضل أن أكون صريحة

معه..

قالت..

- في البحر أنواع كثيرة من النبيذ.. لسأل الكرسون عن أفضل

ما عنده..

- كما تشائين. ما دما لا يريد ان غتار، فلتترك الامر  
للكرسون.

أوما الى المصيبة كانت قد عي التي تقوم بالخدمة في القسم  
الذي يجلس فيه، وقد تولت بيروشكا الكلام معها باجبره  
نصاحت المصيبة البديهة قليلاً وراحت تعد أصابع السند بالمع  
على أصابعها وبيروشكا تسمعها بحارة، ثم قالت حاسمة للوصوع

- ريرلنغ.

وسألت كرم

- ما رأيك بالزيرلنغ..؟

- موثق. هل أن يكون مبرداً جيداً..

قالت المصيبة

- إنه مبرد.. وأستطيع أن أتأكد بطل من التلج

سألت بيروشكا

- هل تحبون السيد صدم؟

- لحيه. لكننا نفصل الفرق عليه.. هل لديك فرق في المجر؟

- لا. هل هذا عشرونك الوطني؟

- نعم.. ثمجه باناء فيصبح أبيض كالجليب..

- كيف؟ تشربونه حلياً؟

- كما يفعل الأطفال!

- صموا. أردت هل له مداد الجليب؟

- ولأئذته أيضاً. ذفا للرأس وليس للمعدة.

هست بيروشكا قالت

- لم أصدق شيئاً مثلاً

ولاً أن رأ عجبتي فكرة الحسب هذه. عندما يسميه

بعضهم «جليب الساع»

- بودي أن أراك تتربه.

- وأن تربني أطلب حباً.. لكن أحذري. قد أكلك عدد

(قالها وفتح فمه على مداه صاحكاً)

- أنت جتيلان ولا تفعلها.

- من يدري.. أما سمعت بأكلية لحوم البشر؟

- ولكن هؤلاء في أمريكا.

بروح في آسيا.. جيران!

صموا.. لا أريد أن أكون قلقة تهديب إنه حصول لا أكثر

عادت المصيبة برحاجة الزيرلنغ. كانت باردة، وداحل من

من التلج. تدومها كرم وأيدي إعجابه، وعندما صفت المصيبة من

السائل الثاني في الكأس، قال

- بصحتك يا آسني.

- بصحتك يا سيد

شربا. أشلا سيكارتين. كانت بيروشكا تنظر إليه الآن

مباشرة، نظرتها تطوي على تساؤل تريد ان تكتشف من هو؟

ماذا يريد؟ ما وراء هذه القهقهة؟ وكان كرم يحدس ذلك، يقدر

وعنها في اكتشاف غايته. غير أنه كان واثقاً انه لن تكتشف

شيئاً لسبب بسيط. هو أنه لا يريد شيئاً، تكفيه منعة الجلوس

مهما لو رآه البارمان هيرانتس مع امرأة يده السرعة لقال له

«حسناً صلت يا صديقي.. كنت أعرف أنك داهر من النظرة

الأولى» ولقدّم له. بعد ذلك، كأساً، على شرف هذا الانتصار

السرير.. ولكن هيرانتس واهم. ليست المسألة على هذا النحو إنه

لا يبحث عن انتصار بالملاقة مع الآخر. لو أراد ذلك لمار به صد

ومن يبعد. لكن الانتصار لم يبعد كل شيء؟ ولماذا يبعد الرجل

بعضه في علاقته كهذه مضمراً، ولا تعد المرأة نفسها كذلك؟ هل ثمة

دكورية في البحر أيضاً؟ مظل الذكور في حالة احتياج فانه؟  
ونقدم؟ ونصاره؟ وسنلله لراء؟ سادها؟ وكل ما أعطها  
النور الصاعة الأوروبية؟

رجع من شروده فالى بروشكا مطرقة. كانت تفكر هي  
لأخرى، لكنها لم تكن مسحة. ظلال من وجوم توتسم عبد  
ملمبها كان معاً في المكان ولم يكونا معاً في الرمان، كل سها  
ذهب في راحه، بادل من من جاءت؟ وبادل من من  
جاء؟ وقال في نفسه: «ما أعطها محبي من أكفة النساء» وذلك  
في نفسها «ما أعطه محبي من نساء اللوثي يؤكل» انه الى  
أنه تصرف بحريته. تذكر نصحه فيرلس «لا تصرف كمحري  
في المارش» حال في نفسه «الصرف كمحري يكن أن يكون  
خارج المارش أيضاً» قال مصدراً

- لا تؤخدي.. شربت قليلاً.

- وأب أيضاً

- كان علي ألا أقبل. هذا ليس من اللياقة..

- لا أحرص من الصرف الدقيق.. إنه مضجر.. أليس

كذلك؟

- هذا رأي السيد

ورأيك؟

- لشرب أولاً. اضري. كأننا يشاءين

- لحذر ادن. قد تشاء معي أيضاً

- هذا تمييز شعر غربي من هذا..

- حدثني منك أولاً. تتعمك بمواعيد اللياقة في الصرف

دائماً؟

- أبدأ.. إننا أنا غريب.. وأحب مراعاة قواعد الملوك  
عندكم

- نحن لنا تقليد إلى هذه الدرجة.. أقول هذا عن نفسي  
على الأقل.. تصرف براحة.. كن أنت

- شكراً على هذا للساح.. ماكون أنا بصدر ما تكونين أنت  
أعني لن أطح الأشياء.. لنشرب أيضاً

شرباً جرعة كبيرة. ابتسا دون كلام. صار أكثر استجماً.  
تحرراً بوعاً ما توقعت أن يتكلم أكثر. أن يقول أشياء عن نفسه..  
لم يفعل. ما كان يتعمد لم يفعل لأنه لم يجد ضرورياً أن يقدم نفسه  
أكثر مما فعل. ولا هو سألها أن تقول أشياء إحصائية عن نفسها

اسرخي. رعب في أن يسرع في الشرب. كان هو الذي يقترح  
ذلك. ما كانت تتحفظ، غير أنها لاوب بالصمت. تركته يتود  
الحديث. لم يكن هذا علائقاً له.. أمس، مع البارمان فيرانشس، مع  
ذلك الصاة التي بطلت بدراعه، مع خطيبها، مع المجموعة كان أكثر  
فدرة هي الكلام. كان قد شرب حيداً، هم أيضاً كانوا قد شربوا  
حتى استنوا. يشرب حين يريد. يدها، هي أيضاً تشرب حين  
تريد.. لا يحب كثرة الأعقاب.. لماذا لا تتكلم؟. تنظر إليه ولا  
تتكلم.. تبسم حين يصطبها تمنعصه.. هل هي حذرة إلى هذا  
الحد؟ تنتظر أحداً؟ تدعه إذا جاء. هذا الأحد؟ ألا تكمل  
الرجاجة معه؟ يقل الآخر، لو جاء أن يقاسمها التراب؟

سألا

- ماذا تقرئين؟

- هذه كتيب جامعية.

- في أية كلية أنت؟

- كلية الآداب.

رتاج بينهما شيء مشترك، جميل أن يكون الأدب هو هذا الشيء، ولكن الدراسة في كلية الآداب لا تعني أكثر من أنها دراسة، يعمل المترجم بعدها في التعليم أو غيره لو كانت كلت الآداب تخرج أدباء، وأدبيات لامتلات الدنيا بهم، كما يملأ البحر بالسمك في هذه الحار يظن البحر أقل امتلاء، فانسك بأكل بعضه بعضاً «ما الأدباء؟» «نعم، ألا يأكل الأدباء بعضهم بعضاً؟» وقال في نفسه «لو توقفت الأمر على اللحم، على قوة العصر، قوة الملك، القدرة على الافتراض وحدها، لكان الأكثر غباء وصحالة هم الأكثر قدرة على النهش..» (إنهم حيوانات «أدبية» ضخمة هؤلاء..)

سأها

- لماذا اخترت هذا المرح؟

- لأني أحب الأدب..

- وبك محاولات؟

- بسيطه أكسب مقطوعات شعرية

- مقطوعات أم قصائد؟ كوي الحديقة

صحكت

- لست شاعرة على كل حال.... هذا قلب كبير.. أنا مبتدئة..

أدرس الأدب المغربي بعد..

- من من الشعراء المغربي تفضلين؟

- اندره آدي.

- ومن أشهر شعرائكم؟

- الكسندر بنوي ولكن هل هذا اسمان؟

- تقريباً. غير أن العلامة ستكون بعد سماع مقطوعة من

شعر

- أسمع. لا تساعدني لتعني العرسية على الترجمة الشعرية

- لترجم الشعر أدنى إلى حر -  
- هذا جيد. الشعر والخمر مثلاً  
- والمرأة؟  
- ما رأيك أنت ؟  
قال صاحكاً  
- أهذا امتحان؟  
- تقريباً. والعلامة تأتي  
- لا تساعدني لتعني العرسية على الترجمة  
- يا لك من داهية.. تخاربي بسلامي بنسة؟

اعتدل في جلسته وشرب كأسه كله.. طلب منها أن تفعل كما فعل. قال لها «أرجو» صلاً الكأسين رغب عن الكلام الجيد، مال إلى المراح ماذا يقول عن المرأة؟ نه أشياء تحس ولا تدب الحب مثلاً. كيف يشرح الحب؟ ماذا يقول الحب عن بنسة؟ النظرة، هها، يكفي أبيع، أبيع، أبيع نظره وصمت إذا نكلت عن الحب أصمته بلرودة كذلك الشعر والخمر والمرأة ولكن أن تسبح الشعر، أن تشرب الخمر، أن تحب المرأة. هذه يصير.. تعيش، تحب، تستمتع به.. ولكن إن تتكلم عنه، كيف يستطيع تكلمتي، ان يسكن على المرأة؟ حتى لو استطاع فإنه لن يفعل المرأة بالسيرة إليه، هي الخمر والشعر والدب لو قال هذا نطقت انه يمدحها يقول كلاماً برصها يبالغ كي يمدحها، كي يظهر أمامها أنه رجل حصاري المرأة مصار في حصاره الرجل، هذا ما يؤمن به، لكنه، إن يفتن ذلك، أمام امرأة من الخمر الأولى، هذا يصح في صورة كل الرجال. وهو يريد التميز.. يريد أن يكون هو لا غيره. من أجل ذلك يفضل أن يصمت، أن يسأها هي عن الرجل. يرى صورته في تفكيرها

قال

- في جلسة تعارف كهده، مع كأس النبيذ المتلوج، تصيح لمبه الدهاء باطله أنا لا أحب هذه اللبه في كل الأحوال وخاصة في لقاء كهدها. أنت تسأليني رأيي بالمرأة.. يمكن أن أقول ذلك بكلمتين ويمكن أن أقوله في محاضرة، لكن لس الآن لذلك أصدر عن عمري وفي انقباض، أسطح أن أعرف رأيك بالرجل؟

- ليس في جلسة كهده

- ها أنت ترفض النحية لي..

- لأنك تحب التعامل بالرموز. اعدوني على صراحي.. أنت، حتى الآن، لم تقل من أنت. ومن أين جئت، ومادا تعمل، ومادا تريد.. أنت، عدم المؤاخذه تلبّصك بالسولوفان.

- صحيح؟ ما كنت أدري.. حبيت نفسي واضحاً بما فيه

الكفاية..

- إذا كنت واضحاً فكلمني عن نفسك قليلاً كل ما أعرفه أن

نفسك كيف هو ؟

- كرم كرم امهادي

- ما معنى كرم؟

- الصفاء

- وأنا بيروشكا.. الحمراء الصغيرة

- اسمي إذن يا عزيزي بيروشكا.. أنا من سورية، من مدينة دمشق وقادم من الصين.. ومقيم في بودابست، وأعمل استاذاً للغة العربية في الجامعة وأحبّ الأدب لكني لم أكن يوماً في تخصصه، وفي كلية الاداب ولم أمارس نظم الشعر وإن كنت أحبه جداً جداً. ولا عرض لي، ولا أريد أيّاً شيء، من أي

إنسان - إني، كما ترون، أحب النبيذ فقط. وأشرب بحب نظارفا.. هل امتلأت الاسفاره؟

وتسحب اسفارة؟

- محضر تحقيب

- انراي شرطه؟

- لا حاجة اجتماعه

- انت لا تهرأ بي أليس كذلك؟

- يا عزيزي بيروشكا..

لكنه لم يكمل قطب حديد صاف ومصب وألمب التحية نظارفاها وهي تذكر انه وأها غلبت مع بيروشكا أول دخوله للنفس، صاعها عرف بعد ذكرت المساء اسمها لكنه لم يسوعبه جلست ومحدث مع بيروشكا باعريه بصاحكا وقالت بيروشكا

- السيد كرم.. أستاذ اللغة العربية في جامعة بودابست

- وددت لو كنت من طالبتك

قال كرم

- لشدّ ما كان يسمدي هذا

- هل اللغة العربية صعبة؟

- ليس أصعب من اللغة اليابانية .

- وقالت بيروشكا

- أنت تحبها يا سيد كرم أليس كذلك؟

- وسأل كرم المساء

مادا تشرب اسقي بيبدأ ام ويسكي؟

- وحالت الفتاة

بل ويسكي

كانت، لأمر ما، تفرغ الى التحدي . يعود ذلك الى الحسد؟



حدثت صديقتها لأيا كانت موضوع استعانة من رجل؟ يكون ذلك لأيا أقل جالاً منها؟ لم تربح إليه؟ بيرة صوتها ثم من عدم تلاؤم مع وجودها. خائبة! ما أصعب للرأه إذا كانت خائبة؟ تحبى بربح في ثوب عذبة نبت سامير في أصابعها هو لم ير السامير، لكن رذها عليه تشبهها على كلمة «ويسكي» فيه مدر من المجيبة، وآخر من عدم الرضى..

وبنا عادت الكرسيونة بالطلب، بادو الى ممارسة ليدقة تتجاهل خشونة أسهل ما ترال تحت الطولة، قال

- بصحة الآسة

وقالت بروشكا معرمة

- ماكددا

- بصحة الآسة ماكددا .

فأجابته بفتور

- بصحة اليد

- كرم

وشربت جرعة كبيرة، فحطمت عسلات وجهها ليس إلا

- ٤ -

عند العروب اعرجب بروشكا أن يشوهوا قليلاً، ببحاء ساحة الأبطال كانت قد شربت من السد ما يكفي لكي يبدو مرجه قليلاً رابله النحفظ الذي لارمها في أول النعارف أخذت تنصرف بودة ظاهر رصت، أمام صديقتها، أن تمطي هذا الانطباع «كرم صديقي» صارب الأقرب إليه لانت بدور المرجه به وبين صديقتها، وبدلاً من استنار المرء في كلام صديقتها، راحت تعبه لأيا مكته ترد، ولو بشكل عابر نند لحطت لحظات النعارف رسمها اختصره، جعلته مسكوناً بحب ولد في يمسها على الأمل، صلاقاً كأنها تعرف كرم سد دهر، أو كأن قدرأ يهدأ لها، ولم تفعل هي، سوى الاستئصال لهذا القدر ساروا على اسداد شارع لسير، اعطفوا يياً الى شارع الجمهوريه المنص الى ساحة الأبطال كان المساء يياً، والساحة ملأى بالنزهين، وعلى جاسها المتحف الوطني ومسحت الى الشكبي بروشكا كانت تتكلم أكثر الوقت قامت بهمة الدليل كانت تنصر دأكرها لتحد الكلمات الرمسية الممرة وحين معورها، كانت تقول الأشياء بالبحرية وتصحك وهي تقول شاموش (أسعة) وتتابع الكلام على ساحة الأبطال، بتأنيها البروبرية، وأسطورتها التاريخيه، حيث العائد الاكبر أرباد، الذي قاد المسائل

المجرية في هجرتها الى المجر كانت معصية مغرراً وحاسة، وكرم عيبد  
 كي يجارها، متذكراً صديقه عيبدجي، ببسببه الرجاجيتين  
 الرقاقين، وبديه وأصابه وحركاته، حين يكون قد شرب، وطمس  
 السكر يديه، ووقف كمن يخطب صائحاً. « نحن المجرمون يا كرم، من  
 أوقف رحمة الممول على أوروبا. هذه الأمة الصغيرة هذا البلد  
 الصغير، بلد النحمان، هو الذي ردّ الممول على اعتاقهم، بعد أن  
 اجتاحتها روسيا نفسها. لقد ابتدنا أوروبا من التتار، لوحة  
 حربية، بوراسة سيوف وحيول أرباد العظيم، والدراري من سل  
 أريد انت يا بيروشكا؟

سألت بيروشكا، وجاء

- قل لي، سيد كرم، هل تحب الناحف؟

- أأ من هواة الآثار.. يكاد البحث من التحف بأحد وقت  
 مراعي كله هذا ما كنت في الصبح على الأمل هذا في بودابست،  
 لم أبحث بعد.. لا بد أن أعمل..

- البحث ومتجدد. نحن أيضاً لدينا آثارنا القديمة.. ولديها أشياء  
 حديثة بالطبع.

قالت الصديقة

- بأي نوع من الناحف تهتم؟ هنا لديها أيقونات أثرية شهيرة

ويكن انتبه، مسح إخراجها من المجر

- وممكنيتها.. داخل المجر؟

- لا أدري.. يجب أن نأل من هذا..

- سأعمل.. لست مستجلاً..

قالت بيروشكا

- أتمنى لك التوفيق.. أنا واثقة أنك ستعثر على لوحة نادرة

- هذه عثرت عليها

- أليس؟

- في معنى «أم كي».

- أنت تفرح يا سيد كرم.. أليس كذلك؟

- أنا جاذ في ما أقول.. لقد عثرت على تحفني مصادفة..

- متى؟ سألت الصديقة

- اليوم. في حوالي الرابعة بعد الظهر

اجتمعت بيروشكا.. صمطت على يده. بدت مرهونة لهذا

الإطراء أمام صديقتها. قالت

- شكراً يا سيد كرم.. هذا لطف كثير منك. لكننا كنا نقصد

النصف الحقيقية

- وأنا كنت أقصد لوحة حقيقي

- لكك بدأت تبائع

قال جاذاً

- ربما أكون مبالغاً.. لكني أصير الإنسان أعظم لوحة في

ديانا

- هذا في المطلق (قالت الصديقة جاذة وبهجة مسموعة)

- ويمكن أن يكون في الشخص أيضاً بيروشكا كانت لوحة

اني أبعد الحدود وأنا ضرور بالعرف اليها، وضروري اكبر ما لو

عثرت على أيها لوحة

تصاحبت العتاتان، تكلمنا المجرية قالت الصديقة شيئاً لم نشأ

بيروشكا ترجمته. دخل في حوار قصير، انصرف خلاله الى تأمل

بيروشكا، جانب وجهها، عمتها، شعرها، صمكتها، وحتى عيونها

لاحظ أن وجهها حين ال ترجمه أن أي تأثير يرف عنه لم يكن

وجهاً جامداً، مضغياً وراء قناع، بخلاف صديقتها كانت هذه

موجة تروره خفة. تريد أن تكشفه بأكثر مما يعجبها قال في نفسه

« أكاد أحرر ما يقول تنظي متملناً قد أكون قلت مالا يعني ، ما يقوله الرجل كلهم لقد أردت ، في البدء ، نوعاً محباً من نكته أنا ست سريع البديهة مع ذلك جرّبت لمبه ذكاء فاشقة أردت التعبير عن سعادة قلت ذلك صادفاً الإنسان أعظم تحفه في هذا الوجود هذا ما أؤمن به لكن بعض الإيمان يحس أن يُكم في الحس أن يتسرّع انداء ، حتى في إظهار إنائه بشيء ، يجعله موضع شك ما أحسني محباً هذه السباحة هذا الاعداد ، هذا البناء ، كل ذلك ، مع الطيبة التي أظهرتها بيروشكا ، جعلني أعطي حكم قيمة قلت عنها تحفة تحمي الدرة أكون مخطئاً ؟ قد لا أكون لكن ما هو أشد خطأ ، أن تظن الصديقه أنني ألتقي وفي الحقيقة ، ورغم كل شيء ، هل كنت مسبقاً دون أن أدرى ؟ لماذا ؟ ما داعمني الى ذلك ؟ »

اعظم قليلاً ، حاول ألاّ تدع ذلك يبيى ، نطاهر أنه معنى بما حوله من مظاهر ، وجد بمه يقول

- ما أروع بودابست يا هريرتي بيروشكا !

كان الليل قد هبط ، كان ليلاً صيفياً ، وكان القمر بدرّاً ، ولأبواب ، من على طرفي الشارع ، ومن وسطه أهباً ، تسطع بألوان بهيجة حلا به ان يهأل المدين مرحة في الدبه الماوراء ، بد أنه وجد السؤال مبرحاً في الصبي لم يعرف العاية حتى في النهار لم تكن به صديقه هناك وما كان قادراً ان مجلس الى ماة في مقهى ، أو أن يدعوها الى مرحة ، هاء ، كما قال هيدجي ، الأشياء تخلف ، « عدينا مثلاً » هذا صحيح يا صديقي ، عديكم ، مثلاً ، بيروشكا . عديكم « ام كي » ، ساحة الأبطال ، البارمان فرانتس ، ووريكا وخطيبها ، المتنع ها متنوح . المريب لا يبنى غريباً ، الحياة

الاجتماعيه تشده اليها قادر أن يجد صداقات من الأسبوع الأول ، بل من اليوم الأول لكن الحذر ضروري أنت لن تخرج الصديق ب كرم بهذه السرعة . بطلبه كهذا . دخول العاية في الليل ، قد لا يحمل معنى طيباً ، كفاً من غروانتك . تمنع بأمية صبيح خطوة تمنع بالضم ، بالبناء الصافية ، بالمجوم القنلة المتأثرة الأصيل لو مجلس مع الصنائع على مقعد من هذه النفاذ الكبيرة التي ينقاسها المرحون يتداهبها الشاق أنت لت عاشقاً لا تصلح أن تكون كذلك أنت في الأربعين أنت مشروع عجوز في الأربعين بيروشكا في العشرين ربه أقل ليست المسألة مسألة عمر بكك ر تستطيع أن مجلس معها ، وأن تختص وتنبها كما يهمن الآخرون لا أحد يلومك إن عملت لا أحد يلتفت اليك ، أنت وشاك ، لكك أنت ، تلتفت الى نفسك تارس إحساساً ذاتياً بعدم الرضى أنت لن تكون عجزياً كما أوصاك فرانتس .. لن تستحل جنوسك ، لبعض الوقت ، مع بيروشكا دع العاية وشأب ، دع المناق وشأهم سمعل حساً لو دعوب صديقتك الى أحد المطاعم هذا أفضل أكثر مدعاة للراحة والأطشان .. أجلب للثقة

- هريرتي بيروشكا !

قال فجأة ، كأنه انتبه لنوّه الى وجودها بجانبه .

- ماذا يا سيد كرم ؟

- ما رأيك ، انت وصديقتك ، لو تفلان دعوتي الى العشاء في

أحد المطاعم ؟

اعترضت الصديقه

- لا أستطيع ، علي ، الطلبة ، أن أهود باكرأ .. أسس جهزت الى

الصباح .. كانت ليلة السبت كما تعلم . فرجت بيروشكا . شرحت

ليلة واحدة، في المجر، تكون هادئة عالياً، بعد صخب ليلة السبت  
بحود المجرين، ليلة الأحد، إلى بيوتهم في وقت مبكر.. يترجمون،  
استعداداً للدراسة أو العمل

- فهمت، قال كرم، أنقبل الاعتذار في هذه الحالة. أنا أيضاً  
سهرت ليلة أمس

- أين، سألت بيروشكا.

- في مرقص «أم كي».

قص ما وقع له كان مسروراً باستعادة نفسه، وورثها كانت  
دكية وكان البارون مرانيس لطيفاً لقد قضى وقتاً طيباً وهو  
تعب قليلاً، لكن لا بأس بكأس بعد هذه الزهرة، مع غشاء خفيف  
لهو أنه لا يضر.. ليدع بيروشكا تتصرف..

قالت بيروشكا

- كان بودو صديقي وأبا، أن نقبل دهونك لكننا ليلة  
الأحد، كما قالت صديقي، وأنت أنت نأ بعد سهرة الليلة  
الماضية؟

- لم أرقص كثيراً ثم إني مت إلى ما بعد الظهر، هذا اليوم

- ولو لم تكن معك.. أين كنت تقضي سهرتك الليلة؟

- في البيت..

- أين بيتك؟

- في شارع.. كيف تقولون: بترود اوتسا

هنتس

- ولكنه قريب جداً..

- أجل.. نحن في المجر، تقريباً.

- هل تسكن وحيداً؟

- قاتلاً

- وكيف تقضي أوقاتك؟

- بالقراءة وسماع الموسيقى

سألت الصديقة

- لديك موسيقى شرقية؟

- هيسية مثلاً؟

- بل يونانية هل تحب موسيقى نيودوراكس؟

قال كرم

- أحب موسيقى فيلم زوربا.. أحبها جداً.. لدي موسيقى  
عربية أيضاً مقطوعات قليلة

قالت بيروشكا

- صديقي تبيع بالموسيقى..

- لو كان لديكما بعض الوقت، لكنت سعيداً بسماع بعض  
الموسيقى معكم في بيتي..

- وهل هذا ممكن؟

- لماذا لا؟

- أهني هل تستقبلنا في بيتك؟

- بل أرحب

قالت الصديقة

- هل أن تكون الزيارة قصيرة

- كما تريد وسأكون سعيداً بسماع العزف العربية نكها  
قالت بيروشكا

- عظم موسيقى شرقية، ومهوه عربية هذا يعزف لا  
يقاوم

انمطوا من ماحة الأبطال الى سرور اوشا. ساروا تحت  
أشجاره الوارفة. كان الطريق قصيراً، مرعاً، فيه حتى من تلك  
اللحمة الصغيرة. كانت بيروشكا وحدها يتحدثان بما يشه الحسن  
بدا عليها توقع ما إليها معامرتان في رفاة مرغمة، وكرم مرتك  
لاستقبال فاسي عريتين للمرة الأولى في بيته يفكر بقطعة  
الموسيقى، ومجلس القهوة، وكل ما يرضي صبيته، ويدخل السرور  
إلى قلبها

تولموا بعد الساعة ١٩ في ذات الشارع، كانت تلب العارة  
الصبية، وامامها السفارة العثمانية، فالت بيروشكا.

- أهدا حي لساعات؟

قال كرم

- لا أدري. كل ما أعرفه ان الساعات كثيرة هنا. إنه حي  
ارستقراطي من ما يبدو

- والسكنى فيه جيدة.. انت الذي استأجرت البيت؟

- بن الإيداع.. هذا بناء يعود للإيداع، فأنا أقدم برامج أدبية  
باللغة العربية إضافة إلى علمي في الجامعة

دخلوا البناء الكبير. رآهم حارسة البناء لم تقل شيئاً كانت  
امرأة ربة، شطحة، شبطنة، وكانت تعرف ان كرم ما يزال عربياً،  
ويجمل سمعته لغربية وهذا سمعته اسعراها توقف وحباها رخص  
أن يدخل مطلقاً بعد أرحامها ولا شك سمعها تقول «يعدوا»  
بالبحرية، صعدوا إلى المصعد ومنه إلى الطابق الرابع حيث منع شفه  
في أقصى البناء وسطل على حديقته الواسعة من جهة الشرق

فتح الباب ودخل امامها كانت شقته صغيرة، تتألف من  
عريتين، تعطي احداهما إلى الأخرى وبينهما باب خشبي عريض إذا

فتح، صارت المرفقان عرقه واحدة مستطيه، وكانت الشقة، كما  
سلمها معروشة. فيها خواتان عريضان، يفتحان لئلا فيصعحان  
مريمى مردوجين، ويطلقان نهاراً معودان إلى وضعهما السابق  
مقتدىن طوبلين للجلوس، مع ثلاثة مقاعد أخرى، في زاوية الغرفة  
الداخلية التي تطل نافذتها على الحديقة، ومكتب صغير، في  
الزاوية المقابلة، وخزانة رجالية على طول الجدار، وجرانه  
ملايس، وكل ما يلزم لمائدة صغيرة

كان كرم، الذي حل معه من المصين صديق من التحف، قد  
استطاع، خلال أيام، أن يرتب بيته وعين دوق خاص، يتلاءم مع  
عرش بيرو بصين مقنناته الأثرية النسبة والبادرة وضع على  
مكتبه قنناً كبيراً من خشب، يتل طيباً شامياً، وعلى قاعدة من  
جذع شجرة، ترك على طبعته، فبدأ التمثال المغمور، الجسم، كأنه  
بممن فوق أرومة شجرة رائحة وعروق التمثال كلة من ورق مغوى،  
كقطاء لمصباح كبير، مردانة برسوم ساء صبيات، وداعها مصباح  
ملون وإلى جانب التمثال وضع مجلة جديدة، من أحدث ما  
اصحته شركة هلييس، استوردها من هونغ كونغ، مع أشرطة  
جديدة، فيها كل أنواع الموسيقى وقام في الراوية المقابلة برافان  
من خشب الباهو، مغمور حفرأ ناهراً، عليه طور ودهور وفقوش  
فاسمة وفي الطبقة السفلى، الخشبية، من الحراة الرجالية، أشأ ما  
يشبه «الباز».. فيه كثير من أنواع المشروبات، وبينها مشروبه  
الصيني المنصل «الموتاي»، وعلى رف الحراة الطويل، غائيل  
خشبية، وخربشات من الورسلين الصيني القديم الماحر، وعلى  
الجدران لوحات صينية عربية بصورها، عجسة برمجها اللوني، وفي  
كل رواقا الحرفة، لوحات من عاج، قتل اعراضاً وامراضاً شعبة

صبيبة، مع لوحات خشبية معمورة، فيها حروف صينية، تشكل  
مها كلمات مثل المادة، العمر الطويل، الفصول الأربعة

أما العرفة الخارجية، التي تلي المدخل، فقد وضع على سطح  
حراسها أسداً خرافاً صينياً، من خشب معمور وغرس بهاليين، في  
حالة توثب للالتصاص من خشب أبيض، وفي كل أطراف العرفة،  
عند قدم الجدران، نثرت الخواوي والدن والأصص الخرمية  
الصينية، وفوقها، على الجدران، لوحات كبيرة رتبها على نحو ما  
شاهد في حواشيت باعة الأنيكيات في أحياء بكين القديمة، وما  
تبقي، وهو كثير، احفظ به في العسادين وهكذا فلبب به إلى  
متحف شرقي، يهر الراي، وبجملته مدهولاً، متأثلاً، رافضاً  
الدخول، رافضاً الجلوس، قبل أن يشاهد ويتأمل، كل هذه الروائع  
من حوائله، تحت شبكة بسيطة من الأنوار البيضاء واللونة، مدها  
بفسه، وراعى في توريها جواً رومانتيكياً بهاعده على الكتابة،  
على صوت موسيقى ناعمة، تحمده بمش جو الترقى الأصنى الذي  
هائث يوماً، وظل موباً به، بمن إليه، ويستعبده في منعه الصغير

لقد ملّسه التجربة، وخبرته الثقافية الصينية، أن العمى، إذا  
ولعت على الأشياء مباشرة دهشت لمعطات ثم كُتت الأمصل، في  
عرض التحف، أن تتكشف للناظر تدريجياً، وأن تبدل كل مدة،  
وتتمنى عليها، كما في متاحف، بطاقات تحمل أسماء أو شروح  
التحف، وأن يوضع، عند الدخول، حاجر كما الجدران الأمامية،  
دات الرخارف البسيطة، في اللمايح السوداء، كي تحجب ما في  
الداخل، وتسمح لرائر أن يدرج من الرؤى البطة، إلى  
العانة، إلى الرائحة في قمتها، وكان قد قرّر، أن يأتي بصور،  
وأعلام مبنوة، مصورة تحفه ويشرها في كتاب، مع شروح عنها،

وقصص تحكي حكاياتها، وحكاية المنور عليها، وما رافق كل ذلك  
من طرائف، بحيث يأتي للكتاب أدبياً أثرها، مصوراً

باختصار، كان يحلم أحلاماً غريبة، وفي حبيبه إلى الجهول،  
وإصعائه، في جو للتحف، إلى نداء بعيد، كان قد صار إلى ما يشبه  
الوثة، هو يأمل، كل ليلة، أن تخرج إليه، من إحدى اللوحات،  
جنية ماء، أو يحمده على نحو مناجي، أسد أو مر أو تنين، وأن  
تضارى المنياء ملكة الطيور، رسمها المنوش على خاوية حرمية  
ورقاة وتغير في جوبه لند مرأ وسمع، في الصنى، أن رجلاً كان  
محبة التنين، وكانت صور التنين على عرى بيته، وحين عاد، وب  
يوم، إلى هذا البيت، وجد التنين قد تحمد، وبرن من الصورة،  
وأصبح تنبأ حقيقياً، مراح بصرخ، خوفاً، ويستبعد بالهيران،  
طالباً قتل التنين الذي في بيته، وحين سأله عن سبب هذا الرعب،  
وهو الذي محبة التنين إلى درجة المادة، قال لهم «أنا أحب  
التنين في الصورة، لكني لأحبه في الحقيقة» وعندها قال له أحد الهيران  
«أنت، يا سيدي، كالبورجوارى الذي يحب النورة في الكسب،  
فإذا استعظت وخرجت منها، وصارت ثورة حبيبة في الواقع،  
دعر منها وطالب بالنصاء عليها».

وكان كرم بكتر، في لوحاته وحمده، من الأشياء التي تحمل صور  
الناس، والعصافات، والميوم، والأشعار، والطيور والأرهار،  
والنساء. وكان التنين هو المفضل لأنه رمز القوة وفي الصين القديمة  
كان رمز الأباطورة، وكانت العنقاء، رمز الرشاقة، وهي رمز  
الأباطورة، وكان يمشي في وسط كل هذه الرسوم والفنانين،  
داكراً صديقه «هيدجي» صاعكاً في حره من ولده بالتحف  
الصينية، التحف التي كانت تنقصه الخبرة حولها، يشتري كل ما

يصادفه ظأً منه انه اثري ولم يكن، في حقيقته، إلا حديثاً كرم من أحد جواربه، أو نُطُحَ بمادة عارضة، قدس كانه قدم موعظ في القدم

دحين كرم بينه أدر الصوء دعا صعبه الى الدخول سخن وهو يرتخب، تنذمت بيروشكا وبعدها صديقتها، لكنها مد صارتا في المدخل، وتعلّى لها النظر الباهر، صاحتا:

- يو، جويوي.. (آه رائع!)

ابتسم كرم، لم يزل شيئاً ما كان صعباً شيء لم يأت بها بمعد إدهاشها لقد عرف، في حياته ماء كثيرات، عرف اكثر مما رعب من يعرف ظل حيا ل كل شيء، لا مبالياً ظن مصصاً من الداخل، كانه لا يملك عاطفه، وكان الحب إحساس غريب عنه وكان يجب هذه الحالة، ويستشعر فراعاً ويتندب ويأمن أن يرتوي يوماً، ظمؤه الداخلي، وأن يكتم الحسب الساعب في داته من شدة اني ما لا يدري، وأن ينهي قنقه النصي، فيعرف ما يريد، ويحصل على ما يريد، ويصور له زوجة وأولاد، ويضعه شيطان يكن جسده وبهجه وكان يهرب من واقفه المولم هذا الى الكساية، عارلاً جدي خلاصة، نكر الكساية كانت تعدبه بدورها، صهرع الى الخمرة، والموسقى، والبنمايا، ويخرج عن مواضعات البيت، ويلود بنوع من حياة يوهسية، دون ان يجد دواء لما كان يسمه جوده الصبر، الجسود الذي يفتت أحصابه ويعد أهامه ولبالبه

ترك بيروشكا وصديقتها تندعشان كما ولد لها. تقدمها الى العرمة لأول وأصاءه ثم دخل العرمة الذبيه وحس باسظار أن توافاه، لكن بيروشكا توقفت، جاءه صوتها

- سيب (جيل) شك سيب (جيل جداً)

وقال لها

- ادخلا - لديكما الوقت للعرمة

قالت بيروشكا:

- لا نطيع.. دعنا - أبة مفاجأة هذه؟ أبة مفاجأة؟

وحين وصلت إليه، كان في عيها عتب ودهش، كانت، على نحو ما، خائفة، ومن جديد، انبعت في خاطرها هذا السؤال: «أليس هذا غملاً لاصطيادنا؟» قالت وقد اغتربت منه: - وبعد؟ قل لنا من أنت؟

كانت الصديقة في العرمة الاولى ما تزال كانت غارس إحساساً بالعرمة كرم صديق بيروشكا وليس صديقتها قررت في داتها ان تسمع شيئاً من الموسيقى ونسأدن بالانصراف إليها، بعد كل شيء، ضيقة وليس لها صديق هناك. وليس من المستحسن، أن تحاول التقرب من كرم، لكنها، في داتها أيضاً، كانت تحن على صديقتها من الأعراف بدهشها، غالب في نفسها: «هذا الإنسان خطر بأكثر مما تصوّر، إنه يتخذ منهجاً هذا وسيلة لاصطياد المجهبات إن امرأة تدخل الى هنا لا تخرج سالمة هذا المجهود، الذي يخط نفسه بالعموض، ويحق من سعة، ويملك مثل هذا البيت، ومثل هذه التحف السادرة، ثم لا يتحدث عنها، ويدع للرائر ان يرى ويدهش، ليس إنساناً عادياً، وتصرفه بطوي على هدف، بل على أهداف إنه يهمه نفسة الآخرين، له حساباته وهذه البيروشكا، في معنى دأه كي - حبيته سائماً أو رائراً عابراً، وصدقت انه استاد اللبنة العربية، وان مهمته في البحر تقتصر على التسليم في الجامعة لا أنا لا اصدق لا بد من تحدير بيروشكا ولا بد، من جهة اخرى، ان اكتشف غايه المسترة.»

جلست الصديقتان أخيراً. كانت موسيقى صينية ناعمة تسمع من المسجل وكانت الأصواء الملونة تصمي على العرفة، بتعظيمها ونغائدها، جواً مضاً، مخدراً، وعلى الطاولة الواطئة، المتديرة صفوف من السكاير الاجبية، وعليها بعض الموالح، وعلبة من عيدن الخبز المالحه التي تؤكل مع الويسكي، وكل ما يتنى مع الجوى، ويغطي إحساساً بالراحة، وزعراء يتدوى الأشياء، ودعوة الى الشرايب.

قال كرم وهو يهيم:

- استأذن لحظة سأخذ لكما قهوة تركية

وقالت بيروشكا بصوت حميم، بعد ان صار كرم في المطبخ

- إنه أمر.. هذا أمر شرقي.. ما رأيك؟

- لست ادري. لكنني أخاف أن يكون اميراً رائداً. أنا لا أصدق أن أسناناً يملك كل هذه الأشياء يأتي لينسل في امر وما حاجته الى الشغل؟

قالت بيروشكا:

- وكيف وصل الى المجر، وبأية صفة؟

قالت الصديقة

- لعله يمثل دوراً. قد لا يكون أستاذاً في الجامعة، ولا علامة به بالإداعة..

- وهذا البيت.. أما قال إن الجاء يعود الى الاداعة؟

- من يدري.. بوذي لو أنني نظرة على هذه الكتب فوق مكتبه..

قالتا ونهبت. وصفاة رفعت كتاباً في يدها وصاحت

- انظري. هذا الكتاب يحمل صورته. إنه مؤلفه ولا شك

في هذه اللحظة عاد كرم بالقهوة. كانت قهوة مركزة كانت كثيفه بالنسبة للقهوة المجرية، وكان مذاقها طيباً وكان التبغ فاحراً وماد جواً من الضباب، برشمووا القهوة خلاله، وتعالق حلقات الدخان، وكل يهكر في شيء ما، متصل ومفصل، وكل ينظر أن يقول الآخر شيئاً، أو يهضح عما يدور في خاطره

قال كرم وهو يهيم:

- لنفني ههنا ما يشرب.. ليختر كل ما ما يريد.. أنا أقفل الموناي الصبي. لكني لا أنصحكم به. خذوا مثلاً من الويسكي مع الصودا. وبعد ذلك نأكل شيئاً ما في البراد. إنه غشاء خفيف.. أنا، في العادة، أشرب ماء ولا أتعشى

أحضر ثلاث كؤوس وملاها، وهذا قالت بيروشكا

- الآن شرب نخب صداقتنا.

شرحت له ما يعني كأس الصداقة الأول عبد المجرى يهين الشاربون بعضهم بعضاً، ويتخاطبون، بعد ذلك بصفة المرء.

رفع كرم كأسه ودفق الكأسين القديسين وشرب ثلاثهم، ثم تبادلوا المصلات، ونادته بيروشكا، للمرة الاولى

- كرم!

وكان في صوتها دواء خاص، وتأثير خاص أيضاً، والتمعت في عسيها، نظرة مودة، وأدرك كرم، أن عاطفة جديدة، حارة، تؤشك ان تولد في نفسه، هو أيضاً.



قالت الصديقة

- يا ثمة في، ارفع في ذلك، لكني مسجعة مع هذه  
للموسيقى، وهذا الويكي العاخر، فلا تطلبني مساعدة.

قال كرم

- في هذه الحال، بعد العشاء، بيروشكا وان

قالت بيروشكا

- بل أنتي تبقى صتريماً.. دعني أتصرف كما لو أنني في بيتي  
كرة أخرى، أعدت عاريه كما لو أنني في بيتي، محي ودياً جداً  
في التمييز. طريقة وقوفها، ابتلاش الشعر على الجانب الأيسر  
للوجه، اهزار الصدر تحت المصيص الرياضي، عه الصوت،  
طريقتها في الكلام، بسماسها المدلّ بالاعتداد، المتساعجة مع ذلك  
الى درجة الاستئذان في أن نكون كما في بيتها، أبحثه كان تبها  
يسمر في عبيها، في شعرها، وطمولة محبة، تُردُّ الى البراءة، تصمي  
على كل ما فيها عدوية بامة، من تلك البامات التي في أشعار  
الحديقة، وأحياناً على حافة ناعده كات امرأة في إهاب فة،  
لولا أن المرأة تصعب على نحو ما في الحكايات، بصوحاً يسبي  
المر، ويشج بالخمر والإثارة ممأ

قال لها

- بيروشكا!

مظوت اليه، في عبيه مباشرة، وأجابته بلهجة مبرية آسرة.

ايكن (نعم) (ثم استدركت بالعربية) لا..

ابنم لم يزل شيئاً كان يستمتع، هو وبه، بصوته هذه المرة،  
صوته الذي حمل كله بيروشكا دون أي لقب، واجداً بظه يوسفاً  
على غير عادته..

- 5 -

أكثر ما أعجبه فيها شعرها، كان من محي الشعر الحبل المس  
على الكسفين المتموج على صفحة الخند، دي الالتاعه الخاصة، كأنه  
شلال حرير يهجر من قمة الرأس، ويسرق على جانبي الوجه،  
مغطياً لنسبها، بفاعه بدارعه، للوجه البصاوي، به تري بأن بد  
يده ويمد، يداهب، يلهو، يحلم بدينا من غير ديانا.

مد رآها، في مفتي «ام كي»، قال في نفسه: «يا لروعة هذا  
الشعر»، كان صاها الرطب، قامها المشووه، عبيها، كل جسمها  
المس، في بكوبه البديع، لصاة ساعفت الرياضية في حارموسها  
البديهة، وأبررت، على نحو منبر، مدتها، في الصدر، في الردف،  
في الخصر، كان كل ذلك، جديراً بأن يلعنه الى حفا، وأن يسحره  
ايها، لكنه من دون كل تلك الملاحه، أعزم بالشعر، ومي في غير  
دعنة، أن يتحلقه بأصابعه، وهو ينظر في عبيها حولاً وعدما  
تفترحت بمصوبة فتاة بربنه أن يشربوا بحب للصديقة الجديدة،  
لاسي الشعر الحريري صفحة حده وهي تفكله، فاستمر نشوة فاعمة  
مرجة، تمأها لو تدوم طويلاً

قال في رعية تنع من الطلب

- أمتطع، بظليل من الجهد أن أعد لكها عناء خفيفاً

وصحكت بيروشكا

- ماذا يا كرم؟

- كنت ماذا أريد أن أقول..

- إذن تذكر على مهل.. هل أستطيع التصرف بحرية؟

- بكامل الحرية - اكتشمي الأشياء دون مساعدة مني.. للطبخ

أى بين اسخل، وإلى البار عرفة المؤونة - لن تجدي فيها سوى  
بعض الملأت.. لكنها تكفي - هيا يا صغيرتي.

قال «صغيرتي» بفصد هذه المرة. وجمدها مضرة عن حبيبها ما  
يسمى من فارق العمر - كان يشعر - وهو في الأربعين، أن بيروشكا،  
التي لا تتجاوز العشرين، مثل ابنه لو كان متزوجاً، وهذا الشعور  
الذي كبح اندفاعاته نحوها، كان صادقاً، فهو يدكرها يدكر نفسه  
أيضاً، أن ثمة هوة، وأن اشتغال عاطفة بريئة، من طرفها على  
لأقل، بحبيب استعنته الخلفية وفي مطلق حال، من الضروري  
تسيبها إلى هذه الحقيقة كيلا ينجفها أمل صعب التحمل، ولا ينجف  
روح، مصدره شهوة مصفرة.

كانت التلاجه، في المطبخ، ملأى باللحوم والألبان والمأكلة  
والخضروات وثمة، في طرف من المطبخ، مائدة وأربعة مقاعد،  
وهناك خزانة للأواني، ورجاجات مبردة وكل ما يلزم إيم، من  
هذه الناحية يحرص على أن تكون الأشياء موهورة، برعم أنه  
يتناول وجبة العشاء في نادي الصحفيين القريب وفي الصباح  
يكسي بعضاً من المهوة وقطعة من البسكويت أما في المساء فلا  
يأخذ مع الويسكي إلا بعض الموائج كان الطعام، بالنسبة إليه،  
مادة لحظ الحياة، والشروب كثيراً للشهوة، أما همه الحقيقي

هكان محصوراً بالفتوة والميكارة.. لذلك كانت هاتان من  
الضروريات، وموهورتان بكثرة صده

قالت الصديقه التي ابعدت الآن، باحساس أشوي رهف عن  
جمال التفكير بأي صلة منه

- بيروشكا صديقه منارة.

قال كرم

- وأنت صديقه منارة أيضاً

- أنا؟ (ابتسمت) أنا شيء آخر

- كيف؟

- هكذا.. أنت نفهم ما أعني

قالت بيروشكا التي جاءت من المطبخ وعلى صدرها مربله  
لبلكنة وغامت بالفرحة بسما

- صديقتي موهمة بالمر.. لها محاولات في الأدب الرمزي

قالت الصديقه

- في اللوصوح الذي لمي فيه، لا يحتاج الأمر إلى رمز، كونا

صديقتي طيب، وهذا يبرني

قال كرم

- لنكي، ثلاثيا، اصدقاء..

قالت الصديقه متابعه فكرتها

- أنا خارج اللعبة..

- لماذا؟

- لأنه لا يمكن أن أرم من نفسي عليك - أنا أيضاً، لي صديق

قال كرم

- وليروشكا أيضاً صديق.. أليس كذلك؟



- لا صديقة ولا روجه .

- كم روجة يأخذ الرجل في بلادكم؟

- الشرع يسمح بأربع زوجات.. لكن الناس، في وقتنا الحاضر

لا يتزوجون بهذه الكثرة . المتفنون يكتفون بواحدة

أبداً

- هذا سؤال تقديدي، بطيب للمرأة العربية ان نظرحه على

الرجل الشرقي دائماً الصورة تعيرت الآن، لم تتغير كلياً، لكن

الرجل الشرقي ليس في عبادة الرجل البدوي المروعة عنه . إنه لا

يتزوج كما كان يفعل السلطان عبدالحميد..

- وانت؟

- أنا لم أتزوج بعد .

- لماذا؟

- هكذا.. لأسباب خاصة..

- ولا تريد أن تفعل؟

- لا أفكر بهذا الآن..

- هل ثمة عوائق؟

- قالت بيروشكا بالهرية

- كفى الماد الإخراج؟

قال كرم وقد فهم من عبوس وجه بيروشكا أنها غير راضية

بالجراح صديقها

- دعها يا بيروشكا . أسئلة كهذه لا تصابي . أعدت

عينيها ليس لدي أهداف تحت التاب

أبداً

- لم أتزوج لأنني لم أحب.. قد يبدو هذا قريباً . لكنها

الحقيقة . ربما كنت أنفر من قيود المروحية

- هذا لأنك كاتب؟

- أنا؟ كاتب؟ . من قال هذا؟

قالت الصديقة

- رأيت كتابك على المكتب.. عرفت ذلك من صورتك عن

العلامي لماذا تتكلم؟ أم تراك تحب الموسيقي ككل شيء في

متحفك هذا؟

- قد أكون غامضاً . هذا طبع أكثر منه دهاء.. في محاولات في

الكتابة، لكسي ، حتى الآن، لا أعتبر نفسي كاتباً .

- ماذا تكتب؟

- الرواية . والنصصة القصيرة

- كم رواية نشرت حتى الآن؟

- روايتي.. وبعض القصص..

- ولا تعتبر نفسك كاتباً؟

- لم أكتب ما يلقى جدار الصوت

- وهل هذا شرط ؟

- أنا أراه شرطاً

قالت بيروشكا

- جودي أن أقرأ يوماً ما تكتب يا كرم

- لا شيء متميزاً . ولا شيء بهري

قالت الصديقة

- الآن صار الأمر واضحاً.. أنت كاتب، ولأنك كذلك تريد أن

تسمى حراً . أن تشارك، ترى، تجرب وإقامتك في البحر، نوع

من التجربة وهذا البقاء، النوم، جزء من التجربة أليس كذلك ؟ إنك تعلمين ، صديقتي واد ، فأرتين في عرفة سريح قريباً سنرنا على قطعة خشبية وفي قميص ابيض ومشط حاد، نقوم بالاخبار اللارم على جديده . هل انا حبيبة

- ليس فاما

- كن صريحا .

- انت تجومين ، كمنحلة في الربيع ، حول وهرة بيضا .. أنا سأقدم لك هذه الهرة سأعطي عيسك إذ انطبت التعبير عن نفسي . لست صاا تجارب ومن أكون أدع التجربة تحدث لناديا أترك الامجرة تعرض نفسي عن الواقع حتى الآن ، لا بحرية ولا معجزة .. لا أركض وراء قصة حب ، ولا أعطي مبة عبيبة . يمكنك ، من هذه الناحية ، أن تكوني على عتبة الاطشبان

فانت يروشكا

- أب لا أبالي في علاقتي بالناس ، بالمدار الذي به تحربه ، أو فيه يقع حاصي وسأكون صمدا ، لو جاءني يوما رسام وقال لي " أريدك موضوعاً للوحة " إذا كان لدي ما يمد لوحه بهذا شيء جيد ، إذا كنت قادرة على إلهامه صورة ما فهذا حسن لا أعبر ذلك قصصاً ولا خديعة كل تحربه ، هي فائدة لطريق ، شريطه ألا تكون مفتعلة .. من جهتي أحب التجارب ..

قالت الصديقه

- هل هذا لأنيك تحاولين ان تكوني شاعرة ؟

- لا .. لأني إسمانة وكفى

- لاحظي أنك تقدمين نفسك كضاة بالغة الاعتداد ..

- وما المانع ؟

- في هذه الحال أشرب محب ثقتك الكبيرة بنفسك  
قالت يروشكا صاحكه

- لكن دون غرور ، أنا قادرة أن أأحد ما أريد وأن أطلبه  
أيضاً

- وماذا تريد ؟

- لا اعرف بعد .. لدي إحساس ، لكنه كغربة ما رالت تحت  
تلج رثمي

- هذا تعبير شاعري

- ربما . ما تقصدين ذلك . وأحسب أن كرم يواصني ..  
قال كرم :

- كل رغبة مصرة ، يسبقها احساس يكون مبهماً في البدء .  
الإحساس امره ، المظني مع نفسه ، هو الفادر على اتخاذ موقف من  
إحساسه حين يعلن عن ذاته في صورة رغبة محددة .. يروشكا  
صرخة ، وعلى حين

قالت الصديقه في غير جهد لإخفاء انزعاجها

- هذه مجاملة .

قال كرم

- بل تعبير عن إعجاب ..

- لكل شيء غم

- وإذا قلت لك إني لا أطلع الى أي شيء ..

- أصدك لكك ، عذتد ، تكون في المادري .. أو لديك

صاع

- قصة " مانع ما " هذه قلنها سابقا .. حين سألتني عن السبب

في عدم رواحي حتى الآن.. لست ملوماً بالنعيم . قد يكون هناك مانع ما ولكنه يختلف عما نظن

- بوجهية فلان إذن - إذا لم أقل أكثره هل لي أن أطلب كأساً أخرى من هذا النبيذ الصبي؟

قالت بيروشكا

- لا تسري في الشرب.. إما في جو بهيج.. ولما طرعت متناولين نحن أصدقاء.. للشرب، مرة أخرى كأس صداقتنا .

فكر كرم في نفسه «هل أثرت عيرتي بميلي الرائد إلى بيروشكا؟ في هذه الحال أكون محطناً أسوأ ما يصادف الرجل أن يكون، في جلسة كهذه، بين امرأتين.. لو كان لها، هي أيضاً، صديق هيا كان تؤثرها الداخلي أقل.. بيروشكا قالت لها: «لا تسري في الشرب» هذا سيؤدي بها إلى مزيد من العدوانية، أو إلى السكر السريع ثم شيء غير مريح لها.. يترجم عن نفسه في هذه الملاحظة المستمرة.

شربوا كؤوسهم بشهية وبشاط. هم كرم ان يقول شيئاً.. ووت بيروشكا حرفة ضحكها كرم وحده، أما الصديقه عند أسألت ما حبوا ان الكأس قد صرفها منه. قالت

- اسمي يا عزيزتي بيروشكا: اشكرك على تضييحي إلى عدم الإصراف في الشرب ربي، في الحقيقة، احسن بالانحدام مع نفسي أرغب أن أشرب ما دام صديقاً كرم قد نلظف ودعانا وحتى لو سكرت، ماذا يعني هذا، أنا أيضاً كي نقت أس، أمامها ما دام لا خطر قد لا أكون شاعرة، وبعبدة عن دراة الادب بحكم ميلي الطلي، لكسي أستمتع بصحبة روائي . وشاعرة!

قال كرم مدارياً الموضع.

- أشكرك، يا عزيزتي، على هذه الالتفاتة من جهتي أكون سروراً لو تدوقنا أنواعاً أخرى من الشراب. لا أحب أن نتذكر بأنني مصعب وأنكيا ضيعان . أحب أن الصداقة التي شربا كأسها مد قليل، قد ألقت هذه التكيليات يساً أنا صديقك، مثلاً صديق بيروشكا .

سم أنت تعارفين بأكثر مما يجب.. ما أردته هو التالي. بيروشكا، وبصادقه بحتة، معرت اليك في المنهي، مدئت وهي نصرف بحق هذه الصداقة هي نمرى أن لي صديقاً، ولا أفكر، حتى مجرد تمكيز عابر، أن أصرفك عنها إلى نفسي كمن شئت أن تكون. طست نمبه بأمرك، بكك وأقدرني على صراحتي، لست من النوع الذي أفهمه.. انت غامض، غامض، غامض. هذا المتعجب ليس إلا صفاً أعرف أنك لم نصب هذا المع، لكن هناك طيوراً كثيرة مهياة لأن تقع فيه، وبيروشكا تجارف إذ تمحك ثقتها من اللقاء الاول لا أريدها أن تكون صيداً حولاً إلى هذا الحد..

قالتا وأصامت:

- أشكرك يا بيروشكا، على ترجمة كل أفواحي بأمانة.

ساد صمت بعد هذه التكيلات.. استحييت بيروشكا من اللددة

ظل كرم جالاً راح يمر بأصابعه على الخشب قال في نفسه «هذه الصاة ذكية بعد كل شيء دكاؤها من النوع المحبوس أصدت الجو يمر عبر حفت ما أرادت، لكن ما دب بيروشكا؟ على ناعدي، تحط كل يوم بامانات صميرة، جيهه أنثر لها الحب، وأصع لها الماء بيروشكا لست يامه أنا م أصع لها طعماً لست صاداً على النحو الذي فكرت فيه لست عامصاً إلى الحد الذي الذي

تصورته أنا لست في المرة لاصطياد جامات من أي نوع - صديقي  
البرمان فرائس، قال لي «لا تكن عجرياً مع النساء الجربيات»  
جساً هاهي عجيرة عجيرة مع رجل عربي - تاجي، تهمي،  
وتصدر حكماً علي - بينا كان ذلك يفعل السكر، لكنها لم تعد  
الومي أنا لا أستطيع ان ادفع عن الشراب ولا أستطيع أيضاً،  
أن اقف الى جانب يروشكا هذا - لا أريد، عند اسبوعي الاول،  
خصاماً من هذا النوع علي أن أتحس أن أدري الموص، وحين  
تصرفان أكسب صمعه في يوم في أول مها إني علي رعي بمره  
المرأة، لم أعرفها كم يجب بعد - لكني، بعد هذا، لب هالكي أدرس  
المرأة، أنا طير شرود طير مهاجر، وعداً عندما يد أموم العودة عند  
نصح الظروف، اعود الى وطني لا أريد الماء ولا الارباط ولا  
أية علاقة عاطفية.. لقد عجزت عن هذا طوال سنوات مصت..  
الجمرة بالنسبة لي، لم تحدث بعد.. الحبي القضي الجسود يعيش في  
داخلي، يؤرقني، يهديني، ولكن إن؟ يروشكا، مها كانت  
العلاقة المقبلة بها، ان تكون إلا علاقة عابرة.. علاقة قد تكون  
كبيرة، حميمة، لكنها ليست هي المرأة التي أعلا كاني، نطبه نظره  
الأخر الصانع، الذي لا أعرف أين - ثم طارق العمر؟ أحب؟  
أحذع؟ أنلاعب بملب يمارة صميرة؟ ومدا تكون النسخة؟  
الروح؟ كيف؟ المشرون عداً بيما؟ إني أدخل مائة علي أن  
أوصف قبل أن أوعل بها، ومن أن النرم معهد لا سل اي الوفاء  
...»

بهت الصديقة وذهبت الى يروشكا في غرفة للكسب، لم  
يحق بها تركها وحيدتي - صبي ما سمي في رجاجة التبيد وراح  
يرشها على مهل وحين نادته يروشكا، وقد صالحتها وبعصها،

وعادت الالبسة الى وجهها، كان أثر الدمع ما يزال في عينيها  
طلبت عليه سكاير «كنت» ضج الخراطة وقدم لها علبة، وأخرج  
«كروسي» «أهدي كلاً منها واحداً جلس يدهن دون أن يقول أية  
كلمة

فالت الصديقه وقد بهت  
- الآن أستطيع أن أودعها.. لقد تأخرت  
قال كرمو  
- سألني منك .  
وامعت يروشكا

- يقوم بزهة صميرة.. أشعر بحاجة الى الخروج  
ركبوا سيارة أجرة من أمام نادي الصحافة، انطقت بهم الى  
الموان الذي أعطيه الصديقه عليها ودعب وانصرفت فالت يروشكا

- كرم! اب لب عاصا من تصرف صديقي؟  
- أبدأ

- قال أشياء مث

- هذا لا يهم

كسب طناً معها على كل حال

- وهذا ب يجب

- وكنت طناً جداً مي

لا يعني هذا اب صديقه عزيزه

- أب لا تريد شيئاً مي؟

لا شيء

- لماذا كل هذه الوليمه بدن؟

- بحاجة مازها.

- لا أشعر بحاجة الى النوم .

- ولا أنا

- لنعد الى بيتك إدس

- بل الى الكلية

- أنت لا ترهيني إدس..؟

- أريدك جداً.. ولكن بالنسبة الى اليوم يكفي .. عودي الى

كلبك.. أعطي الموان للسائق

- هذا قرارك الأخير .؟

- نعم . بالنسبة لهذه الليلة

- قبلي ادس..

- سأفعل عندما يصل..

ترجلاً امام باب الكلية . وحين ألقت بحسائها بين ذراعيه .

كانت سعادتته هائلة، لقد داعبت يده ذلك السر الذي افشى به .

ويكتبر من الحسا قبلها في خدعها قائلاً

- ليلة سعيدة يا عزيزتي

- ٦ -

كما العصفرة ، حين لا تسد ذاتي ، ونكوب الرذيلة مرهضة بمقل  
بارد ، يكون المعاف ، حين مرصه على انفسا ، مدعاة لألم شديد

كرم رخص اقتراح بيروشكا أن تأتي معه الى البيت ، لاد بمسحة  
من التماسي ، وأنر أن يتألم هو ، على أن تتألم هي ، حين نكتشف ،  
في الأيام التالية ، أنها سرّعت ، وأسست نفسها إليه من اليوم الأول  
لظنار..

هذا سطق عقل لا سطق قلب ، تحليل إرادة لا عاطفة . لقد  
كبت عاطفته وعليه أن يتحمل عذاباً بغير ضرورة

بعد أن عاد الى البيت شعر ، فجأة ، بمرح . هل يدم لأنه لم  
يرض بعد بيروشكا ؟ كان يمكن أن تسمى ، وأن يحيطها  
بالاحرام ، ويصوبها ، ويحاط على مودة الصداقة البريئة بينها  
لكنه ، في تروة كبرياءه ، رخص ، الأصح حال التجربة

وقف الى الناعمة ، كان القمر في بيانه التي يكتمل فيها صوره  
النتشر في سماء صاعدة ، يسطر رحابه كون ، يريد هأؤه على نحو غير  
مجهود وكان إحساسه ، جيد الصوت ، يبيع ، ويخرج ، ويحس من آخر ،  
يبيع ، بسبب من أنه استمت اللذة ، في نظرات امرأة ، معنى وجود  
جديد ، موزق



وعندما ارتد عن القادة، وضع شريطاً جديداً لفيروز. أصمى طابعت معه، حسب كلاً من اليزانوف، يرده بمطمة تلج، استشر رغبة في الكتابة، معرونة بحاسة غير موهودة، وشاعر غير موهودة بصباً، لكنه، في محاولة لأكسده الانطباع الذي حمله في يروشكا افترس أب تشلطي على سريرها الآن، حالة بما لا يبري، وهذا السؤال يرادها « من هو كرم الجاهدي هذا؟ وأبه يد مجهولة دعت به من الشرق الأقصى، بالبحر، بواذيب، وجمعه، على غير سعاد، في في معنى «ام كي»؟ وقال في نفسه «إنما تجهل من أنا، وهذا ما يثيرها ويثيرها في أن»

كان سبباً كما لم يكن في أي لغة سابقة، ومرتكاً، لعمره عن تحرير ترجمه عاطفياً، وكان حديراً ورعباً في أن يعود إلى يروشكا ويدهوها للسر إلى جديده، لكنه، لأمر ما لعلها الرغبة في تعذيب النفس رمض مذبضة بحمله عصبياً كما قال له اليارمان عبراسي قال في نفسه: «وليلة مقابل صبحه؟ لا هذا سلوك خبيث.. قد تأتي الصبحه، لكني لا أريدها بدلا، بل نكرمة حبه إمارة صبحه أميره من بلاد الديوب، غير أن شيئاً مقابل شيء، بحلبي أي تاجر يسدل ربه، هب، ليس للنعاره وصبحه لن يكون معاً، وسلوكه لن يحط إلى درجة التحرير بأيام قادم.

صاحب مبدأ هو، ومن أجله، دانت يوم تترد عن وطنه البعيد عرف الجوع، نام في محطت امرو اخبأ تحت حجر لسمي البرد والعيون، رجل، لا مال، لا عمل، لا بيت، لا حبيبة سفر.. خمس من السنوات مضت، خمس طوال، سنوات معي، والوطن حرة مشاعر، والآه في القلب، حرة، والشمس تعرف، والفمر يعرف، وهو يسم، لأنه مكتوب، من تاء الارتجاع على الشدائد، عنه أن

ينتم، إلا أن الأسى نبر، ومن يمع النهر، أن يشق ملاً في الصدر؟ وكان اسل سؤالاً مستقاً في مساء الأيام لماد؟ وفي الجواب بيت من الشعر: من الذي، في الحب كما أديم الوطن؟ والمكانة مع وحرمان. «أيا الوطن، باصرة مشاعر ندية كالنهر، حاسة كدموع الطفل، ماذا جيت أنا؟»

في الصبح مات إسباني حاجر.. ثلاثون عاماً من الغربة والنرد ثلاثون عاماً من الكدح صد فاشية هرايكو وأخيراً توقف القلب النابض عن طاوله حشيه والنعم الإسباني عن النابوت ومهاجرون مثله صعيون مثله، تجتموا حول النمش، وبهابة عرف الشهد الأثمي، وذده الذي احترقت قلوبهم على شفاهم، ثم تدمت الدرجة، رفيعه الصال والغربة، وتناوبت وردة من النابوت هذا كل ما بقي، وهذا ما سوف تحسسه يوماً، إلى الوطن

لقد احترق كرم أن يهر الليلة وحيداً لفيروز عنت به في وحدته. ومن مساء العرفة أطل وجه المناضل الإسباني: «أنا لم أعت يا رسمي أنت، وهو والآخرون، والآخرين، وشمي، هناك، ووطي، والديا، والرماني، وقال في نفسه «من أجلهم، هؤلاء الشهداء، ومن أجل الأحياء، يجب أن نضي، وأن نعمل».

في الصبح لم يستطع أن يكتب السببة لا تعطي إلا في أرضها صبح أنه تسلى جمع نحمأ، آخرن حسباً لكنه لم يكتب، وهذا ما أرقه، ثم مشى به الشوق في طريق المودة طريق الاقتراب من الوطن أكثر. وهاهو في بودابست.. لا يتقصه عمل، ولا بيت، ولا مال بل شيء أثم، لكنه مجهول، بمر اسم وهو يريد أن يجد له اسماً، أن يعرف ما هو، وما سر هذا البروع الاكثاني، الذي يمسد عليه سعادته، كلها أصبح وحيداً

مكر. «هل العربية هي مصدر هذا الإحساس بالقلق، أم أنني قلق بطبعي؟ لم أعرف الهدوء في الصبي، وظنني أنني لن أعرفها في البحر، برغم هذا الجو من الحياة الاحتفالية المبهجة التي أنا مبتل عليها، وهذه العاطفة التي تبدت اليوم في عيني يروشكا»

ظل يروح ويحيي في الغرفة، بين المدخل والمعدة. كانت الحديقة تلي ذلك كانت مستطيلة، ممتدة بشبكة حديدية، ذات أشجار باسقة، وفيها زهور، وخضرة وسحب لندرة الطائرة، وحشب، وفيه، وفي ضوء القمر، كانت ظلال أشجار تعطيها جواً من المهابة، وسط الصمت والامتكاسات الأصواء من التواء، ورنه المدينة التي تنفس عبثاً صيفياً خاصاً وفاغياً.

هنا، في هذا البناء المؤلف من ستة طوابق، كان عليه أن يعيش، أن يكتب، مكثراً روايته التي بدأها في الصبي وأتمتها بعد الأيام الأولى لوصفه، لمسه أن سكان الباء حبيب من أجاس جهم العمل في الإذاعة أو الجامعة وكان في الطابق الأول والطابق الأرضي، ثلاث أو أربع من العائلات العربية، رزدها عائلته هائلة، بعد أن جاء الرجال، ليلة وصوله، وسلموا عليه. وكان جاره، في الطابق الرابع، طبيباً موهباً للميل في القسم الإيهائي من الإذاعة ومعاينه، على طرف القوس المستطيل نساخه، يسكن رجل امكثري وروجته، وثمة، في الطابق نفسه، عائلتان، إسبانية وتركية، وكان رب العائلة التركية مهاجراً منه، مُرس المسمى عليه مرحباً، فهو يمس في القسم التركي، ويشكو الربو، ويكتب قصصاً قصيرة، وقد احتسب به حفاظة غير قلقة، لأنه يعرف التركية، وتجمع معها صلات المكر والسعة

لهذا حين طرق الباب، في نحو المباشرة، حسب أن الطارق هو

صديقه صاه التركي. ولقد سرّ بذلك، فهذا الإنسان، رقيق الخاشنة، للريح. كان فيه شيء من الأبوة. كانت طبيته، بوجهه المريح، وثأريه المنهكين على عه، تمنح صداقة صدوقة من الوجهة الأولى، وقد اعترم كرم أن يصرّ عليه ما جرى معه الليلة، غير أن الطارق لم يكن صاه التركي، بل حسن الإيراني، وكان حسن هذا شاباً في نحو الأربعين، رباعياً، خنوقاً، تعرّف عليه في الصبي، ثم هاجر قبله إلى البحر بعد أن تزوج حبسية، وله صها ولدان، كان حسن من تيرير. ومن خباط الجيش، وقد هرب من إيران، إثر الانقلاب الذي وقع على مصدق، وبيع منه الشاه ماضيين بتدبير كثيرين. وبسبب ما لا يهل عن ٦٥٠ صابطاً في الجيش، حسن يحد بأعجوبة، استطاع الوصول عبر الحبال، إلى ادريجان السوفييتية، ومنه إلى موسكو حيث درس وحصل على الدكتوراه، لكنه، لإجاده التركية، كان يدرس فيها في الصبي، ثم في بودابست بعد ذلك

دخل حسن دخولاً صاعباً كعادته، وبلطة عربية، ذات لكعة فارسية، صاح وهو على الباب:

- السلام على أمة العرب

ردّ كرم:

- وعلى أمة المعجم السلام..

قال حسن

- ليس هكذا يا صديقي. لا تقل أمة المعجم... هذه كلمة

سيئة.. قل أمة العرب

قال كرم مازحاً.

- طيب.. ولكنك من المعجم يا حسن. لماذا تذكرني لك

العربية تصحك.

- أنا أنكم العربية على طريقه سعدي النيراري

- سعدي كان يقى العربية، وصعب أشعاره فيها..

- هذا دليل على أنا أمة ذات حضارة.

- لكك أنت تتري لا أكثر

- وهذا التتري جاء لدعوتك الى سيرة في جزيرة مارعريت .

وصبح كرم دهشاً

- في مثل هذا الوقت؟ الساعة تجاوزت العشرة يا حسي!

- وفي مثل هذا الوقت تبدأ السيرة.. ألا تتحدن أنها البدوي؟

هيا . سنكون سيرة نعمة

لم يستطع كرم التمسك، فابتاد الى صديقه وخرجا..

كان الليل قد ابتدأ اكثر.. أصواء المدينة ما زالت تشع  
حاملات الزحام تأتي من عدة جهات تدور في ساحة يحد منها طريق  
الى جسر على الدانوب صمدا الحافلة. كانت عاصفة بالاس،  
بودابست لا تنام هذه ليلة الاحد، المفترض أن الذي سهروا لديه  
البيت، وهم الكثرة، قد عادوا الى بيوتهم للراحة، مع ذلك المدينة  
مزدحمة، نشطة، فرحة، ابتجة. قال كرم في نفسه: «هذه باريس  
أخرى» أضاف: «هذه باريس دون شارليريه، دون مونمارتر، دون  
حي لا سي، لكن لما هي بصاً، شوارعها، واحاؤها التي لا تمل  
روعة غوث ذلك فيها الدانوب، الدانوب الازرق.. هذا الذي لا  
يمرغه إلا من وقف عليه. شاهده للاً.. أدرك سره في وقفة طويلة  
يتكلم خلالها جاله شيئاً فشيئاً.. كانت هناك اجسور، السج،  
الأبسة، الأصواء، والنساء تنساب هادئة، بكاد لا تحس باسمائها،  
لا تهم لمتها لكها تتكلم. مياه الدانوب تتكلم، ولها ررقاه، ومها  
موسيقى خاصة، مرحة، فانسية، ومها يعكس القمر، وتشكل

هاويل لوبه وعلى الصعيص عشاق.. بودابست مدينة العشاق وقال  
في نفسه «آه يا مدينة العشاق ما أروعك»

حالا على الجسر مرقا، في الرحام، غلل الجسوم، شها صوفاً من  
المطور. وحين صاروا على المصيف.. وجد حسن من واجهه ان  
يشرح قصة الجزيرة

- هذه الأرض، التي تنظر البحر الى شطرين، اصطاعية، أممي  
لم نكن كذلك في الأصل، لم نشأها الطبعه بها الإنسان  
مارعريت، ابنة احد ملوك المجر، رجعت ان تكون لها جزيرة  
وللدها حق رجعتها. انشأ هذه الجزيرة، وأطلق عليها اسمها..  
- يا للروعة! هتب كرم..

قال حسن

- الجزيرة في النهار، مشرته.. هيا يتشره الناس فيها مسبح  
كبير وعلى الصب، من حواله، ولها فات بعيدة، نستبي آلاف  
الاجسام.. فتشم في الشمس.. تسترخي، عارضة اشكالاً جيدة  
نساء فائات يحمل البك أنك في الجبه هيا المهوريت التي  
وعدنا بها.. اما في الليل، وبين الورود والأرهار، وهي مدهد  
متناثرة في كل أنحاء المدينة، فلا تجد مكاناً الا بصوبه حين  
مري شيبين متعابين، متعاصرين يتحجب، يمانان، تخشى ان  
تتكلم صمومها.. لا أحد يسأل الآخر ماذا تفعل.. كل زائر يتزده  
على هواء، يثني، يجلس، يميل حبيبته، يارس حبيبته، كأه وحيد  
في الجزيرة

قال كرم في نفسه «لا بد أن اروح هذه الجزيرة مع يروشكا .  
تري تحب يروشكا جزيرة مارعريت هذه؟»

قال

## ٢ - وهذه الأصواء، والأسية ٢-

- هذه مفاهيم، مراقص .. مضامير .. الناس، ها، لبوا كل في  
الصبي، في صدورهم قلوب، يملكون، يكسبون، يحققون .. لا  
يرسون الحب على الناشئ يبدأون بالترب، والرفص، النساء،  
ثم، في نهاية الليل، يذهبون إلى الفراش يحتمون ليلهم ختاماً  
سعيداً ..

دخلا أحد المراقص شرباً سبداً رقصاً أيضاً لا ييم أن تكون  
ميك امرأة تواقصها، تستطع أن تطلب بتهديف، أية ضاة أو  
سيدة إلى الرفص .. ولن يرعبك أن تستدر .. هذا مألوف .. لكن  
النساء لا يتدنرن .. خاصة إذا حدث تعارف .. يرتصن .. يهرن ..  
والجتماع متزوج، لا أحد يفتي وحيداً أو عربياً صدق البارمان  
مردش .. سيكون جيلاً أن يتعرف إلى أمة في البحر، أن يدخل  
الاجتماع البحري، أن يسي وحدته في الاجتماع الصبي العلق

حوالي الساعة الواحدة فادر، الجبرية، داراً حولها دورة كبيرة  
انتظروا سيارة أجرة فوق الجسر .. مرت بها عدة سيارات ولم  
تتوقف كانت مشغولة بمواصلات الأخرى، الترام والناسات،  
تولفت المترو وحده يفتي إلى الصباح محطة المترو كانت بعيدة  
اقترح حسن أن يسيرا راحب يبرون ويوقفان بلوحيان  
للتكيات .. لكن هذه كانت تفرق كالسهم .. إنها ملأى دائماً

قال حسن

- طي أنا سمود ماشين ..

قال كرم

- هذا أفضل .. الليلة للنهر .. لديها، غداً وبعد، وقت طويل

لنوم

قال حسن

- أنا لا أستطيع أن أناخر أكثر سعلق عائلي لا بد من  
النوم على تكسي ..

صحت ساعة أخرى ولم يعمروا بأيها واسطة نقل، كان حسن قد  
اعرب من بيته، ذكر ذلك عرساً، صدك أصر عليه كرم أن  
يفترقا قال

- اذهب أنت إلى بيتك

- وأنت ؟

- اتكبح حتى أفوز بواحد من هذه التكيات،

- وإذا لم يمالك الخط .. ؟

- أصل إلى بيتي ماشياً

- لكك لا تعرف الطريق

- أنا أحفظ اسم الشارع دني على الحية التي هي أن أسير

بها

- ولماذا لا تنام عدي ؟

- أريد للمودة إلى بيتي .. لدي شغل بعد ..

لم يجد حسن، أمام إصرار عديقه، سوى الإذعان، أوصله إلى  
شارع رئيسي، شارع الجمهورية، وقال له تذهب بصورة مسومة،  
وعند نادي الصممين تسطع إلى السمين هل تستطيع ذلك ؟

قال كرم

- تماماً .. إلى اللقاء .. لا تعلق علي .. لن أصل الطريق، ولن

أصبح ..

لكنه، بعد قليل، صلت الطريق وصاح لم يصل إلى نادي  
الصممين، ولا مير بين الأتبة، مرر أن يسأل أوقف أول رجل

صادفه في الطريق وسأله. كان هذا كهلاً، وبجمل أي لغة سوى  
الحرية لعل كرم لفظ عبارة «بترور أوتسا» بشكل غير واضح،  
أو أن الرجل لا يعرف هذا السارح الغري، وهكذا مثلت عدولتها  
بمعانهم

كانا يقفان على الترسيف ومن روائها فتح باب، خرجت منه  
سيدة أنيقة، على كتمها شال، وفي قدميها حذاء عالي الكعب،  
كان وجهه، في صمت الليل، يغطي إيقاعاً طروباً. وعندما اقتربت  
منها، أوقفها الرجل الكهل وطلب منها أن تتعاهم مع كرم، وتعرف  
ما يريد.. لسوء الحظ كانت تجهل الروسية. سألت كرم إذا كان  
يعرف الروسية. نظى أن العرج قد جاء، كان يعرف بعض كلمات  
روسية.. قال هـ

- صوما (بيت)

- قالت السيدة

- وأ.. (نعم)..

قال كرم، بعد تفكير..

- بيت (لا يوجد) كان يريد أن يقول لا أعرف، حسب أن  
كلمة «بيت» تأتي بالمرض، لكن السيدة ذهنت.. كيف يكون  
رجل لا يبتله في هذا الليل؟ ابسست، كان النوع عرباً وطريقاً  
وكان الرجل الكهل قد مضى في سبيله، تاركاً كرم والسيدة  
بمعاوراه

قالت السيدة وهي تصحك

- صوما (بيت)؟

أجاب كرم

- بيت (لا يوجد)

صحكت السيدة من جديد، وقالت وهي بمطية درامها  
- دا (طب)

سارا دون أن يعرف إلى أين تقوده كان يحسب أنها سوصله  
إلى أحد المصادق وقال في نفسه دلاً بأس، أدام في الصدق لقد  
قصت يوماً لا ينقصه المفاجآت لكنه يوم لديد على كل حال  
صباغي، في هذا الليل ليس مشكلة أنا لن أفسد إلى مائة عدأ  
سأحرق صياء وحس وكل الجيران بما وقع لي ومن يدري فقد  
اكسف، في بنية بيلي هذا، شيئاً جديداً، شيئاً عجيباً مودجياً،  
وهذا ما أشده، لا بأس من الصياح قليلاً، لماذا يجب أن يمش  
حائناً كلها ونحن نعرف سناً أين نصي؟ وهذا سلقى؟ وكيف  
سنصرف؟.. اللصة على حياة معروفة، ومحسوبة كهده، امص يا  
كرم امص يا بي لا بد أن تجد عرفة نؤويك في آخر هذا  
الليل هـ

توقفت السيدة بعد مسافة قصيرة حاول أن يكلمها بالفرنسية  
فهم يصيح هزأ برأسها بعباً إب تجهل هذه اللغة، لكنها حسبت  
عرباً وكانت نظري وجهه وتصحك، ومن جديد ألقت عليها  
سؤالها المجهود

- صوما؟

وأجابها

- بيت

ومصاحكت وقال

- دا

وسارا من جديد.

انما جاء كانت أنها وقعت على باب مرقص. مردان مدخله  
بأموار مبنية، وقالت له، بإشارة من رأسها  
- ادخل

لم يمانع كرم، تركها تتمهده. هباء، أهباً، يمكن أن يهر  
سيظل ساهراً إلى أن يعلق الرقص أبوايه، وعدده يواجه ما  
يستجد باستعداد طيب لنقل الجهول. سيذهب إلى الصدق، إلى  
البيت، وإذا رضيت السيدة أن تصطحبه إلى بيتها ستصيح له  
هجة.. ستصيح بذلك حافة طيبة ليلته..

تكلت السيدة مع البواب، قالت له شيئاً بالهجرية. كان في  
المدخل كشك صغير لمطعم التذاكر وبيع الدخان. أخرج من جيوبه  
نقوداً أجنبية دولار اسباني، مريك مرسى، لكن قاطع التذاكر  
هز برأسه سلباً. قال.

- فورت (عملة هجرية).

تذكر كرم أنه يحمل شيئاً من العملة الهجرية في الجيب الداخلي  
لبزائه، أخرجها وعرضها، فتولت السيدة «خيار ورقة من فئة لثة  
فورت، وتسلم تذكرته ودخل وراءها انضمت مائدة قريبة إلى حلبة  
الرقص، وأشارت به فجلاً. قالت له ان اسمها «ارحي» فخطها  
مرة أخرى «أبرجكيا». كان هذا اسم التصغير، للتعبية، على  
عادة الهريون، وقال ان اسمه كرم. ورددت «ارحي» الاسم عدة  
مرات حتى يحفظه.

جاء النادل بإلهامها ماذا يشربان.. ظلت «ارحي» كوبيك .  
وقال كرم «بودبرت» وهم النادل وانصرفوا لإحضار الطلب،  
وعندئذ سمحت الفرصة لكل منهما ان يتأمل الآخر. كانت ارحي  
في نحو الثلاثين. كانت سيده كاسنة ابسه، ترتدي ثوباً غامراً

وكامته. كما لاحظ معروفة جيداً في الرقص، بدليل ما لقيت من  
حماوة واهتمام، فقد حياها كثير من الحاضرين. وبعد وقت قصير  
تقدم رجل نصف وطلب مراقبتها فرجعت.. أشارت إلى ساعها  
وقالت شيئاً ما بالهجرية.. فالحسنى الرجل وعاد إلى حائديه

وحين أحضر النادل الكوبيك، طلب منه شيئاً، فالحسنى  
أمامها، وبعد قليل اعمل الميتر، وكان يكلم العربية، قدمه إلى  
الجلوس، وقصت عليه كيف لقيت كرم، طالبة منه أن يخاله «هل  
حبيبك ليس له بنت؟» وكان جواب كرم صيحة. لقد اكتشف  
عباءه باللثة الروسية، وأوضح ان له بيتاً، في شارع  
«بشورر أوتسا» قرب نادي الصممين، وأنه أصاح الطريق إليه،  
ولم يثر هل سيارة توصله أو أحد يذهب عليه

قال كرم:

- إني اعتذر للسيدة لرجلي.. لقد كان سوء تفاهم لمي.

قالت ارحي

- إنه طريف بقدر ما هو ثمين.. هل أنت فرسي؟

قال كرم:

- أنا عربي. ولي أسوع في بودابست. وأنا عني في شيين

الجراقبا والحساب

قال المتر

- ولكنها مصادمة سيده.. مرحب بك في بلادنا.. وسرمل من

يوصلك إلى بيتك في أي وقت تريد..

إنه قريب من هنا.. ولكنه في شارع خلوي..

طلب كرم قدحاً من الكوبيك للميتر فاعتذر هذا، لكن

السيدة «ارحي» جلته على القول، وشربوا حين جاء الطلب،

عجب الصادقة، والتعارف.. وقال للمير، بعد أن تكلمت أرجي،  
وقام هو بالترجمة

- أنت يا سيدي، مخطوط.. السيدة أرجي فتاة.. إنها كبيرة  
الميات في مرتبة مكسب هذا، وهي تعتد بك، فقد جاز دورها  
لنساء.. لكنها ستعود إليك... لا تعذر المائدة

مدّ كرم يده وصاح أرجي.. قبل يدها أهدأ.. قال إنه سعيد.  
وسيكون مسروراً أن يستمع إليها، وأن ينتظرها، حتى مطلع  
المجر.. لكنه رجا للمير، أن يعينه في الحصول على باقة ورد، من  
المير

- هذا مستحيل.. نهي في ساعة متأخرة.

- لماذا أستطيع، إذن، أن أحبها..؟

ترجم المير، لكن السيدة قالت

- أرجوك يا سيد كرم، أجل التحية، إذا كان لا بد منها، إلى  
ليلة قادمة.. إنني لأشكرك سلفاً..

غير أن كرم طلب من المير

- رجاثة ويسكي فاخرة، إلى الأوركسترا.. تحية للسيدة  
أرجي

وحيث صعدت إلى المسرح، وهو عبارة عن مصطبة حبه  
الديكور، عكس وهي تنحى إليه أصغر إلى الماء وأعجب به،  
دون أن يعهم كلهم الأعيه كاتب أرجي، الآن، في ثوب سحر  
طويل، مكتشوفة الصدر، والساعين، وعلى صدرها وردة، وكان في  
صوتها شحوة، وأعلنت في ختام وصلتها، أنها تنمي أعمى أخرى،  
هدية بصيف راثر في القاعة..

صق كرم دون أن يعهم ما تقول، لقد أشارت إليه وهذا يكفي،  
وجاء المير فشرح له، وعدده شعر برور مصاعف، وجدد طلب  
الكوبيك، مستريحاً كيف لم يسكر، وقد تدوق، في هارده ولياته،  
صوقاً من الشراب.

أخيراً عرفت الموسيقى الراقصة. انتهى دور «أرجي». بدت  
ثيابا وجاءت إليه. كانت سيدة كاملة كانت جميلة أجل ما عنها  
كان صدرها وساعديها وحيث مرت، بين الصفوف، تلت  
الحاصرون كانت دت حظوة كبيرة تسبغ باحترام ملحوظ. وقد  
أقبلت بخطى هادئة، تتباعد كأنها أميرة، وحيث قاربها كرم  
بيروشكا، وجد هذه فتاة صغيرة، طالبة، لا تستطيع، في أي حال،  
أن تصد أمام أي مقارنه بينها. قدس في يمه «لقد وقعت يا  
كرم يا لمطك الطبيب أنت مولود في سله الفقر. ولك، في هذه  
الهدية، مسعل ماهر أنت ل تكون، أيا المجرى، وحيداً  
وعزباً بعد اليوم. أب خديق يأر سبق كل ما أذخرته في الصبي،  
هناك حيث لم نستطع، لا في يمين ولا مدينة الخبراء، ن تسبق  
شيثاً، لأنه لم يكن مجال لإماتتها..»

وقب عندما وصلت إلى مائدته أي دلال في شيتها، بمسها،  
ابتناساتها وأي مجاملة هذه التي خصته بها؟ هتم في طامه «يا  
للدوق الأرسرطي ادخلت معي إلى المرض، عدت بمسها رحمتي،  
محنني صداقتها، ولحيث ألا أكون وحيداً هذا هو التصرف  
الغصاري.. بيروشكا، يا بيروشكا، يا فتاتي الصغيرة، تصبين أمام  
هذه السيدة؟ هذه خيرة، مجربة، هذه سيّدة وأب فتاة، طالبة  
جامعة، دارسه أدب، شاعرة مبدته، لكبك، في شعرك الجميل،  
التهديك على الكسبي، مع طيبة على صمعه الوجه، إبانة رائحة،

غير أي، يا سبي، لن أكون حديراً بروحك، ولن أكون خلقاً لكل  
هذا الاعتداد الذي يتجلى في حركات «ارجي». إني غجري .  
وربي عاجز عن الحب.. شواني إلى درجة مسجورة، ثم لا شيء .  
جبه القمر تلك، السعيدة التي لا أعرف أين، ناديني إليها حتى،  
وحسبي، وعطفي الأخيرة في سرة القمر هذه.. لكني، يا  
بيروشكا، لا أريد أن أموت على صدرك، ولا على صدر ارجكا  
أنا لا أريد ميتة عجيبة كهذه.. إني، يا سبي، عاجز مبدئياً،  
مشرّد، سعي، وهذا الإنساني الذي مات، ورفاعي، في كل الدنيا،  
الذي يموتون، والنفس، في بندي، كان جرأهم جراً سهار  
حسناً، أبت يا بيروشكا لا تعرفين من هو سهار.. تعرفين حكاية  
المخوفق والسدير . هذه قصة هربية.. هذه قصة دخلت التاريخ..  
أنا لا أعرف من التاريخ شيئاً بسيطاً، ولن أستطيع، في أيام يوم، أن  
أشرح بعضي تاريخاً، أو أكتب بعضي تاريخاً إني لا أعرف إلا ما  
عشت، ولا أكتب، أبداً إلا ما عشت، ولن أستطيع في لغتي  
المرسية الرديئة، أن أشرح أحاسيسي كلها، يكفي أن أشرك  
لاس صفحة وجهي، بما شئتني تقبلان وجه مسجورة، وبكمي أن  
شمي، هذه اللبلة، قبلنا هذه اللبلة الرائعة ارجكا . أنا صاحب  
وصية البارمان فيرانتس، لن أكون غريباً مع أي سكا.. ولن  
أكون مدلاً مع أية امرأة في هذا الوجود .

قامت ارجكا وهي تتأمله في شهية واضحة.

- أشكرك على النعيه رجاجة ويسكي؟ ولكن أنعرف كم هو  
حالي المشروب الأجسي ها..؟  
ترجم الفيتز. قال كرم:

- هذا لا شيء . أمت، اللبلة، أكرمتني على محو لم أحلم به  
يوماً وكان يجب أن أشكرك بطريقة .  
كيف يقولون بالهربية - شكراً . ؟  
قال الفيتز  
- كوسيم سبيج: (شكراً جريلاً)  
ردّد كوم الكلمة وقالت ارجكا  
- انجس!  
- آلي إني ؟  
حانسيب  
- آلي سبي



الذي تطوي عليه الدعوة، لكنه بدل أن يعد، نظام أدرك أنها هي المدة، ويولد في ذاته احترام لاعتدادها، وإحساس بانتهاء عجيبة الذكورية، وبالمساواة في القدرة على القرار، والتصرف، وتدور « الناحية » بطريقة صحيحة وبسيطة جداً

ركب السيارة الى جانبها وانطلق

كانت تسكن شارع « بيما اوتسا » في الطرف الآخر، الشمالي، للحي الذي يسكنه لب شالاً حريزاً على صفها، انتقاء لبرد المجر الذي يقترب، وحوفاً على حجبها الدخيلة التي هي كنزها، وفي سارة الرهو التي كانت تنظر امام المنى، قطعا شارع الجمهورية، الى الجسر المعلق على الدايوب، ورحلا الى بودا، كانت تسوق بيدها اليسرى، ويدها اليمنى في يده، وتصحك، وهما على الشاطئ الآخر للدايوب، مائتة بعج امرأة ناصجة، شبيهة لموب

- صوما؟

كرم بحبيب صاحبكاً أيضاً

- مس

فتمول مرجه

- دا

ونقصي به لا يدري الى أين كانت اللمة حاجراً بينهما كان، في دانه، يلمس هذا الحاجر، وقالت وهي تعود به من على الجسر المعلق

بصه

- كرم، لوينلو ايرجكا؟ (كرم تحب ايرجكا؟)

فقال بدوره:

- دا.

- ٧ -

مثلاً الرجل، حين يقتصر امرأة، تكون المرأة حين تقتصر رجلاً الطلاب الاجتماعي، حتى في الغرب، يوشح رغبة عريضة نبع من أعناق المرأة (بها، في حال كهده، لا يطر الآخر، أن يعود بدور الثورات التي يخطف على عرس او في سارة، حطيه، او حبيبه، وهذا للتقاليد الذكورية، إن امرأة، في عزها على نصيبا ناريجي الخمس، وفي حطها ايضاً، تقدم على ممارسة ما هو من حياء كما من حياء، لمخطئه، ويترأ به الى يمسد ولعل ايرجكا، في قولها « الى بيتي » كانت تترق ملعية يهرلها يحسب اجتماعي على ناعيتها، « مدة عبرها وعبرها في الدارات الخمس تتعامل، بفس جارة، مع واقع آخر، جديد، ومن منطق التحدي، لا بصمها مائة، بل بصمها (سنة تنمو على قيم الاستعداد المتوارث، والذي، الى حد ما، « رالت تسعره، وتصار منه، حتى المرأة العربية

إياها كبيرة، واثقة، سدة، وفي ممارسة الشرف الذي لا يندش بالنسبة للرجل، تريد أن تثبت ان هذا الشرف يظل دانه، بالنسبة للمرأة أيضاً، حين تحب، حين تحجب، وحين تكون حرة، صريحه، فتقول للرجل « تعال أريدهك »

هذا الماء، قالتها ايرجكا بعير مواربه فكر كرم لحظة بالمشي

هم كلمة الحب بالروسية ، لا يدري كيف اسمها ، بصيغة اسم ام  
عمل ، ولكنه كان يعرف ان «لوتلو» معي الحب ، واذا كنت انما تسأله  
«هل تحبني؟» وحيى اجابها نعم ، قالت ، كما خيل اليه : «ليس  
بعد» ، مصحك ، وصحط على يدها ، تاركاً لحام الجلد ، في الكعب  
الحارة ، ان تمر بها في قلبه من عرفان الجميل .

وحين تكلمت بالروسية اكثر ، لم يفهم شيئاً ، فقال وهو يتلثم  
بالكلمات :

- نربايو روسكي .. (لا اعرف الروسية)

- بيشيلو (لا فهم) ..

فتح دفتره الذي كان قد كتب فيه بعض العبارات المجرية ،  
تعلّمها من طلابه ، وقال :

- شاموش . مجارو بيهيز (آسف .. اللغة المجرية صعبة)

فصحك من لفظه وقالت

- ايكن .. شك بيهيز . (نعم ، صعبة جداً)

دارت به ، قرب يادي الصحفيين ، بحركة بارعة ، وانطلعت شلالاً  
موجهة سبياً مسخاً ، وألقاً فجرياً مبكراً ثم توفعت رويداً رويداً ،  
امام مبنى ضخم ، في شارع (بيضا اوتسا) ترجلت فترجلت فتحت  
الباب الخارجي ، تفتتاً عبر جو كبير ، دخل المصعد الى الطابق  
الثالث ، تقدّمته وفتحت الباب ، وقالت :

- تيشك (تفصل)

كان البست جيللاً صالون واسع مستقّ نسيجاً حساً يتم عن  
دوق فانه كانت فيه بعض التحف ، وفي خزانة ، على الجدار ،  
صُغت أواب خرمية ، وكانت هناك نازكيلة ، لا يدري من أين أنت  
يا ، من أي هدية من معجب عربي . ولقد سرّ لرؤية النازكيلة

ثمّ فيها رائحة عريضة توقفت عندها . كانت خالية من الماء ، لم  
تشمعل أبداً ، وكان هيكلها من الخشب ، ولها مريش أحمر تناولته ،  
رفعه الى عندها وسماها سألها بالمجرية

- سب (جميل)

- جيبيري (رائعة)

صمت وهي تصحك . قالت عبارة مجرية ، فهم منها الثاني : «ها  
أنت تتكلم المجرية» . وقال في نفسه «سأفهمها من غير شك» . رداً  
كان على أن أفهم في المجر لمدة لا أعرفها الآن ، فإن عليّ أن أتعلّم  
المجرية .. وأسأل ذلك سيد القمد .. ولكن بكف ثمنهم ، ما تبقى من  
الليل ، وواحدنا لا يعرف لغة الآخر .. ؟ نصبت ؟ نكتفي  
بالطرائف ؟ نعم ؟ أنا ما في الصالون وتدم هي في غرفتها ؟  
تسيري صبيلاً لديها حتى الصباح ؟ لقد ذكرت كلمة «الحب» ؟ ربما  
كانت تسألني هل أحبها من غير المقول أن تصدق أنني أحبها  
الحب لا يكون بهذه السرعة ، بهذه السهولة . وسأكون كادياً ، لو كنت  
لما أحبك جاداً .. كنا نرح وننحن على ضفة الدانوب المصادفة  
المعجبة نعطى طراصها . لكن الحب فوق الطرامة . أحسب أنها  
مثلي ، فهي مع برودة عابرة ولدتها المصادفة لا أكثر .

كانت قد استأذنته ودخلت لغرفتها ، فلما عادت كانت تحمل  
قاموساً ، من الفرنسية الى المجرية . وقالت وهي تصحك :

- فرسوسيكى بيهيز (الفرنسية صعبة) ..

وقال مجارياً

- ايكن (نعم) ..

سأول القاموس بها ، القاموس الذي تنعم به كلبات فرنسية ،  
وراح يذله ، شامراً بالسعادة لأنه يستطيع بمساعدة هذا القاموس ،

ان يتقدم معها . وأشارت الى رجالات على مائدة صغيرة:

- كومانك؟

أجاب

مسو (سد)

كانت الليل، بالنسبة إليه، قد اوشك على نهايته أحس يتعب وعرف عن المشروب القوي. اقترح التبريد وي ظنه ألا يشرب سوى قدح واحد، ريثما تأذن له أن ينام، او يصرف عندما يطلع الصبح لكن الليل، بالنسبة اليها، كان قد بدأ الآن خلال العمل، وقبل المساء لا تشرب إلا قليلاً. ترعى التربة والرعي الا في حالات نادرة، ولكن حين تعود الى البيت، وحدها او برفقة صديق، او تكون في سهرة خاصة، فإنها تشرب حتى تشتهي تتحرر من التزاماتها عندئذ تخرج من جديتها، تعطى نفسها بكرم للتمتع

أحصرت رجاجة بيبي «توكاي» كان قد عرف ان هذا الجود بيد في امر، أحصرت كذلك مصاحاً للرجاجة ورجسه أن يصحبها، فيها كانت تحصر صحاً من «السلامي» «الجرية المشهورة أيضاً» حلت الى جانبها وشربت بحبه. شربت جرعة كبيرة.. لم يمت ومضت. وسع الباب يخلق من الداخل. فتلكته الحيرة. صغر عن نصير سدوكها. لقد آس، بما رآه في الملهى، انها غبابة صرمة، لكنه، ها عاوده اليك نال في نفسه «كيف اتصرف؟ اعتبر نفسي صحاً؟ صديقاً؟ شقيقاً؟ ريوماً؟ ماذا أفعل لقاء هذا كله؟ هل علي أن أدع بمود؟ يكون من اللواني يأخذون بموداً؟ يكون فوق هذا المسوى؟ صامة هي، كل ما في تصرفها يدل على اعتداد بالنفس، بالعين، بالرهو الداخلي، وفي حال كهده، قد أرتكب حماقة بعرض نفوذ عيها؟ هدية نسو لكسي لأجل اي شيء يهدي الأنفصل أن

أقربيت.. ما دام الموقف يتحدد في النهاية، والمود، في حال معاطيها، تدفع في النهاية إن لدي وقتاً للتفكير وللنصرف بشكل سليم لا يجرح . أنا لا أريد ان أجرحها . هي لا تعرف من أنا حتى الآن لم تسأل حتى عندما كنا في الملهى، وكان انبتر يترجم بيبي هذه الناحية لم قولها اهتماماً.. رأت نفودي فقط حين أخرجت النفوذ لأدفع عن يديك الدخول، وأني أحمل مبلغاً كبيراً، عرّف هذا؟ «صبرتي» ريوماً دسماً، ولكن ماذا لو كان هذا ظناً؟ إن بعض النظر (ثم معها يكي، وحي لو أرمسها طرفة البقاء وأرجعه الموقف في الملهى، فأنا لست بالثاب بعد كل شيء. لست ذلك الفنى الذي تعرياً قنوته . لست صاحب للمكانة الذي تستهويها مكانه ثم لست قنناً ولا تعرف أية تفاصيل عن وجودي في بودابست ومن المرجح ان تصبري سائناً هذا هو السبب السباح يشكون إعراف.. وخاصة إذا كانت لديهم وفرة من النفوذ.. أنا لست إلا سائناً يا كرم، يا بيبي.. أيا المشرود، أنت سائح في بلاد السباح الجميلة هذه.. فتع . اشرب قليلاً لحامل على نفسك.. لا تدع النصب يسيطر عليك، لا تدعه يسجن في أجنالك كن لطيفاً، كن مودياً.. حادراً أن تتصرف كمجرى مع امرأة غبابة .

عادت اليه وقد أرادت بعض «سكياها» قدّر أب تخلصت من «بيروكة» الشعر الشنار، منطت شعرها الحقيقي وردته الى اللواء. ربطته بشرط يصحبي ربطة «دبل حصان».. ارتدت «روب دي شامير» جلاً، أحمت بحاسها تحت المظف البقي، جلست الى جانبه وهي تبتسم بشرية نجياً جديداً. كانت ظهري الى الترابيد، كانت تمعة هي الأخرى، كان السهر الطويل الدائم قد أعطاها طاماً محمداً الإرهاق والنشق، وفش في العاموس عن

بعض الكلمات، وأشار إليها فاهتست.. كانت العبارة تقول

- متى سامي؟

وبالطريقة ذاتها اجابته

- هارآ

- اي ما بعد الظهر ؟

- بعد الظهر للمرف (وأشارت الى بيانو في طرف الصالون)

والعشاء .. فترة ترمى، وحفظ للأعيان الجديدة

سألته

- وانت .. متى تمام؟

- ليلاً طبعاً، ولكن في وقت متأخر .

- هل اصحبك بودايت؟

- كثيراً

- مد كم أنت فيها؟

- مد اسرع ؟

- لديك أصدقاء؟

- بعض الأصدقاء

- بينهم صديقة ولا شك

- ليس تماماً .. تعرفت القيلة الى فتاة جامعية.

- تحبها؟

- ليس بده الرعه . ليس من اللقاء الاول؟

- ولماذا احمرتها صغيره؟

- أنا لم أخبرها .. تعرف إليها في منهي دإم كي .

امتصت . أشارت إشارة رخص . قالت

- هذا معنى سيء

- لا أدري.. كل ما في الأمر أنني رأيتها وحيدة، وتعرفت إليها.

- احذر .

- لماذا؟

- علي هذا المعنى تتردد عاهرات.

فألتها وشربت.. جازاها في الشرب. فكر: «تكون بيروشكا عاهرة؟» شعر بألم.. بحية أمل.. استمر في محاوره معه قالت

- هل أمرك لأها صغيرة؟

- ما أظن..

- في مثل سنك يجب أن الرجال الصغيرات..

راى عليه ظن من كدو.. التذكير بالسلم لم يرق له. هو كهل لا شك كهل في الاربعين، لكنه لا يحب من الفسات الصغيرات أخذ الفاموس منها وبحث عن الكلمات. قال

- والنساء، حين يتقدمن في السن يحسن الفتيان الصغار..

هرت رأسها نحيلاً

- انت مخطيء .

اصطح كرم ابسامة واجاب.

- وما

شربت كأسها، سكبت ما تبقى في الزجاجه.. ولما فرغها منها اسكب بيده وشئت به الى غرفة نومها . كانت قد كسب الطعام عن السرير أرحت السائر مركب مصاحاً صغيراً، حمر مشلاً أحضرت زجاجة «نوكاي» أخرى وقدحين نظمين أعدت، في غرضها، وليمة للجنس . وقال كرم في نفسه «هذا ما كنت

أتوقعه أنا لست إلا يونياً في مظهرها.. حساً لمص يا بني في  
اللمسة.. تدون « الطعام » المجري تدونته من « طبخ » سيده يده  
الأناقة المترفة، والى جهم بكل الحسابات الأخرى،

مرحت اعطيت عنها فبدت فارعة ناعمة الصدر، رخيمه  
الساعدين، وصدرها الأبيض، وقوامها كله تحت « الثلجة »  
الشامخ، بطيها لأن رشاها، بضارة إثارة غير التي كانت في  
وجهها استلمت على السرير جلس هو على حافته يكامل ثيابه  
صباً مدحني شرب، هذه المرة مدحه كاملاً لقد استنارته نادته  
بكل مكاس اللذة فيها صدرها، ساعداها، صعداها، صباها اللسان  
اعلمنا فهم الندى تشربه من كل سائتة صمط على أعصابه كي  
يسمى هادئاً قال في نفسه « علي أن أخرج عاجلاً من هذا الامتحان »  
ثم تذكر ثوب الباريان فيرايس « لا تكن غريباً » - وقال في  
نفسه : « الى الجميع بصيحتك يا فيرايس - أنا لن أكون سويدياً  
بارداً منقطعاً من الإنسان على الكحول - أنصرف، الليلة، ومن  
قانوني الأفضل ألا أكون عيباً - لكن ماذا فعل إذا كان العيب  
كاللمسة في دمي ؟ .. »

« بعد يدها وقبها قبل ردها قبل ساعداها فصحت وقالت  
محدرة

كرم !

وقال

- ابرجكا

وتعانقا ، قبها ، هذه المرة في صبا . قبلة طويلة ، صيفة ،  
وكنتم ، بيد مرجمية ، من صدرها ، لكنها بهتة من الصمط على  
يديها كانت حريصة على صمواتها

شرباً أبعداً .. انتهت الرجاجة . بصحت قطعة « البفتيك »  
النهية . كانت ابرجكا قد بلغت مرحلة السكر ، وتجاوزت ، في  
اندفاعها ، مرحلة القفل ، جئت .. عيناها تراءى فيها نثار لمعان  
كالومص ... وكان كرم يرتعش وهو يشم عطرها بعد ذلك لم يدر  
كيف تخلف من ثيابه ، وحين قرر إلى السرير واحتواها ، اعطه  
نفسها بسخاء .

في الصباح بعض واقتل .. ظننت هي مسئولية . قامت يوماً  
قصيراً واستيقظت حين كان يماذر سريرها . ابتسمت . كانت عقدة  
« ديل الحصان » قد انحلت ، واضلش شعرها ، وكان جسدها  
المشوق ، الأبيض ، على نوشية وردية ، ممدداً على طوله ، وكان  
المطاء مرهوعاً فاحس عليها وقتل سرّتها صحتك وقد دعتني  
شما ، قالت  
- كرم !

واشارت إشارة مؤداها : يكفي ..

وجاءت اللحظة المحيرة بالله لكرم ، ماذا يفعل ؟ ماذا يترك  
ها ؟ كيف يصرف ؟ جلس وأشعل سكاراً فكّر اسم في  
التصكير نظر إليها رآها مراعيه كانت ترصد حركاته من طرف  
خفي . هرع إلى الصلاة احصر الفاموس بحث فيه عن بعض  
الكلمات . حرصاً عليها

- ماذا يوجب علي ؟

اخذت الفاموس وانتمت كلمة

- لن تدفع

مد يده إلى جيبه ، أخرج نقوداً وصمها على الكومودينة قرب  
السرير .. نظر إليها وهو يح بالخرج . كان وجهها مرعباً

فمرت من السرير عارية استكت بالعود وتفرست بها طلبت أيضاً، اعطها طلبت مرة أخرى. ناولها ما معه. طلبت للمرة الثالثة أخرج ما بقي، وهي تقود بحرية جميعها كلها في حمتها، بمت لم يبق شئ اقرب منه رقت كلها نسمعه كان اسرع فأمسك بيدها احتضنها أخذ العود وأعادها لي جيبه. عني امامها، صاماً كفه على الطريقة السوديه قال

- شاموش (أحب)

فكها.. فكها.. داعيت رأسه. قالت

- لوبلو (أحبك)..

عاد الى تقيلها.. قالت

- أدريس.. (العوان)..

كتب لها عنوانه كما حفظه (بشور اوتسا، ١٩، الطابق

الرابع، السكنى ١٠)

قالت

- كوسيم جيبى (شكراً جزيلاً)

قال

- مي أراك ؟

- عندما ترصد..

- سرعوس (وداعاً)

- فيسوت لا تاشرا (الى اللقاء)

كان الوقت صبح.. وكانت الحركة صاخبة في الشوارع. سار بجانب بيته. دخل الباب خجلاً وأنه النوبة ابست، عرفت انه لم يبق في منزله لم تغل شيئاً لا دخل لها في هذا مهمتها أن تحول بين النساء والمراهب.. كرم يهود وليس معه خريب. أسرع الى

عرفته. أعلق الباب وانطرح على السرير كان بحاجة شديدة إلى النوم. قمر الا يفتح الباب لأحد، وظل نائماً الى العصر

تناوب على غيبته وجهان غرضا نفسها بقوة وجه يروشكا ووجه ايرجكا. كان في حالة صفاء ذهني بعد اليوم الطويل. وفي هذا الامساج الصعوي حلا له أن يرتب مشاعره، متنوعاً ما وقع له أمس. مستقلاً بأفكاره بين المرأتين اللتين جمعت بهما انصدفه وحدهما أول لمطبخ خرج به من حلال اسمرادس وقائع ما جرى، أن الروح الحرة منحة بحضارة عريقة، تنعكس في تصرف الناس، من يابه الزهر التي تحرس سيدة البيت على ابتيها، وهي تسوق حصارها، او تنري أيا عرس لسيها، الى التهذيب الربيع في حالي الاستقبال والوداع، الى مخاطبة المرأة التي يبدأها الرجل بلونه «أمك، ماذا كانت سيدة متقدمة في السن قال لها «أقبل يدك» ان الزهرة، الاسماء، التحية الجملة، الكلمة الحلوة، الترمع أشباه يمكن ملاحظتها في وقت قصير، كما يمكن ملاحظة أناقة الناس، المستوى الجيد لحائهم، نظافة الشوارع، خلوها من المتسولين والمهارب والنصوص، هذه الظواهر الملاممة للمجتمعات الأخرى، في النساء واطالبا وعرسا وكل البلاد العربية التي رارها

قال في نفسه: «التطبيق الاشتراكي، هاء، مخبر، قد تكون لغة نواص، لكن الأشياء الإيجابية تطالع الراثر دوراً (أصاف) ياها من بلاد جبلة.. الجزء هذه، تصح أن تكون واجهة للبلاد الاشتراكية. للره فيها ينشر بإسمايته، ربما كانت، في هذه الراوية او تلك، في هذا المعنى او ذاك، في «ام كي»، فنيات في سلوكهم ريبه، لكن المرأة الحرة تحترم نفسها جيداً يروشكا كانت في معنى «ام كي»، لكن سلوكها خلا من الابتدال ايرجكا مصبة في معنى،

بكها، حين عرضت عليها بقوداً عصبت بلعها النصب أنها كادت تصمغي.. ها لا خط بين الحب والدعارة. تحب المرأة فارس الجنس مع من تحبه. وهذا حقاً لكن الجسد غير معروف للبح، وإذا كان هاك استاء، فهو تثببت للقاعدة ليس إلا.

همس وهذه الأفكار الهيجة قلأه اطمئناً كان سعيداً الى حد أنه دندم بأعية وهو بعد لمسه فنجاناً من التهمة كان المطبخ مرتباً. حرصت يوروشكا، بعد الغشاء على ترتيبه، هذه علامة اخرى جيدة. فرشفت تهنوته مع سيكارة. اصغى الى شيء من الموسيقى، انتهى باب الحمام معوضاً وهو يفتل، استشر راحة وحياً لوحده. لكن الباب لم يلبث ان طرق بقوة ليس برس الحمام وفتح. كان هذا ضياء التركي.. صاح مد أن رأاه..

- أين أنت يا صديقي؟.. متى عدت الى البيت؟

- ولكني في البيت..

- كيف جاء حسن وطرق الباب. طرقت أنا أيضاً. قال حسن إنه هتف اليك عدة مرات ولم ترد (إنه ظنك عليك يخشى ان تكون ضمت ليلاً، عندما تركك في ساحة متأخرة.

- وهذا ما حدث فعلاً ولكن نجس أولاً. ما رأيك بكأس من الفودكا؟

- أكون شاكرأ نمل هذا السعال اللعين يتوغل الربو يكاد يقتلي يا كرم.

- وأنت تجهد نفسك في الكتابة.. اسرح قليلاً

شرباً قدحين كاملين من الفودكا دفعة واحدة. قال ضياء:

- أنت لا تعرف مبلغ سروري بوجودك في هذا الضياء.. اننا لا أجيد المجرية لم أستطع تعلمها وأنت تتكلم التركية. أنت أخي

أصاف بعد وقفة قصيرة

- هل هذا لأساً مهاجرون، أم لان فكرة واحدة نجمنها؟  
سكب كرم قدحيه جديدي، واستأذن في أن يرتدي ثيابه.. لكن طرقتاً تعالى على الباب، ظمأ فتمعه صاح حسن:

- السلام على أمة العرب، واللمة عليك يا صديقي..

قال كرم

- ادخل.. صباه صدي.. جاء قلقاً مثلك

قال حسن:

- أين كنت أيها الملعون؟

- كنت في البيت.. ظلمت نائماً حتى العصر.. سمعت الطرق على الباب، ورأيت الحائط لكنني كنت نائماً وقد عيني اليوم

قال ضياء:

- كرم سبفا.. نحن لا نجد وجهاً يهشم لنا.. وهو مد وصوله، ينام خارج البيت.

انضم حسن الى الصديقين في شرب الفودكا، وبعد ان ارتدى كرم ثيابه قص عليها حكاية ضياعه، وأعمل منها الجزء المنطق بارجكا. رغم انه سر في احد الملاهي، وعاد صباحاً باكراً الى البيت

أبدى ضياء، بأبوتته، بطشة قلبه، أسفه لما وقع وأتبعه بده النصيحة

- اسمع يا كرم. في هذا المنصب.. وفي إقطاعك الواسع، تستطيع ان تسهر الى الصباح وان تمرى كثيراً من الساء لكن هذا ليس جيداً بالنسبة اليك عليك أن تكسب لاسس اليك ممشي.. قاطعه حسن:

- المجر، أيا الملعون، غير الصين.. ها ظفريات كثيرة.

وقال كرم

- أهمهم عدد جيداً لم تسهكي كل البدان الأوروبية التي  
عشت منها ور تسهكي المجر أيضاً في الصين وجدت المجمع  
مبدأ لم أستطع أن أكتب.. أما ها سأعمل.. هذا ما اخترعته .

قال صبا

- للبرية أخلاقيات.. غداً تعرف.. تعاشر الآخرين: الجيران،  
الزملاء، الطلاب، وتجد نفسك أمام طريقين: أن ترداد نفسك  
بنفسك، وعمل من أجلها أو تفرق في التواضع، والملاذات..  
وتساعا!

قلها واقترح نجياً على شرف النصال.. ثم سأل فجأة

- أنعرف، يا كرم، من كان يسكن هذا البيت يوماً؟

- من؟ مني آخر مثلاً..؟

- نعم.. مني مثلاً. اخترت للمي مئة شاقة إنه ناظم

حكمت!

هتب كرم:

- ناظم حكمت سكن بيتي هذا؟

- وفيه كسب قصيدته «أرض المهر».. ففكر بهذا.. كن ومأ

لناظم يا بيتي

- ٨ -

كانوا ثلاثة في الحديقة-

أدامو الإيطالي ومعه ابنته الرضيعة، في سرير بلاستيكي  
صغير، يحمل ويحمل باليد وكيرينو اليوناني، المهاجر منذ الثورة  
اليونانية، عصب الحرب العانية الساسة، والذي عاش طويلاً في  
الإتحاد السوفييتي، واستقل منه إلى المجر، للعمل في الإذاعة

ومحمد حميش، العراقي الذي فرّ بعد الانقلاب عن عبد الكريم  
قاسم، ودرس في المجر، ثم تزوج محمية، وما يزال يدرس، ولا أحد  
يعرف متى يخرج..

أما على الشرفة المظلة على الحديقة، فقد جلس ميلسون،  
الماركسي الإنكليزي الذي التحد من الشرقة مملاً، فهو يسم بالميء  
صفاً، وبالنفس شاكاً، ويمرأ الأدب الماركسي بمير انقطاع  
ويحمل أستاذاً في الجامعة..

هؤلاء الثلاثة لقنوا كرم، في الأيام التالية لوصوله كانوا دلاً  
في الحديقة، وفي الشرفة، كأن كل عملهم محصور فيها، أو كأن لا  
عمل لهم، فهم يعيشون بأسرخاء، ويصمون بحاله من اللامبالاة تجاه  
ديبايم



كان أدامو الإيطالي، في حرصه على نقل القطعة الملونة، الكثير، ما يوضع على الدراجات، من مكان إلى آخر، ويقل طمعه شيئاً لذلك، يبدو نموذجاً لم فرغ من المصوم، ولم يبق له من شغل سوى هذه الحركة الرسة التي يراولف، قائماً بها مقام الأم التي كانت أجدر بهذه الرعاية المعرطة لقطعة رصبة لا تتجاوز الأشهر من عمرها كما يدل سريره.

وكان غنشل القائمة، قصيرها، قليل شعر الرأس، مرحاً، لديه سيارة فيات، وروحة، وكلب، ودراجة سائل لفريضة، ويعمل في القسم الإيطالي من الإرداعة هو مدرّس في الأصل، من إحدى المدن الإيطالية الجنوبية، وليس لديه ما يعمل في المجر، سوى الأعضاء ببارته، وابنته، وكلبه الصغير، ذي الشعر الطويل، والغامق المديبة، التي لا تكاد ترتفع عن الأرض.

أما كبريانو اليوناني فهو مولع بالموسيقى، وكرة الصرب، والذهب في شهر محرم من كل عام إلى بحيرة «البلاتون» للاستجمام، والراحة، ويمرض جسمه بنسج، ومراحمه بمص اليونانيين الذين يروون بودابست ويبدل العملة لهم، كحرمه من نشاطه في السوق السوداء

حيث كان صاحب تجارة أوسع. إنه يعمل في التهريب، نجد لديه الدخان، الويسكي، الثياب الساتنة الداخلة، وكل الأشياء التي يسطح، بطرق شيطانية، أن يهربها من النبا إلى المجر، ولها مشتركون في كل أهراف العاصمة، وله عملاء خاصون، ويتاجر بالأيكون الأثرية، يهربها إلى فيينا، ولا أحد يعرف الأسلوب الذي توصل به إلى السكن في البناية، لكنه صد سكرن قرر ألا يخرج، وألا يعادر بودابست، ولا يعود إلى المراق، ولديه دائماً مشكلة من

التداحات وأفلام المجر، هدائها لبعض ذوي النمود، في الجامعة وغيرها.

يلسبون وحده لا يتاجر، ولا يهرب، وإن كان يصرف نقوده في السوق السوداء اهتمامه الوحيد هو المطالعة يقرأ الماركسيه وهو يمشي، يحرص دائماً على نظافته، على أخلاقها، ولا يهم أبداً، كيف أن المجرين، بالتصون مع الإتحاد السوفياتي، قصود على الثورة المصادرة في المجر يعتبر هذا تدخلاً فظاً، ولا يهم كيف يتاوم الفلسطينيون «دولة» إسرائيل التي يبني، في رأيها، أن يتغاضوا معها، وإن يكفوا عن نكران وجودها، أو عدم الاعتراف بها

ولأن ليلسون لا يعمل إلا ساعات في الأسبوع، من وقت الباقي ينصبه في تدوين ملاحظات على هوامش الكتب التي يقرأها، وفي الدفاتر التي يسطها أمامه، وحرمة الأفلام التي لا يعرف سراحاً غيرها كان همه أن يطور الماركسية بعد تفسيره وهو فوق الخلاف الصيني - السوفياتي، إنه ضد الجمود العقائدي، بمقدار ما هو ضد النحرية، وهذه أن يتوصل إلى نظرية ثالثة، نظرية ثلاث أوروبا

هذه المعلومات نقدها صباه التركي إلى كرم على دفعت كان يشرب الفودكا معه، ويسل، ويحشق من الربو، ومن التهر لأنه يعيش بعيداً عن تركيا. يقول

- هناك يا كرم، في الأرض التي ولدنا عليها، يسمى أن تكون المناصل الحصى يسح في مجرى، خارج هذا البحر يكون كالسكة المنفاة في النمس على رمال الشاطئ، تنش، تنسخ، وتشر رائحة كريهة لا غير.. لديها هاء في المجر، في رومانيا، في

بلعاري، في البنداب الاشتراكية كلها، أتراك كانوا يوماً ماضين  
أنا أصم - حدث أديس خبوا ماضين، يتحركون شوقاً إلى العودة،  
رلى مواصلة التكفاح، لكن هؤلاء قلة.. الأكثرية صاروا مرتزقة  
استمرأوا الميش في مجتمعات اشتراكية جاهرة، لم يدموا سطرأ في  
بناها إسم طميدون يدرسون كل أنواع الرذائل يتروجون في  
الإتحاد السوفياتي، وبعد فترة يهربون إلى بلعاري عسروجون أيضاً،  
وإذ نسلوا إلى رومانيا ضلوا التي. نصح يتعاطون جميع  
انوبقت من التهريب والعمى في السوق السوداء إلى القوادة  
يصرون، مع الأيام، نوادين أيضاً، هتم الراحة، السر، وجع  
الما نوبقوا في تركيا لظفوا شرفاء، ماضين لو سحوا لعلوا  
الصمود مثل ناظم حكمت.. المناي صعبة. والشرفاء وحدهم  
يسمون فيها.

هذا المساء، بعد أن انصرف حسن الإيراني، وهو يلحن كرم  
تحبياً، بقي ضياء جالاً طلب من كرم موسيقى تركية كان يحب  
أغنية «كينو كرم»، «بت الرهف» وبعد أن شرب أعاض في  
الحديث

اسمع يا كرم

- لي ولدان، أي مراهق، وقتاة صبية، قريباً صبا في العرية. في  
بلعاري ورومانيا، ثم هنا الفتاة تدرس في الجامعة دخلت معها  
حابتوا تدبره امرأة عجوز. هذه فرحت عندما كلستها ابنتي  
بالمجرية - رغبت في أن تعرف من أي هي، ومادا تعمل في المجر  
وأشياء أخرى من هذا القبيل، عابدا كان موقف ابنتي؟ انتهزتها  
حين عادرنا الدكان سألتها لماذا كست فظة مع المحور؟ قالت لأنها  
ثلاثة قلت لابنتي اسمي! هذه امرأة مجرية. إنها حتى في هذه

السن، فعمل، تدفع صرائب، تسهم في بناء المجر، ومن الصرائب  
التي تدفعها تتعلم أنت.. تأكلين أيضاً. تأكلن المحور  
أفضل منك، أفضل من كل أمثالك من الطلاب الأجانب الموجودين  
هنا، الذين يمارسون شعوراً بالامتياز على المجرين، يشتهرونهم بعنه  
أدب، كما قلت هذا نموذج لسوء الطلاب الأجانب، سواء كانوا  
عرباً، أو أمريكيين أو أسويين. وحدهم الطلاب الماسيوس،  
هؤلاء الماسيوس، يتصرفون بطريقة أخرى، يدرسون، يجتهدون،  
يمشون على نارا، بسطر يخرجهم، للعودة إلى مبيسم ولاشتراك  
في الحرب الدائرة هناك

قال كرم

- ولكن هذا غريب يا عم ضياء.. مؤسف أن يكون ذلك  
كذلك.

- هذا هو الواقع أنت كنت في الصين عشت مع الأجانب  
الذين يعملون معاً قل لي، بصراحة، أما كان فيهم شيء مماثل؟  
هتز علي أن أقول نعم كان معظمهم من المرتزقة، خاصة بعد  
الحلاف بين الصين والإتحاد السوفياتي عرب، هناك، إيطاليا  
يدعي انجيلو، كان متعصباً للصين كان يحاول أن يهاجر في  
النحف، ودات ماء سهرنا معاً، وبعد أن شرب عدة كؤوس، قال  
لي «اسمع يا كرم أنت لست هنا إلا لجمع ثروة صغيرة ثم تبت  
وسيارة حين شب الحلاف انحرت إلى الصين كنت أربح في  
المهي إلى هنا سمعت بالنحف الصينية أردت أن أربح قليلاً  
هذا هو كل شيء..»

أمثال هذا الانتهاري كثيرون، متحدهم هنا أيضاً، رغم أنه لا  
تحف مجرية تذكر

- في بدء الخلاف.. حين وقف كاسترو ضد خروتشوف، أرغى كثير من المترفة، وخاصة من بلدان أمريكا اللاتينية، دقوس، اقتداء بكاسترو. لكن خروتشوف أريج، وبسبب الخلاف السيط، ووقف كاسترو ضد الصين، فهل تعرف ما فعل أصحابا بلعاهم؟ حلقوها سرعياً، ترلعاً بصيبي. ودات يوم عهد اجتماع في بكبي، لشكس مرة تذهب وتقاتل مع المييتناميين الأجانب الموجودون سجنو أساءهم جميعاً تطوعوا وبعد انعصاص الاجتماع، ذهب كل واحد على انفراد وطلب شطب اسمه، بدرائع كاذبة.. الانهارية، هي الوجه الآخر للانهارية المبرق لا يمكن أن يكون ماصلاً في الصين، بعد الخلاف، لم يبق سوى المترفة، وقلة من الشراء، انتظرت حتى انتهت عقود عملها..

- من أجل ذلك، قال ضياء، أهمل برلم مرعي.. أكتب نصصاً قصيرة، أرسلها إلى تركيا وأشرها باسم متأخرة..

أهـ

- وأب يا كرم عليك أن تكتب أيضاً، إذا كنت لا تريد أن تكون مثل الآخرين، الذين يتمسكون في المرة..

وبعد بوية صعال، وكأس فودكا، بضي ضياء ومضى.. كان صغوراً، طويلاً، متهدل الكمين، يدوي كورقة خصره في لعن النسي، يدوب كنسمة في صفاء. قال كرم في نفسه، وقد جلس وحيداً، كل ما قاله ضياء صحيح.. لفرة اخلافا.. ها، في هذه البلاد، يتصرمون وكأنهم أصحاب البيب الطالب يدرس مجاًماً يأخذ مرتباً له بيت، وقسيمة طعام، ولباس.. كل شيء موهور له، يسمى أنه يعيش من جهد سواء.. يتسكّر لهذا المروف. بعد ذلك يتم حتى

البلد الذي درس فيه ضياء قال كل رسائل الحبس إلى الوطن، والنطق به، تنلقأها، في القسم للتركي، من القبال الأتراك، والطلاب الأتراك الذين يعيشون في الغرب. هؤلاء يمايون، يعمرون ما الاستلر، ما النظم، ما أجرة البيت وثر الطعم وسط الجامعة هذا يطبق على العرب أيضاً وهذا البلد الصغير، هذه الدولة الحرة، تحمل، وبحر يمين اليد التي تصنع المروف مما هناك، في تركيا، في سورية، في مصر، في العراق، في السودان، وفي اسبابا أيضاً، يمايون، يماضلون، يواجهون الأعداء.. يعيشون أمل الإشتراكية، يكتبونه على قلوبهم، يحولونه إلى أهال.. وها، في هذه الحديقة، في هذه البناية، يقرأ يسون الأدبيات الإشتراكية وهو يشس. واعدو الإيطالي يقضي وقته في تركيز المظلة فوق سرير اسمه. ويطلع من مكان إلى آخر، وكبريدو يسبح الموسيقى ويلعب التنس، وحيش يتاجر في السوق السوداء. وأنا؟ أصبح منهم عدأ؟ وهذا المنصب؟ وليلة أس في المنس؟ واللقاء، قبل ذلك، بيروشكا؟ إلام يتودى هذا السلوك؟ ضياء كان يسمي بكلامه.. ذكرني باظم حكمت. قال هذا بيته ها، في هذه العرفة، سكن وعمل. وصباء، المريض بالربو، يعمل، وحس الإبراني يصح قاموساً، يذكر تبرير والدمعة في عينه. وأنا؟ ودشون؟ إيه يا دشني الحبيبة. أحتاج من يدكري بك؟ من يحمل إلي حصة تراب كم عمل البولوبيون مع شومان؟ لا. لن يكون ذلك.. لن يكون ذلك..

عمل، ذلك للساء حتى ساعة متأخرة. كتب نصلاً في رواية تتحدث عن الفرية. شر أنه يكفر عن ليلة أسى لكه، في المقابل، كان واقعاً من أن شيئاً لن يبدله هذه النعب ليست

للتجارة قد يسمها إذا احج ناظم قال « أردت شراء باقة  
بسمج لحبتي، وكان الرقاق جياغاً، فأكلت بتمها خيراً » هو  
أيضاً إذا جاع، ردا احج لآخرين، الطيبون، مسعد أن يبع  
أيا قطعة، وحتى أن يادها برعيف فكنه، بانتظار ذلك، يرى أن  
مقبانه هذه أشياء ثقافية إنه ليس كهديجي، ليس كأجلو.. لم  
يمكر بالندرة، ذكر بالثمامة. ولا خير عليه أن يعيش في جو  
ثقافي بل من الضروري أن يعيش في جو ثقافي أن يشرب، يرتص،  
يتسلى.. ويعمل فهذا ضروري.. ديمتروف قال « تسكوا أيها الرماق،  
بالطريق طويلاً، أراد اهلوا، وعيشوا لا تخلصوا على أعصابكم،  
لا تدعوها تنوتر إلى درجة الانقضاء أب لى أجس على أعصابي،  
ولكن لى أجس على مؤخرتي، لاسيالياً، من أديرها، كنور، لآلام  
شعبي، ووطني، والبشرية المعذبة

في اليوم التالي ذهب إلى الجامعة فألقى درسه. خرج على  
الإذاعة وأعطاهما برنامجه الأدبي، وتذكر، حوالي الظهر، أن لديه  
موعداً في شارع الجمهورية، أسرع إلى محطة المترو، عند الباحة  
برئيسية للشارع، وهناك كان ألبوش بانتظاره. تصافحا، تكلما  
العربية التي ينتقها ألبوش كان قد درسها في موسكو، وعاد فصيح  
معبداً في كلية الآداب، وكان يدرس، في قسم اللغة العربية،  
إحدى روايات كرم

جلب في مقهى على الرصيف كان ألبوش طويلاً، أسمر، أسود  
الشعر، نحاله من الشرق كان ذكياً، مجتهداً، وكان حريصاً على  
التعرف إلى كرم منذ سمع بوصوله، قال  
« من خلال روايتك، حسبك حلاًقاً، وقوراً، ونسخة من  
أدباء متمجربين عندنا

سأل كرم:

- وكيف وجدتني؟

- على غير ما تصوّرت. أنت ما تزال شاباً

- ليس قافماً، لكسي لى أشيخ بسهولة.. لى تنمدي ؟

- في مقهى هماريا.. هناك مسجد عجائز كنيزين، ساء  
ورجلاً، بشرأ يعيشون على ذكريات الماضي

سلكا طريقاً قصيراً أحصى بها إلى شارع بسبي، صعدا شالاً،  
وعلى البار، في منتصف الشارع، كان مقهى ومطعم هماريا،  
المحيط بكل استعراطيه، وبكل الشكليات التقليدية للتصريف،  
والموتوكسل على المين الواحدة، وبظلمات يدوية مكبرة، مذهبة  
المبعض، تصمها امرأة أو رجل، على المينين، حين يراد ابعام  
النظر في وجه مقابل

قال كرم مارساً:

- هذا منتخب المستعائنات أم مقهى؟

لم يهم ألبوش كلمة مستعائنات، شرحها له كرم فأغرق في  
الصحك، قال

- هذه جئت حية، لم تدفن بعد.. ولكن لا خطر منها

- كيف؟

- بعد الانقضاء على الثورة المصادرة، عام ١٩٥٦، فقدت  
أصلها كل ما بقي من الكلام. ها بسعدون السلطة الإشرافية  
علناً، يهتمونها أيضاً السلطة تعرف ذلك، نكسها لا تبالي، ما دام  
المداء مقتصرأ على الكلام وحده..

- وإذا تحول إلى ضل؟

- ما أعظم هذه الذناب ففدت أساليبها . لا تستطيع العصى في  
الوقت الحاضر . ثم لا أحد يسمح لها .

- لماذا ؟

- لأن القضاء على الثورة المصيدة ، راعته قضاء على الأخطاء  
التي استلمها المرحومون عليها

- تمتد ان كل شيء ، الآن ، على ما يرام ؟

- ليس على ما يرام تماماً .. لكس في الطريق الصحيح .. بعد  
الصرية لاحقة التي وجهها لدرجة ، بدأ الإصلاح بدأ جذرياً  
هذه المرة .

- لكن الدرجة ، وهذه غادج صها في هذا التقى ، ما زالت  
موجودة

- وسيتبقى موجودة إلى زمن طويل .. لكن القوة للملكية ،  
والمملكة للشعب ، أي الدولة ، وهذا هو الأساس .. حين تكون  
للدرجة قوة اقتصادية ، تطلب التعبير عن نفسها سياسياً .. لقد  
جردناها من هذا السلاح الآن

- أنت في الحرب ؟

- أنا في الشبيبة .. والذي من قدماء الحربيين ، عامل معجم .

- حضرت الثورة المصادة ؟

- اشتركت في مقاومتها ..

- كانت الحركة صارية ؟

- بأشد ما تتصور .. لقد فبح الفاشيست للثلاث من الناضحين .

ويمضي هاتين ، رأيتهم يلقون صاعلة من الطابق السادس كانوا  
شرحين كأبلغ ما نكون الشراة وكات القوى الخارجية ، القوى

العادية ، أميركية وعربية ، قد رويهم بالسلاح والمال كانوا  
يريدون القضاء على النظام ، وإعادة الجبر عشرات الأعوام إلى  
وراء .

شربا لبيوش كأسه وسأل

- ألا أصبحك بحدثي الجافة هذا ؟

- أبداً .. أنت تتكلم وأنا أنظر إلى هذه الوجوه الانتبكية .

أنساء : بينما نحن اشترك في الثورة المصادة ؟

- من غير شك .. إذا لم يكن مباشرة فبالتمريض .. انظر هذه  
الفتارات البيضاء ، المخرمة ، في الأيدي ، انزعها تَر دماً على  
الأصابع لو انصروا لأهدونا ليس لديهم راحة ، ويرم كل ما  
يمال في العرب ، ما امت تراهم يعيشون إسا أرحم منهم على كل  
حال ..

- ومن أين يعيشون ؟

- من بطايا مملكتهم .. ومن روائب تقاعدية ..

أصاف ، في انعطافه مفاجئة

- اللعة على هذا الحديث الملل .. كفى ما نكلنا على هؤلاء  
الأوعاد لذي اقتراح .. رأيتك في أمسه صغيرة ، يحصرها بعض  
الأدباء والمنتمين ، وطلاب اللغة العربية ، وتلقى فيها أشعار مترجمة  
إلى اللغة المجرية ، ونمي أنت ، كلمة صغيرة ، ترجمها مباشرة ؟

- أنا ؟ صاح كرم .. لا أعرف كيف أتصرف حيال جمهور لا  
أعرفه بعد

- أنت لا تتصرف بشيء . لن تتكل على كل حال . تلقي كلمة  
ونحجب على الأسئلة .. هذا كل شيء . موافق ؟

- لا أدري. لا تضمني في موقف حرج  
- لا حرج في الأمر.. ستكون مسروراً دعني أرتب كل

شيء

انقار. كان في ذلك كسب للثقافة العربية، وللبلاد العربية،  
وفيه، بالنسبة بكرم، اتصال باعابة الاجتماعه والثقافه في المهر  
وحين استشار ضياء في الموضوع شجعه قال له أكتب كلمه صغيره،  
فيها تحية لمصر وفيها لغة من الأدب العربي الحديث اسم  
بنفسه ناطم (ها موجودة عندي، وسعرجها، ويرى كيف  
خاطب ناطم أرض المهر..

أقيمت لأسبوع على مدرج صغير في كلية الآداب حصرها جمع  
من المثقفين والطلاب المجهزين حصرها، كذلك، طلاب عرب،  
وأمازيغ، وآسيويون، ومن أميركا اللاتينية، وحصرها ضياء  
وحسن، والموسيقى اللبدي مصر جميل، عارفه المود الرائع، الذي  
كان يواصل دراسة الموسيقى في المهر.

كانت فرحة ضياء كبيرة ليس أصل ما لديه شرب كأساً من  
المودك وأوصى بكرم بشرب قدح مماثل قال «هذا بعيدك  
بشجعتك أكثر. يحطك طبيعياً.. أنت، يا بني، متدخل الحياة  
المصرية من الباب الواسع بعد هذه الأسبوع اقرأ لي ما كنت  
مرأه بالعربية أولاً أريد أن أسمع إيماءك ثم ترجمه لي لاجم  
البلاغة أريد معرفة الأفكار ولكن أسمع لي، قد أن تبدأ،  
بكأس أخرى من هذه المودكا اللبدي أريد أن أخلص من سحالي  
خلال الأسبوع..»

قرأ بكرم كلمته القصيرة وترجمها. كان ضياء يهتت ويرر رأسه،

وعندما ختم بكرم الكلمة بمقرات من عصيدة ناطم حكمت تقول  
الأرض كالإنسان/ وكالأعالي قاساً/ تصاعف من جبال المهرية/  
وتصاعف هذا الجبال أرض المهر أيضاً «هس وقبلك» «كوزال»  
«كوزال» كان ينم.. جميل.. وتابع بكرم: «المرة لا يشع من  
إسانك/ وخبالك/ وبميتك، وحربتك/ وشاعربتك/ وحرك/ يا  
أرض المهر» فصاح ضياء:

- أنت أكرمتي.. أحست بهذا الاستهاد.. ناطم عظيم، عظيم  
يا بكرم.. حل في الدنيا أشعر منه؟  
قال بكرم.

- ناطم كبير يا ضياء، ليس بشعره فقط، بل بهضائه العبيد  
أيضاً إني أحبه، أحبه بأكثر مما تصور لا بد أن نقيم أسبوعاً  
كهذه للأدب التركي الحديث أيضاً، وهذاك تتكلم، وتشد شعر  
ناطم بالتركية.

- هذا ما لا أستطيع هذا الزهر الرهيب

- حساً يقرأ حسن شعر ناطم

- يمكن يمكن تماماً هذا ما يجب هذا ما يسمى مصالاً في  
المرة

كانت فقرات الحلقة تتألف من حرف مقطوعة على البيانو،  
وحرف على المود لنصر جميل، وقراءة أشعار عربية مترجمة إلى  
المهرية، وكلمة بكرم في الختام، وكانت القاعة مردحة، وعلى المنصة  
مهرية وود، والعلم السوري، والعلم المهرية، واليوش، هرب  
الحلقة، يرتدي بدلة صبيحة أبيض، وربطة عنق على شكل مرادفة،  
وبعد الحرف على السابو، عرف مصر جميل مقطوعات صغيرة على

العود، وتعدمت فتاتان جريان، قلبان «تيويين» رصاصيين  
 ويبد كل منها مصف أبصر، عليه شريطة حراء، ويدخله  
 القصائد المترجة، وقد كانتا من معهد التمثيل واختصاصها الإلقاء  
 كانت أول قصيدة يمتحن وكان الإلقاء جليلاً.. كان حادثاً،  
 رياضياً، تعطيه بيرة الصوت ومضاً خاصاً، فقال كرم في نفسه: «يا لآلي  
 الطبيب! لو كان يحم أن فتاة مجربة، على هذا الجبال، وهذه الروعة  
 في الإلقاء، تقدم شعره مبرجاً رى الحرية، لكان عمر لدهره بعض ما  
 يدناه»

جاء دور كرم.. ولعب وألقى كلمته.. صمق لها الطلاب العرب،  
 صمق لها ضياء وحسن، وصمق المبريون عند الترجمة، وجاء دور  
 الأسئلة، فابالت عليه، وفوجيء سؤال غير متوقع:

- هل نظمت الشعر يوماً؟

نظر إلى صاحبه السؤال مدهوشاً كانت هذه بيروشكا وكانت  
 تقف رشقة، مهيبه، بشرها السبل، ذي الطبقة على مصحة الحد  
 وأجاب كرم

- لم يسبق لي أن نظمت الشعر ولكن من بعض في المهر، لا  
 بد له أن ينظمه قد أمل ذلك يوماً وسأهديك القصيدة  
 الأولى.. هذا وعد مني

قالها في رعاية غير خافية، فصم الجمهور، وانتهى الحفل.  
 وبعدهم بعضهم لمصاحبه، وثقة من عاصمه، لكن بيروشكا شبكت  
 ذراعها بذراعه وقالت بالعربية

- الليلة لن أعود إلى كليتي باكراً، وقد لا أعود أبداً..

وقال كرم:

- لك، يا صغيرتي، ما تشائين.. ولكن حذار، قد لا أكون  
 لطيفاً كما في المرة السابقة  
 وقالت بيروشكا:

- أنا لا أريدك أن تكون لطيفاً كن عسفاً يصدر ما تستطيع  
 هذا يطيب لي جداً.

يعدم له المعرفة والنصح، بأعساره طالباً قديماً في البحر، ويبدو على  
علاقة وثيقة بجورج، ويصر جيل، الموسيقى وعارف العود،  
ويعرف ألبوش معرفة تامة قال

- أقترح، ما دما قد لتفنيا، أن نعلم حفلة صغيرة، على شرف  
كاتبنا وصديقنا كرم

لاحظ كرم أن كل طالب عربي له صديقة تقريباً وأنه أحصر  
هذه الصديقة إلى الأسبوع وكان الكلام الذي يقال بالعربية، يترجم  
فوراً لحولاء الصديقات، وقد أظهرن حاسة واضحة لفكرة السيرة،  
ولم تتحلف من ذلك ببروشكا، ودون أن يدعوا مجالاً للسكتة،  
طرحت فكرة الحفلة كأها من المسلمات، وقبلت بالإجماع، ولم يبق  
إلا تحديد الزمان والمكان

بيج اقترح أن تكون الحفلة في مطعم عارض هادي قال -  
يريدنا حفلة عربية حفلة سورية، نسمع فيها العود والسماء  
العربي

قال جورج

- على أن تكون صيفاً، تتوزع فيها الحميمية

قال بيج

- غداً السبت إنه وقتها تماماً

قال كرم المشاق إلى جلة من هذا النوع، بعد طول غياب عن  
الوطن، وبعد أن حُرِم من أمته في الصين

- أنا موافق... وسأكون سعيداً بسماع عرفه موسيقارنا نصر.

دمدم هذا شاكرأ، مبتسماً عن خرق بين أسنانه، من وراء شفتين

- ٩ -

تخلّق الطلاب العرب، بعد الأسبوع، حول كرم، يطرونه  
بالأسئلة كان ما زال واقفاً في القاعة، قرب المدخل، ومنه ألبوش،  
ويصر حميد، وبروشكا، وبعض الجريين، وكان اليوم جمعة، وقد  
تقدم منه شاب ربعة، على عبيه نظدرتان طبيبان مدحتان، وله  
شجرة وحدي مدن الشمال السورية، صرّف معه باسم جورج، وقال  
الطلاب إنه رئيس رابطة الطلاب السوريين، وهم مع أنه كان  
بمراً وحاد أسس، وأنه يسكن الباء معه، في بسرور اوتسا، في  
الطابق الأرضي، وقد فرح مد علم أن كرم جاء للعمل في  
بودابست، وأنها يسكنان نهاية واحدة.

ارتاح كرم لتعرف إلى جورج وجده عادناً منطياً، جذراً  
بأن يكون رئيساً رابطة الطلاب، ومنه، أو بواسطته، تعرف إلى  
الطلاب الآخرين، وبينهم اثنين أظهرنا مودة حارة، هما هادي،  
وبيج، الأول كان نصيراً، له صنع خصف مبكر، وفي عبه نص  
طبيعي، والساي طوي، صامر، بارر المكين، يطلب عليه المرح،  
وهم من جورج أنها صديقات، وتقريران مع جداً

فان هادي، وكان يدرس مهندساً وله طاقة على تقديم المونة  
للآخرين، ويرعب، دون أن يباله أحد، أن يهتبه من يراه، وأن



منشئ، وبظارات سوداء - لكنه اشترط، أن يكون العدد قليلاً،  
وأن يحسن الحاضرون الإصغاء.

واضح للجميع، يبدو أن هذا الشرط كان معروفاً لديهم وكانوا  
شبهدي الحماس، وعلى استعداد للاستجابة التامة.

عندئذ اقترح هادي

- لنكن الحملة في بيت صديقتنا جورج

يكن كرم قال:

- برأي ذلك - لكن ما رأيكم، ما دمت وحيداً، وما دام بيتي  
جاهراً، أن تكون صدي.. بتم الحملة للنعارة.

هادي حسم الموقف فوراً

- نعماً - هدا، في التامة، بدأ - أتركوا تنظيم الحملة في  
وكذلك عدد الذي محضروب، وأساءهم - انضموا من خبرتي في هذه  
لأموار

م يحارص أحد - كان يجب يبدو تاماً لهادي، ويؤيداً لكل  
اقتراح يصدر عنه، وقال جورج إنه يكون سروراً بالمشاركة،  
ويعتبر ذلك واجباً، ما دام قد تأخر في زهارة الأستاذ كرم للسلام  
على هذه فرصة حملة تدشين ومباركة غير أنه اشترط لا أحد  
يأتي بأكثر من صديقتي - لا يريد اختلافاً في التوازن ولم يضم كرم  
هذا التحذير، لكن هادي قال

- لا بد من صديقة للأستاذ كرم

قال كرم

- شكرًا - الصديقه لا تأتي بوصية

لكن الحوش قال

- ولكن الأستاذ كرم له صديقة.. ألا تزونها إلى جانيه؟

قالا وتكلم مع يروشكا بالخرية - سأها

- تعرضي كرم ؟

قلت يروشكا باسمه

- نعم.. نحن صديقان مد وصول كرم إلى بودابست .

وقال بييج:

- سألتها هلولة إادن

تفرغوا بعد ذلك هي كرم ويروشكا والبوش، كانوا سعداء  
لنجاح الأمية - أصبر البوش هذا النجاح بمنته شخصياً، كرم كان  
سروراً بكل شيء - عاتقه صباه وحسن حبب الأمية وقال حسن

- لا بأس - أمة العرب محير - ولكن لاتسرس، أيها الملمون،  
تأثير أمة العرس، هذه الأدبيات، وقال صباه مقاطعاً:

- محكم - كلام كرم كان جيداً، وكان جيداً استشهاده بماظم.  
محكم - براهو كرم

وقال كرم في نفسه: «يا للطيبة! ضياء بمثابة أم.. كل ما  
أعمله حسن و - محكم - بالنسبة إليه - أيعقل أن يخفي هذا النمدار؟  
هذه هي العاطفة النمولية - عاطفة حب الطيبين، من أي بلد،  
وأي جنس كانوا.. وفي لحية مظابة قال لها

- غداً مساء - لا تأخرأ..

وقال صباه

- سألني ولكني سأكون وحيداً أنا لا صديقة لي سأكتفي  
بالمعاصر - مصر - مصر شتاً من الموسيقى التركية - اللوسفي التركية  
أصل للموسيقى العربية - إنها للموسيقى الشرقية الأصلية

وفال حسن

- البسة، يا صاه، هل أمة الأتراك.. الفرس..

وقاطعه كرم

- سمع موسيقى غربية ألبساً.. كما تريد يا حسن.. يا

صديقي الطيب ولعلها أن تكون موسيقى تبريرية..

هل أنت مسرور؟

قال صاه

- عكم

وابصرف

تأون الثلاثة كرم وبيروشكا والبوش الغشاء في مطعم برلين،  
كان الدب كبيراً وجيلاً وسوناً على باب المطعم وكان الجو رائقاً،  
الفرقة الموسيقية رائحة، والطعام فاخراً، وكذلك البيرة، ورفعت  
بيروشكا مع البوش أولاً، ثم مع كرم بدت أليمة، ودودة، كأنها  
تصرف كرم مند أهوام، وكأنه يحنها وحدها، وكأن كلمة الحب،  
التي لم يسمعها أي منها، كانت مقالة، بينها، وسدلة، سد  
أجبال لكن كرم كان ينهم يردد أن يمبر بيروشكا طمخته  
المدية، المدلة لا أكثر، وكان، في ذاته، يمحسها صافة ما  
بها من تعاون في العمر، وشك، في أمهاته، بأنه قادر على  
مبادلها عاطفه صادقة، عسيفة، كأن شعوراً مبهماً، تاماً، ما زال  
يتمتع به من الداخل؛ لحظة حبك الكبير، الجسون، لم تمنع بعد..

بعد الغشاء استأذن البوش وانصرف. وبعد بالحضور في الليلة

المتقنة شد على يدي كرم بقوة

قال له

- أنت صديقي.. بل أكثر لحر، كما يقال، نجسها فكرة  
واحدة، وموتها حب البسة العربية أنا لا أستطيع أن أتصور كم في  
الشعر العربي من موسيقى وك في السجع القرآني من شعر.. بصدي  
وجودك في البحر وسكون أصدقاء دائن، وسأعطيك دروساً في  
المجربة.. لا تتم من هذه الناحية.. متناح اللغة امرأة، بيروشكا  
ستملك المجربة بسرعة.. لن يمضي شهر إلا وتصبح قادراً على  
التعاطف بلسا-

قال كرم صاحكاً

- لا تعامل كثيراً عن هذه الناحية.. خس سوات في الصين،  
ولم أحفظ سوى اسمي لده والخمر في موضوع اللغات أنا عبي  
غني أكثر مما تتصور..

قال البوش:

- كان لك، في بكين، صديقة صينية؟

- لا.. مثل هذه الصداقة، هك، غير ممكنة

- إذن هذا هو السبب في أنك لم تحفظ في الصينية سوى كلمتين  
كما تقول المرأة يا صديقي هي المعلم الأول والأخير، صديقي  
وقال لبيروشكا بالمجربة

- لا تتكلمي سمع كرم بالفرنسية، عليه أن يتكلم المجربة

ساعديه في ذلك. كوني مجربة متعمصة في هذا المجال

على امتداد شارع ليجي، وبعده صعوداً إلى الشمال في شارع  
الجمهورية، صار كرم وبيروشكا واليد باليد. كاب يكر، هل يمتل  
هذا.. أنا في الأربعين، وهي في العشرين أو أقل، ماذا تقول  
الباس؟ يبدو أن البسة تكافئي.. بعد حرمان الأيام في الصين،

تفتح الجنة لي أبوابها في بودابست تفتحها واسعة على  
مصرعها . تجدد شبلي بشكل لمن .. هذا ما يسمونه حياة . يجبل  
إلي أبي أود من جديد .

بلغا البيت في الساعة الحادية عشرة رفعت يروشكا .  
وبإصرار ، أن تعود إلى كتبها ، قالت له : « إذا كتب ترصص ، هام  
كل ما في عرفة لن أحرص نفسي عليك ولن أصدقك » وقال  
كرم : « ليس هذا ي يروشكا لا تعصبي خطأ إنما أنت طالمة  
لا تكوني ههونة أنا أخاف على مستملك أخاف على وصحتك  
وأنت تكسبي الجاهة ماذا يعمل الشؤون إذا تميت بيلاً ؟  
« أجاهت » ليل ما يريد . لست مهتمة ثم إني أنجب أحبناً  
النظم الجاهلي ، ها ، يس صارماً إلى الحد الذي تصور نحن لا  
نؤدي خدمت العسكرية الاصبط الذي تصورهم غير مطلوب  
عدنا . لهذا الحربة اللارمة . »

جلسا في العرفة الداخلية ، أحاء نوراً خافتاً طويلاً ، أشعل  
شمعة ، مع رجاجة ويسكي أراج النارة من البادة المظلة على  
الحديقة . انصرفت موسيقى ناعمة ، حائلة من السجلة .. وقال  
بيروشكا

- لك عدي هدية ..

- أترى ذلك ضرورياً ؟ أنت تنفق كثيراً يا كرم ..

- في حبل حريري الصغيرة كل شيء يوزن .. ثم هذه عادتي .  
عندما أهدس أبيع بعض الأشياء من هذا النصف . أنا لست ممياً  
بالثراء ، ولي أكون ثرياً ما أريده هو أن أصبح كاتباً جيداً ، كاتباً  
معتزلاً به .

- لقد كنت رائعا اليوم

- ليس تماماً .. أعرف نفسي .. قد تكون الترجمة الجبرية هي  
الرائعة .. أنا كاتب لم يصل بعد .

- متحل . كن واثقاً من نفسك .

- أنا واثق من نفسي .. أعرف اني ماضل ، ولكن ليس قبل أن  
أعود إلى وطني .

بعض وأحضر صندوقين صبيين مليئين بالخلي والجوهرات  
انفتى خافاً جيلاً فقال له « عني الخسر » وقدمه لها .. قال لها :  
« عدي ثياب صبية أيضاً عدي مجموعة كبيرة من البوحات  
ما هو معروف هنا ليس إلا بعض ما أملك من تحف .. لقد جمعتها  
خلال خمس سنوات أنصفت عليها كل دخلي وأن سعيد بهدك

طلب أن يربها الثياب السائية الصبيبة ارتدت ثوباً عليه  
رسوم جملة ألصقا فوقه مغطاً حريراً مشعولاً باليد ، مطرراً  
بالوان راحية ، عمل أسطير صبية أتاها بظله صبيبة صبيبة من  
الحرير وعليها رسوم سح ها أن ترقى بما تشاء من قلائد وأدور  
وأخرائط وخواتم .. وحين ضللت ذلك ، قال لها

- أنت الآن أميرتي .. أنت أميرة صبيبة .. تعالي إلى المرأة

أسكني المظلة على هذا النحو ..

عندما رأت نفسها في المرأة الجدارية الطويلة ، هتعت من  
أعيانها

- يا يسوع الكم هو رائع هذا كله .. أرجوك أرجوك يا كرم .

دعي قللاً بيداً للباس ، وهذه الجواهرات ، دعني أنصوّر نفسي  
امرأة من ألف ليلة وليلة .. أميرة شرقية كما في الحكايات

- انني هكذا ما شئت.. ولولا أن هذه من أشياء النصف،  
لو هبتك إياها كلها، أو بعضها على الأقل  
عندئذ، وبحركة مسرحية، وكما يفعل امرأة الحكايات الشرقية  
حاولت أن تركع، كأنها تمصت نحبسه سائبة تاريخية من الرق  
وقالت له

- ماذا تريد مني؟

- لا شيء

- أسألك أن تعبرني جارية كما في ألف ليلة ويلة، أليس كذلك؟

- أنت أميرة..

- وأنت؟

- أنا كرم سقط

- أنت شهيد

- لكنني لم أقتلك في الصباح أسألك بغير حكايات

يكفي أن تكوني عذبة.

- سقط؟

- في الوقت الحاضر نعم أنت لا تريدني كادياً

تعتد إخفاء حبيبك في البدء ثم تحدث عن بك هذا  
الرائع، ولا هي هذه الأشياء التمسمة التي لديك أردت أن تصنع  
مجداً، ونحس اعرف أنك محبت ثم كنت كرمياً، وكنت  
مرعوباً، وكنت تدرك هذه الحقيقة، منذ الليلة الأولى التي دخلت  
فيها بك، عيني، يدي، شعري، وجهي، جسمي كله انطوى على  
رغبة إليك، وهرمت ذلك، وتجاهلته، وحلني، بطريقة جديدة  
ولكن حارمة، أن أعود تلك الليلة التي كنتي، فأطمعك وعدت

جعلني أرداد رغبة قبك، وأرداد جيلاً بك نعمدت أن تكون  
غامعاً، غريباً، وأن تلعب في لعبة ذكّة، وبكسها، اسبح لي، غير  
شريحة، لأنها تهدف إلى إغائي إني، بعد كل شيء، الحب موصلاً  
أن طالبي طالبه أدب، وأنت أدب، وكان الله بيننا طبيعياً،  
لكنتك بملعب نفسك بالعموم، أردت أن يظهر بأدب يست  
أدباً، أو لا تبالي بأن يعرف كدتك هل هذا هو صبح؟ أشكك إليه  
عزور، لكنك محبوب بذكاء واليوم، في الجامعة، سمعت  
بالأمسية وجل إن أدبياً عربياً سكتها منها ولم أعرف من هو،  
لكن إحساناً منها دعني إلى حضورها، ولم أكن محظنة بعد  
بمفتد، بعد تلك الليلة، ألا تأتي إلى الكلبة وسألني، مع أنني  
أعطيتك عوالي اسطرت أهاماً، كنت أريد، ككل فتاة، ككل  
امرأة، أن تأتي أنت، لكنك، في لعبة الاعتداد، أردت أن أتي  
أن وهذا أنت حشرت أمتك، كنت سعيدة، كنت فرحة كطرفة  
أدعك وعانك، وقتت إلى جانبك، فرحت نفسي عليك، طليت  
مك أن أتي إلى بيك قلت دعوك إلى السماء، وبعداً جئنا  
إلى هنا، وما نحن لشرب، وما أنت تصنع لي مناجات جديدة،  
بعرص هذه الثياب، وهذه الحللي، وهذه التحف علي، وبعداً  
تصبرني بلطف مادي، بمرّة كبيرة، جعلني، من شرط الحب  
والسعادة، أركع وأنت تحس عن كرمك، في حركة أردت منها  
إظهار عاطفي أكثر من إبداء خصوصي ماذا تريد بعد؟ أر  
تشع رهواً ومرحيه؟ يقول لي «يا أميري» وتمايلي كجارية  
هل هذا سلوك لائق؟ ألا براء سلوكاً يلحق برجل شرقي، واعدني  
على الكلمة، رجل قادر على الزواج من عدة نساء، وقادر، إذا كان  
يريد تقليد النحار الذي حدثنا عنهم ألف ليلة وليلة، أن يشري

ث. من اخواري لكن اسمع . أنا في اكون جارية، ولا ووجه  
رابعه، ولا فتاة بيع نفسي . بي ارضي.. خذ لويدأت تخلع الحلي  
وتلقها ارضاً) حد هذه . لأتبه . ألتها لسواي، أغر بها من  
نشت . بكسي أنا، بيروشكا، ألتني كل هذه المعرياب على الأرض،  
وسأذهب ولا أعود

- أنا أريدك صادقاً د نأ

- إذن صدقي أسي لا أريد منك شيئاً.. أرجوك، اسمحي لي  
أن أشرح نفسي . لست راهداً فيك.. لو كنت امرأة أخرى، أي  
امرأة، كنت أريد منك ما يريده الرجل من المرأة، ولكن أنت  
نظري لى أحدهك . أنا أعرك، أعرك مرة كبيرة، من أجل  
ذلك أصومك . أرمع أداي عنك، ولعلك أن يمولى ما سب هذا  
الوقت؟ يهرني ولا يجني، يهرني ولا يريدي . كيف يكون هذا؟  
أجيبك لأنني أعرك أحرمك . لا أريد أن يكون في موقعي  
استعلان لتعلمك بي، عني مرض أنه كدك . امهسي . لست مدلاً  
ولا أريد أن أكونه..

- وهل هناك ندالة في أن تحبي؟

- هناك ندالة في أن أحدهك . أنا أعرك ولا أحبك . فقه  
فرق، بها يكن بسيطاً، فهو قائم بيسا .  
- ولكنك تتصرف وكأنك تحبي..

وقت ومضي إلى النافذة.. هل يحق له أن يصدح عاطفة هذه  
الفتاة؟ يتصرف معها وكأنه يحبها . هذا حقيقي، يتصرف بلماقه،  
بوذ، بمرّة، هو تصرف فيه لون من الحب، لكنه لون لا أكثر.  
أما الحب، الكامل بكل قوته، كل صفه، كل اندفاعته، خارج

دائرة الفلزل، خارج برودة العقل، هو الحب الحقيقي، ومثل هذا  
الحب غير موجود، ولا يستطيعه . ولم يستطعه يوماً حتى الآن . إن  
فه شيئاً شاداً في هذا، لكنه الواقع . إنه لا يحبها ذلك الحب الذي  
ملك عليه منه، والدليل على ذلك أنها تستطيع أن تعاديه، ولن يجد  
دافعاً لأن يركع أمامها، لأن يسكن على صدرها، لأن يمولى لها لا  
تصادري . وتستطيع أن تعارقه بهائياً، ون بشر بأنه سيموت، أو  
يجز، إنه هي صطت ذلك . سلوكه، نحوها، ما زال يحكمه العقل.  
ولذلك هي المشكلة.

يا بيروشكا اقال لها، بوذي أن أحبك . أن أبادلك مشاعر أكثر  
صفاً وحرارة، لكسي عاجز . ثم هناك شيء لعله السبب . وأنت  
نعم، لشرب كأساً . يا أميري التي خرجت إلي من كتاب  
الف ليلة وليلة هذا المساء..

شربت بنهية كبيرة . كانت قد وضعت وزاوت تدور في العرفة،  
هذا الاشياء عليها . استشرت إحانة بالغة، تعرض قلبها لفرص  
تعرض جسدها مبأس، أي رجل هذا! وما هو السبب الذي يمولى  
بيسه وهي أن يحبها وأن يضاحمها.. قالت

- أنا لا أحبك يا كرم . مد خطلة لقائنا تتعمد أن تكون  
لنراً . هل هذه طريقة في القنيس لجيدها؟ أصمى إليها دوماً  
مقاطعة . وظلّ صامساً بمكر، وهي ترتدي ثياباً اسمداداً  
للدهاب.. وحيي قالت له:

- أنا ذاهبة

لم يحرك في مقدمه . لم يمض لوداعها . ظلّ جالساً قدها  
بعبارة واحدة

- أغلق الباب وراءك عندما تخرجين.

عبدك استدارت إليه تقدمت. وصمت قبالتها. حدثت فيه مصعب، بسمعة، قالت

- أنت لست حبيراً. لا تحاول أن تظهر أنك لا تحسن، لا تبالي، لا تتأثر بكل ما فعلت.. قلت في إنك لا تريد أن تكون مدلاً، ولكن هذا التصرف له اسم واحد تذاك

وقف، كان يرتش لمطر تأثره كان يشعر أنه غير مفهوم، وأنه مظلوم لديك، وأنه من يستطيع، بأية لغة يكلم، بأي شعور يبدى، أن يجعل أسأله معهومة ومقبولة منها، ومن حبها، لأنه كذلك، أن تنهيه بالمعصوم، وبالاتدراج، وبمحاولة إيهاده، وبمحراب لمة دكاء حديده معها. وفي اللحظة التي عتف فيها بالعروج، اعترضها، سد الطريق عليها، قدّم لها حده وقال

- اصمعي: أستحق.. أعطي هذا.. أرجوك أن تغلبه، إذا كان ينس منك، ويعطيك أكثر هدوءاً وأشد قدرة على الإصغاء لا سوف أكون

- وماذا لديك لنموه بعد؟

- كلمات بسيطة

- لنحدثني أكثر، أو تنهي أكثر

- لا هذا ولا ذاك.. بيروشكا يا صديقي.. هل بدأت نورتك؟ أمامك هذا البيت، حطمي كل ما فيه.. كله بيون، إذا كان من شأنه أن يبيدك إلى السكينة ولو قليلاً.. عاني هذه الحفيدة.. اجلسي.. أرجوك، لتأخذ كائناً أخرى ولتحدث.. سأقول لك كلمات قليلة. وبعدها تصرقي كما يبلو لك.. تأولنه

حمية اليد. هدأت قليلاً. كانت، في ذاتها، على استعداد للهدوء، للرصوخ، كانت، في هذه اللحظة، صعيقة جداً، برعم السمار الذي تشق على وجهها أرادت أن تكون قوية، لكنها تكثف عن صحت نائج عن حب وعن شيء آخر اسمه براءة، طمونة، عدم تجرية كافية في التعامل مع الرجال..

تناولت الكأس وحولت إمرأها كلها في جوفها، أمك يده «لا يعطى! قال، سكرين، لا أرهدك سكرى، ما زال لديها كلام يمالك، ولم يسه ما يسا فقط اسمعي، وصديقي كما وعدت» شرب كأسه هو الآخر وقال

- أصعل أن أخبرك على أن أحدهك أو أكذب عليك أن لا استطع أن أحبك ليسى أولها. وهو الأهم، أني عاجز عن الحب عاجز عن الحب الذي هو معجزة، أو كبير منها الحب الذي يجعلني أسيراً، محبواً، وقادراً على التصرف بطيئ كامل وتايها هو طارق العرييب انظري أنت مثل ابنتي مثل ابنتي لو كنت متزوجاً، وبعد هذا، تريدني أن أدين شعوراً بحدبي، هو شعور من يدرك أن التكافؤ، من هذه الماحبة، معدوم يسا.. هل هذا واضح؟ ولكن لشرب جرعة أخرى أولاً

قالت بيروشكا وقد اصبروت في بكاء مضاعف

- أحبك ولكني لا أصدقك.. لا أرهد أن أصدقك.. أنت تحبني كما أحبك لكنك تتمرر ثم ما سألة العمر هذه؟ اسها أنا أحبك أحبك لأنك تكبري كما تقول متى كان طارق العمر حائلاً بين قلبي؟ وعلى غرض أنك لا تحبني، وأنت تتمرر صط أنا أوافق على هذه المرة ما دامت صادقة

- في هذه الحال أنا لك بكل ما تطيبين.

- قبلي إذن

قبلي في خدما .. انتصرت ، بشغبي حارتي دماً كان على  
وجها لكها صاحب

- قبلي في صبي

وفعل صبتا اي صدره وقال لها لا تبكي - لا تبكي يا  
عزيرتي الصغيرة الرائعة

قالت

- ولن نستخدم إي بوصية أبوية لعبة كما فعلت في المرة السابقة؟

- لن أفعل .

- وسامعاً عما؟

- من غير شك ..

- وستكون لطيفاً ..

قال وهو يتذكر البارمان فرانسي

- لن أكون مجرباً ملموناً على كل حال

- ١٠ -

في الصباح ذهب كرم إلى الجامعة فالتقى درسه في الحصين  
المعززين ، كان طلابه ، اليوم ، أكثر انجذاباً إليه . حاولوا أن  
يحدثوا عن الأسبوع الأدبي ، طيب أحدهم أن تكون كلمة كرم في  
الأسبوع مآذتهم الدراسية لهذا اليوم . أغروه بالخروج من الدرس  
للمرور للكلام على الأدب ، من خلال ما سمعوه منه أمس ومن ذلك  
بحرم يعرف شيطه الطلاب ودرستهم في أن يصبوا مع مدرستهم لعبة  
تدح ، مجزوه بها إلى الكلام على حياته الخاصة ، على شعره أو قصه  
أو لوحه ، إذا كان شاعراً أو فاضلاً ، أو رساماً أو صاحب اللعبة يهر  
ردع يسيء إلى مواطن هؤلاء الشباب ، ولكن يهر تصاهل في ما  
يمعني بالدرس الممر كانت تلك عادته ، هو في الجامعة مربب ، وهو  
أمام برنامج عليه أن يمتد به ويحجره . ثم إن الوقت المخصص للعبة  
العربية قصير . لا يتجاوز عشر ساعات في الأسبوع كله .

عاصر الجامعة في الحادية عشرة والربع لم تكن لديه سيارة ، كان  
يحب السير ، ولا حاجة لتبديل وسائل النقل ، مشى حتى محطة  
المترو ، ومن هناك ، في آخر شارع الجمهورية تعرب ، ركب متعباً  
إلى بيته ، يتابعه شعوران - رغبة في الراحة ، في النوم بعد السهر  
الطويل ، ورغبة في أن يصي إلى شيء من الموسيقى المأدبة وأن

يستمر، كعادته، وقائع الأسى، ويرتقب أشاءه النفسية،  
 اختلطة في ذاته، يرغم أنه لم يرتكب حاجة تحمله يهدم على أنها  
 تصرف، الشيء الوحيد كان خوفه أن يخدع نفسه. وكان هذا  
 الخداع واقعاً كان يعرف أنه دون متحفه لا شيء، وأنه، في  
 العصر، كان يريد يبروشكا جسدياً، وأنه توسل إلى ذلك بنوع من  
 دهاء، تحت ستار طيبة مفرطة. ويرغم أن كلمته استقبلت بترجب  
 وحاجة من قبل المحاصرين، إلا أنها، في الحقيقة، كانت حاجة بعض  
 الشيء، وتصر إلى شواهد، وتوثيق، ومروءة، كانت غير مشوعية،  
 بل بيته، وبو أدها في دمشق لكثب عن صحاله ثقافته، عن جهله  
 بالمعطيات المستعده في عام الأدب، خاصة الحديث منه، عن عمر  
 السبع البشري فيها، وعن الضرورة إلى الإطلاع، ومما يشه البيئته،  
 والبشر في أجواء الوطن، أجواء مائه، التي وحدها تسكل  
 مقومات أدب حقيقي، أدب يلجى بضموح كاتب يحمل قضية

عده المخاطر التي آلت به وهو يكتب، ثم وهو يلقي ما كتب  
 في الأمسية، لارمه بعد العودة إلى البيت أهدأ، وإذا كان، بعمل  
 الويسكي، وتأثير يبروشكا، قد يحج في أن يصحبها جانباً، بختربا في  
 اللاشعور، فإنه م بها، وما قد استدعاها اليوم، في محاسنة مع  
 النفس، ومصارحة داخلية كاشفة بتطلتها كي يظل في الطريق  
 السوي، ولا يهتدر إلى مغربات العربة وأحلاقها كاس، في يملأ  
 يواجه حبال الوطن، صارماً، أو مسرراً أن يكون كذلك. هذا  
 الواجب، في المسمى المعروف، يتحدد بالقدرة على العمل، صس  
 الحيز المناج، وأحسن الأدبي الذي يراوله، وهو كسايه الرواية،  
 صحيح أنه ليس موضوعاً، ولا بوهيمياً، ولا متبذد الإحساس، لكنه  
 قد يصرف، بدفع من خلعه كمان، بصرفاً منه بعض الخروج على

الألوف كان هذا من حقه لم يكن يشعر بأنها تنكبت لتصوير من  
 جرائه لا بد له من صوب مشير في الفن، وهذا يسمى الروح  
 المردية، روح اللهو والسهر والاسماع، لكنه ضد الإغراق في  
 ذلك. هذا ما فعله في أوروبا، وفي الصين، وسيفعله في البحر الحب  
 السهر، الرقص، اللهو، لكن مع هذا كله، أو قبله كله، العمل، ليس  
 العمل التوظيفي، مصدر الرزق، بل عمل الإبداع، أن يصح  
 روايته، التي هي في الأصل، جزء من واقعه، باعتبارها تنبذت عن  
 كاتب بملأ عذاب المرة وقد لاحظ، في الأمسية، أن عرف مصر  
 جميل، كان رائعاً، لكنه لا يسأب مع دراسته الموسيقي في البحر،  
 لم يكن قد وضع أية قطعة موسيحية، منها السكبة الشرقية، فيها  
 صورة الوطن، وبعض الحياة الشعبية، فما سبب هذا؟

أجل من الباعدة، كان أدامو الإيطالي في العديفة كانت  
 هناك أيضاً المظلة، وسرير المظلة راقبه قليلاً، كان أدامو يهرأ،  
 يصح بكاسل، يهتز مكان المظلة، وكان المظلة أم نلسون  
 الذي يهرأ الماركة، ويحب في بطقها الطيبة، فهو يهتأ  
 ظلال شجرة واردة، ويكتب، من حين لآخر، بعض الملاحظات،  
 لإعداد كتابه المنشطر عن النقاء والاستقلالية، والخصائص  
 الأوروبية، بوس عدم مقابلة الحب بالحب، وأشباه أخرى، من  
 بسا القصية المجرية، وكيف لم تفهم استقلاله أمرى ناجي، وعن  
 الخطأ في التدخل، من قبل دولة أخرى، مؤكداً أن الثورة البعده،  
 ومقاومتها، شأنان داخشان تماماً

قال كرم في نفسه وهو يراقبها « هذه تنبئه الناس ثم بعد بديهم،  
 في قصبة النصال، ما يملونه الماية بالطمولة جيد الطمونة  
 جيلة، وما يوفرون لها كل منطبات الحصاد، والسو، والنشئة



الجيدة، لكن الأمان، في هذه البلاد، يملكون في الحاجم والممانع  
وخمسون سفير عيشة الأسار هذا الإطفي الذي مظنة الملونة.  
هي حدود ديانة ابرقته. ومن يتأني لسون، أن بهم أن الناعلين  
لأوئل، كانوا يهرؤن «الركه في انعاثر، على أصواء التتموع،  
ويريدون الأكمان، لأنهم يشعرون أنهم شهداء أحياء. إن المر  
بوتون، على أعواد اللثاق، ولقدس يدورون في السجون، ييب  
صوحايم من المدالة، وهذه المصحة المجرية التي ألماها جماعة  
أمري ناجي، من الطابق السادس، هؤلاء جميعاً لا يدخلون في  
حساب ماركيتة النظيفة»

بعد الظهر ذهب كرم إلى صديقه فرانتس.. وقد رآه هذا  
صاح

- ها.. أيها الصديق.. كيف الحال؟ كيف الصديقات.. هل  
كنت فحرجاً معهم؟

- إلى حد ما. المرأة، يا فرانتس.. في كل مكان، لحبة بعض  
المص.. أنا لم أكن عيباً، لم أكن فحرجاً. حصلت بصيحتك،  
لكسي م أكن لطيفاً جداً..

صاح فرانتس وهو يهزّ قدحاً لكرم

- إلى البالوعة بكل اللطف. أنا لا أحب اللطام جداً..  
هؤلاء يشكروك جداً. ومطوبك لطفاً بدل البحنيش أولاد  
عاهرة لا أكثر

- هذه نصيحة مفيدة يا صديقي.. لن أحب اللطام جداً بعد  
اليوم، لكن فديّ كمية منهم هذا الماء.. سأقيم سهرة في بيبي.  
- أنت؟ وهذه السرعة؟ جند، ومن سيحضر حملتك؟

- بعض الأصدقاء من الطلاب العرب، ومنهم صديقانهم،  
وموسيقار عربي، يدرس في المجر.. سيعرفنا لنا أشياء شريفة

- ووددت لو كنت موجوداً.. لكن عملي، في الأصل، ليلاً.  
وبالنسبة.. تذكر تلك العناية التي لعت بك لعبة صغيرة البيت  
الخاص؟ رأيتها أمس. قالت إنها ستوروك مع خطيبها  
ما اسمها؟ لمدسه

هورا يتادوها روربكك للنحب. ناد، لا ندعوها؟ لذي رهم  
صاح

- لا أستطيع التبله ربما في المستقبل في سهرة ممثلة  
- هل تسوي أن تُكثر من السهرات في بيك في هذه الحان  
صاحنا فأحد رمانسا

- اطمن.. لن أتعامل مع رمانساك أو غيرهم  
- قال فرانتس:

- يا صديقي الطيب، فمشتك صد اللقاء الأول. أنت تريد..  
قاطبه

- لا أريد شيئاً، جنك لأمر آخر  
- ما هو؟

- ساعدي في معرفة الأشياء التي تتطلبها المظلة.. أرجوك..  
- اسمع.. سأرسل معك أحد الضياع إلى هذا المجرن القريب

إنه دوبر مارك. تستطيع أن تنتهي ما تريد. أنت من تقدم  
لصوبوك الويسكي والحق والسراويل. أليس كذلك؟ هذه أشياء  
عالية.. للسهرات الخاصة.. مع صديقة مثلاً في سهرة اللثة عند  
صدوقاً من البيرة، بعض رجالات النيد، بعض الكومالك.. ثم

البحوم الباردة - سأكتب هذه الأشياء في ورقه ، وسأؤتيك الغني  
في شرائها ، وفي إيصالها ببرة إلى البيت

« يا صديقي الطيب ، قال له ، هذه خدمة تستحق عليها مرفه  
أنا بن أكون طبعاً منك ، أنت لا تحب اللطيف ، ولأكون عجزياً ،  
عبر أن ليلة سائي ، ليلة رائعة مبهجة جداً ، في بيتي ، ومعهد إلى  
الصباح . أنت وجل أرمي . لكن هذه الكلمة تدخل في باب  
اللطيف ، أليس كذلك ؟ .. قال فرائس : يكفي ما سمعت من  
لطيفك .. سهره طيبة ، جرب ألا تشرب كثيراً ، ستكون ، آخر  
السل ، بحاجة إلى وصيك . ودي قواك أنت نعم ، دي اللطاف »

المراء البوابة ، في بيته ، كانت تكره اللطيف أيضاً كان كرم  
يترجم لطفه إلى عدايا ، من أجل ذلك أسأمر ، دون الساكن ،  
بوذا . بها يعرف ، بحكم صحتها ، أن ترحم غيرها إلى خدمات ، أن  
تبدل لطفها صديقاً بطيف على . وقد قام زوجها ، المترب معها على  
الباء ، بفعل طاولتين ، ودرية من الكرامتي ، وأخرى من الصحون  
والأدوات إلى شقة كرم ، هذه الأشياء ، التي تُروى بها الغنى . لكون  
الباء مفروشا ، وأشيء بصدق ، قالت لكرم : « أنت وحيد ، إذن يجب  
لك قديم وحسن وملطف وشوكة .. الأدوات على هذه أمراء  
العائلة . لكسك ، أنت ، مستطع أن مطلب ما تريد . أقم ما تشاء  
من السهرات ، لكن دون أن تطلق راحة جيرانك ، انتبه ، لا أريد  
شكاوى إلى الإدارة »

وقال حسن ، عندما جاء مبكراً في المساء

- أيها اللعون . من أين لك هذه الأشياء كلها ؟ أنت لا تقام مع  
البوابة المحور أليس كذلك ؟

- ولماذا لا أقام ؟ الفعير يأكل « خيراً باباً »

- أنت تأكل خيراً « طارحاً » .. أعرف كل شيء .. أمة العرب  
في حال طيبة

والت بيروشكا حتى دخلت البيت

- يوريش ماريو .. (يا يسوع ابن مريم) كيف دبرت كل هذا ؟ كم  
أصبت من النقود ، يا حبيبي المحزون ..  
أما صياء التركي فقد قال ، بعد أن عاين الترتيبات :  
- محكم

ولم يرد على ذلك لكنه ، بعد قليل ، واثراً موبة من السعال ،  
طلب قدحاً مسبقاً من المودكا ، فقال حسن :

- وأمة الكرسي ، تريد قدحاً أيضاً .. أنت ، أيها اللعون ،  
تفضل الويسكي .. أنت ولد شيطان ..

بعد ذلك تعاون بييج وبيروشكا على صنع بعض التوابل  
والمصلات كان بييج يصنع خرافته بيروشكا في مساعدته ويقوم  
لكرم بالمربية

- إذا لم تسلم بيروشكا هذه صنع بعض لأشياء ، فسكون أول  
من ألمية من الباعة - ماذا بمدك هذه الاسم التي تكسب الشعر  
كما تقول ؟ بعضنا شعراء في بلادنا ؟

اسهره هادي

- أنت تعمل وتسكت .. بيروشكا قطعة من المتعصب

وقال بييج وهو يصنع مكشراً من أسنان طويلاً

- وقطعة من السرير أيضاً ..

فقال كرم جاداً

- أرجوكم، ولا كلمة سيئة بحق يبروشكا.. هذه صديقتي..

قال بييج

- عن مدحها أنا لا أعرف طريقة أخرى لمديح العشيّات

قال هادي

- لا يريد هجاء ولا مدحاً. يبروشكا تتصرف كأنها سيّدة

البيت.. وهي كذلك بتوصية من كرم. وفي هذه الحال أفضل ما يصنع هو أن تملق نفسك

قال كرم

- دعوا يبروشكا وشأنها.. لنسرع في إبحار القبلات..

أصرخوا ما استطاعوا، وعندما فرغوا من الترتيبات، انصرفوا لارتداء الثياب اللائقة، وإحصار الصديقات، ولم يبق سوى يبروشكا التي ظنت تدخل والمخرج، بين العري والمطبخ، دون أن تعمل شيئاً.. كانت ترتدي ثوباً يكتنف عن صدرها، والجري لأبيض، الرئع، بين يديها، وشعرها المنار، الذي أسلته، لأنها تعرف أن كرم يريد مبعلاً، وأغنية من الشهجة، غير مذاقة، تداح في الجو، والقصر المجور، من الناعدة، يصحك في لحبته العصبية، ورضى يصر الصدرى، بحس، ونكسه لا يترجم، وقبلات سهوة ويبروشكا بعون

- كرم، ماذا أفعل أيضاً؟

قال كرم

- لا شيء.. يكفي ما فعلت! أنت سيّدة بيت هائلة.. يمكنك

ساع الموسيقى ريثما استحمّ قاديبي؟

في الثامنة بدأ الأصدقاء يواحدون، كان كل منهم يصطحب

صديقه.. يبروشكا كانت تحسن فتح الباب، والترحيب

- فتك (تتصل).. تقول وهي تبسم، وتفتح الطريق

للغادمي

لكنها، ما بدا من نظراتها، لم تكن مرتاحة لحيه النساء، لم تكن مرتاحة أكثر لإعجاب الممرط بالبيت والنحف وبمصبة يامنت هادي، في المطبخ، عن هذه النسكيبه المعصية، كان هادي عاوراً جيداً صوراً أفلح في إقاعها أن الجميع أصدقاء، ولا خطر على النحف، إذا ما تجاوزت فتاة ما، التعلبات، ولست إحدى النحف مع ذلك سحبت يبروشكا كرم إلى زاوية وقالت له

- هل أنت مرتاح لهذه المجموعة من النطط ؟

- وما علامتي؟.. لكل فتاة صديقتها.. هذه هي طبيعة السمرات أرجو أن كوي طبة السهرة لا يبدأ بعد دمي حاسيتك الممرطة .

أخيراً جاء نصر ومنعه عوده. كان حسن وضياء قد جاء وحيدس لم تكن، لأي سببها، صديقة وم يكن سبباً، في رأيها، [حصار روجنبا].. وقال حسن

- اللعة عليك يا ابن العرب أنت.. من أين أحصرت كل هؤلاء الناس؟ متى تمررت بهم؟ ويبروشكا، هذه؟  
وقال صياء

- محكم. كرم أهد لنا سهرة رائعة.. وأنت، يا حسن، يابني لا تكن غارسياً جلفاً. اللبة على الأعلى.

في التاسعة بدأت السهرة.. بدأت بوسيقى ناعسة، وبعض الأغاني العربية لمرور وبعض الكؤوس كانت هذه فترة تحمية،

ثم أطفئت الأنوار.. وأبقيت مصابيح ملوثة.. وصاح جورج

- أهشو هاد خيتو رومانسيك؟

بصر بصر جبل على عوده صمتا وكان ألوش يشرح، بصوت  
خفيض، لصديقه شيئاً عن هذه الآلة الموسيقية الشرفية، التي تشبه  
البيانو.. عماد بصر جين يفر على عوده احتجاجاً، وصاح عادي.

- صمت يا جماعة

وصمت الجميع

بدأ العزف حافياً، يكاد لا يسمع، كان مستأً، هرموياً، يندرج  
صموداً، بأدنى حرية، ثم انحطف إلى مقام العباء، فالهويد،  
ودخل منطقة الغامات، وسطر على الجو لم يعد أحد يهكم، لم  
يعد قادراً أن يهكم كان العود ملكاً، كان ملك الطرب حمصة،  
نكر بصر، يهكم درسه، مرج شيئاً من الموسيقى الغربية في العزف  
الشرقي وصاح طالب عربي، من المدهوشين

- الله أكبر!

ولما شرعته الميوز، أفضل فيه.. الإعجاب في القلب.. لا كلام  
صلاة، العود يصلي.. ويبروشكا تلتصق بكرم، تداعب يده.. وهو،  
باليد الأخرى، يداعب شعرها، يتخلل حريره بأصابعه، ويشرب  
لأصاً السود التي تصعد في الصبح، مستذكراً صديقه عيدي،  
وكنته: «هكذا مثلاً..» ورل هيج، بكل قاته الصلابة، وسجد  
أمام بصر، وزاح ببر رأسه طرباً

دامت الوصلة الأولى قراءة نصف الساعة، ولما توقفت العود،  
انطقت الأصوات بهتة واحدة:

- براهو

أشعلت الأصواء، وتعالى رنين الكؤوس، في أعقاب لا تنتهي،  
كل مع صديقه ثم مع الجميع  
وقالت فتاة

- رومانسيكوش! اطفئوا الأنوار..

أطفئت الأنوار من جديد، وأعلن بصر.. وهو يهيه إلى  
الصمت

- الآن، عجم عثيران، لأجل صديقنا حسن.

صعدوا..

- براهو!

وزاح العود، من مقام العجم، بسلطان، وحسن يصح يديه على  
رأسه ويحول، برغم التصديرات:

- يا يا يا يا يا

وعلق ضياء، بملكته التركية

- مُحكم. اساد. مُحكم

واسمى عجم عثيران، تصديق، براهو. رنين الكؤوس.. لمحات  
بين الأصدقاء، وأعلن بصر:

توونكتاه.. ثم تركي.

صحب ضياء جده.. ملأ قدحه جيداً.. وعلى نقرات عود  
حمون، في تقنيات شرقية، زاح ضياء، كصاحبه حسن، ببر رأسه  
طرباً، مترجماً شابه، وهو يصيح:

- أمان جام، أمان جام (آه روجي، آه يا روجي)

وانسلط سير إلى أغنية بحرية شهيرة بحوية «اراسيب»

(عبود حيله) وشرع المسيح كوراً جامعاً، يمتون للمبون المصيلة

وجورج يصيح

- ايشو هاد خبؤ.. نصر.. أنت ملك العود .

وصدقته تصق . ثم نهت، ورفعت.. كانت طويلة، محبلة،  
ورقصتها الإفرادية، مع الدم، وزيغ النصف، حثت جواً  
حالياً جسواً

رن، في هذا الجو اللاهب، جرس الباب. أسرعت بيروشكا، ثم  
عادت تقول

- بورتاش (البوابة).

خرج كرم مسرعاً.. استدعى هادي للترجة. حسب أن فة  
احتجاجاً من الجيران، لكن البوابة قالت

- ابرجكا المصبة، ابرجكا المصانة. في لدخل، نأل منك

ركض كرم للاستقبال، كانت مفاجأة. دوى النصف في  
الداخل. رجع هادي وأعلى من غدوم ابرجكا. أصحوا لها مكاناً  
في الصدر. دهشوا للمفاجأة.. حسبوا أن كرم قد قطعها،  
واستندموا إلى لحظة الدهر كطرية. وحين دخلت، بهاها.  
بأبتها وبرصاتها وقموا جيباً.. صموا.. وصمت يدها على نفسها،  
سحت قبلتها للمصيح، أما كرم فقد أدبرت له خدها.. قبلها  
وأعلى

- صديقي ابرجكا..

صق الحاضرون من جديد.. وقف نصر، الذي يقدر موهبتها  
تقبل يدها محبباً.. صاحت الأصوات

- روماتيكوش!! أظنوا الأصواء.

أطفت، لكنها، حين أصبحت ثانية، كانت بيروشكا قد  
اضمت. ظمها كرم في لطبخ، في التواليت، في المار المدرجي،  
بحث في كل مكان لم يجدها، بل يسأل البوابة عنها، فقالت له  
- خرجت. خرجت وهي تيكى.. ماذا جرى؟ لماذا  
وعكها..؟

عاد كرم وهادي إلى الداخل صامتين. مظاهر كرم بالسرور،  
راح يثرّب سمهم بسفر أن تعود بيروشكا، لكن بيروشكا لم تعد

لم تحمل الصدمة. وم تنأ أن سمع أي إصاح حوس يرجكا  
استغفت.. فرّت من الحركة قبل أن تبدأ. كانت مصوراً انقص  
عليه باثق من ساء عالية جداً..

ولم يعرف كرم كيف يتصرف.. انحطت عليه الأمور.. هرن  
لدهاب بيروشكا؟ لمرارها؟ أم يرحح بمحي. ابرجكا؟ الزهرة  
المجانة أذهنه، ولم يجد من دواء سوى الكأس. وحين صب  
ابرجكا، صبح الحاضرون، صموا طويلاً، اردادوا جسواً، وتل  
صباء

- براغوا محكم

لكن كرم كان قد دخل مطعمه الصمت هائباً، ولم تحمل كفه من  
الكأس

شعرت ابرجكا أنها جاءت في غير وقتها، هذه السهرة، هؤلاء  
 حضور، نصر جيل وعوده، تلك الفتاة التي هربت، خروج كرم  
 زهرها، ثم عودته غائياً كل هذا لم يصب نصرت وكأنها لم تلحظ  
 شيئاً عنت أغنية واحدة أصدرت أنها سونغته. ولهذا لم نعدم  
 الليلة لقرب في برنامج على مكس الذي تعمل فيه.

كان حضورها المثير، المحاورة التي استقبلت بها، انحاء نصر  
 جيل ها، احبابه والتصديق لأعبتها، كل ذلك كان قسماً بأن  
 يرددها، بل إن حرب بيروشكا وحده، وما بقي من وطأة سلطانها،  
 ومن انتصارها في هذا العمر، على فتاة صغيرة وجيدة، كان حديثاً  
 بأن يجمعها سميدة حاية السادة، وفي الواقع لم تكن بعضها السادة  
 كان مرورها على بيت كرم هدفه ردّ الرهانة، واضطجابه إلى  
 انلهم، لكسها، مد ألت نصفا في جو كهذا، وسلمها للوسى  
 الشرقية، في تقبلت ومقامات نصر جيل، وبهجتها هذه الحسية  
 من خاضعين، نهلت في الانصراف، ثم فررت البقاء، مشاقه إلى  
 أن يمضى لها، بعد أن أصبحت أعواماً من عمرها وهي معي للأخرى  
 هذا، على الأقل، «جال في خاطرها، لكسها، في الانصراف، كانت  
 تواصل عمدة السطو على الآخر، في الإحسان الذي يمت شوة

مأيا هي المرأة، قادره أن تصادر رجلاً، وأن تحضمه، وأن تسحق  
 امرأة أخرى، وتجعلها تستسلم من المقابلة الأولى

هي، في البدء، لم تكن تريد الاستئثار بكرم بالعكس، أرادته  
 وسيلة متعة عابرة، في ليلة مسورة بالشوق، تقول له بعدها  
 «ادعني» كما يقول أي رجل لأية امرأة، بعد ليلة كهذه  
 «ادعني».. الآن اخلف الموقف، اختلعت النظرة، الهدى، صار  
 حاجبها أن نكتشف من هو أن تعرف، وهو بين هؤلاء الكرم من  
 مدعوية، كمن ادعى أنه صل طريق البيت، وكيف يملك متعماً  
 كهذا، وما علاقته بالمتاة التي هربت، وهل لمب بها لعبة دكية، في  
 وقت كانت تظن أنها هي، صاحبة هذه اللعبة، وأن انصدلة  
 وحدها، وصحته في طريقها، تلك اللعبة لقد حسبت أنها تصبح  
 معروفة، تصبح له بجة، وتساق مع حادث طريق إلى مداه  
 الأقصى لكسها، اللعبة، كانت أمام واعين، هذا الجواحد، غير  
 المتوقع، العريب، المترى، وهذا التمهيه، بين أن تملب أو تفسد،  
 بين أن تواصل دورها، في اللهو بإسار سادج، وبين أن تصبح هي  
 ألية لرجل داعية بأكثر مما كانت تتصور..

الآن، كما فكرت، تبدأ مرحلة أخرى، قد لا نسميها كثيراً،  
 وقد نكون قصيرة جداً، لكسها، في كل حال، نصفا أمام تجربة  
 جديدة، دفعا للتعدي إلى أن تضي بها إلى النهاية..

لهذا، عندما انصفت السهرة، تهرجت في الخروج طلعت فجأة  
 من الموهة طاعت، ريثا أعده لها كرم، أرجاء السب، كان النور  
 كاملاً الآن، انتهى الجو الرومانسيكي عانيت كل شيء بدوه لم  
 تدهشها النعم عاظمها اكتشفت أنها خدعت كان يؤلها أن  
 تُدعج هذا لا يخرج كبرياءها صط، بل يجمعها تشك في دكانها

ومراسمتها أيضاً، هي التي حيرت أصدافاً من الرجال. إن هذا البيت، هذا المنصب، هذه الشهرة، أدله دامة على أن كرم يقف في بودايست ويعرف كثيرين بها

أما كرم فقد تدكر جيداً أنه أعطاها عنوانه على هذا العنوان جدار البيت، حدثت لسأكر أن ما قاله صحيح، وأن له بيتاً، وأنه لم يمارد بودايست. بعد ذلك السنة التي أمضاها معها، وقد توقع كل شيء، إلا أن ناي هي، وأن بعد الحو مع بيروشكا إمساداً غير قابل للإصلاح، وهذا كان منتهى، وكان يرغب أن تدعه وتصرف. إلا أنها بقيت في حساب يحتاج إلى تصفية

فبحث النافذة أطلت على الحديقة انتعشت من طراوة الليل. لكن في الداخل كانت تعاني رعباً مدمم الرضى ولا امرح عينيها، وهما بشرى القهوة، ومجلس حول المائدة الصميرة التي سحبها قرب الدوحة، أن يسما شيئاً من الموسيقى، رقصت مص على الحائط، طيب الملهي أخبرت الكبير أب موعظه، ولن تقدم فقرتها السنة كرم لم يهتم شيئاً هم بدوره إلى جورج، بأله عما إذا كان هادي ما يزال عنده. التمس منه أن يرسله إليه، جاء هادي، أدركت أنه طيب للفرجة العاموس الذي استعانا به. في تلك الليلة، عبر موجود، كرم تلقى بعض الدروس بالهرية، على يد الوش، لكنه لا يستطيع أن يشرح نفسه. ولا أن يتبادل حواراً معها

سألها عما ترغب من شرايب فتح لها النار الصمير، طابت كلاً من الحى، مع عصير البسون. شرب هادي نبيداً، هو اختار الويسكي، تتمش قليلاً حاول أن يصفي بعض المرح على الجو أن يجمل الجلسة الصميرة حبيبة. فكها، هي، تحفكت عبر قليل

بالهرية مع هادي شرح لها هذا الموقف كان محسناً، كان من كرم كاتب، وقد اشترك في أمسية أدبية، وأنهم اقترحوا، بعد الأمسية، أن يهرؤا الليلة عنده، وهذا ما صار

- وتلك العناية؟ سألت -

- طالبة في كلية الآداب. وكانت من حمور الأمسية. ذهبت على هذا الأساس

- أنزلت نصية على أي أساس ذهبت.. ما يعني لماذا أصبحت؟ سأله

سأله. قال كرم:

- لست أدري.. فعلها شربت أكثر مما تحتمل

قالت ابرجكا

- لم أفتح.. ما هي العلاقة بينكما؟ أهي صديقتك؟

- نعم. قال بعمر تردد

- وأنا؟

- صديقة أيضاً

- صديقتان في وقت واحد؟

أصابت

- أعبدك.. الرجال، عندهم، تكون لهم أكثر من زوجة، فكيف بالصديقات؟

قال كرم

- انصبي يا عزيزتي ابرجكا، ليس كل الرجال، عدنا، يكون لهم أكثر من زوجة.. أما أنا فليس لي حتى زوجة واحدة

معنى هذا أنني غير مرتبط، وليس عهدي الترام تجاه أي امرأة أقصد بالالتزام هنا الحب. أنا لا أحب يروشكا، ولا غيرها.. غير قادر على ذلك، ولا أريد أن أخدع أيًا فتاة أو امرأة. الحب انعاصف، اندفع كموج، لم أعرفه بعد. أشعر بحبي إلى امرأة، لا أدري متى أنفسي، ولا أين في الصين بمسدود أن جيتة سكي القمر ربما كنت أعشق جيتة القمر.. ما هذا ذلك لي أصدقاء وصديقات أنت واحد من الصديقات وكنت أنوي زيارتك. بكر بعض المشاعر والرغبة في تعلم شيء من اللغة الهبرية، جعلني أنرت.

قالت اميرجكا

- هل مرض أن ما قلته كان صحيحاً، أي رغم بين صديقتك أحمل أنا؟

- أنت فائنة.. صداقتك من نوع خاص.. لم أسي لا أوزع أرتاماً على أصدقائي

- وهذا المتعب؟ يميل إلي أنه شبكة صيد جيدة

- لم أصطد به ولا سكة حتى الآن.. أنا صياد قاتل..

- أنت ماهر في الكلام.. هل هذا لأنك كاتب؟

- من قال ذلك؟

- أنا أجاب هادي. سأنتهي ببعض المعلومات منك..

قال كرم

- وماذا يعني حتى لو كنت كاتباً؟

- كيف؟ هفت. يا إلهي! أن يكون المرء كاتباً.. هذا شيء

كبير.. ليست الحال كذلك عندكم؟

لم يجب على السؤال ماذا يقول لها؟

قال هادي

- لسبب مح تعارفاً أنا أيضاً رأيت كرم أمس لأول مرة

- ألم تسمع به قبل ذلك؟ أعني أليس مشهوراً عندكم؟

- سمعت. كنت أظن أن أراه، وما هو الخطأ.. من كان يقدر

أب سنمي في البحر؟

- - يوهي لو حدثني عن نفسه أكثر بما فعل. لماذا أخفي عني

حقيقته تلك الليلة؟ هل هذا طبع أم دهاء؟

- ليس طبعاً. أحب أن أثرت أحياناً.. التحدث عن نفسي يعير

مخطئ، ولا حرج، ودون أن يألني أحد لكن ماذا كان يجب أن

أقول لك. أنا كاتب؟ عهدي متعب؟

- تركت ذلك لتضع لي مفاجأة.. هذا من الدهاء أيضاً..

قال كرم

- أنا لست داهية في الواقع، ولا أصلح لهذا الدور.. سأكون

صريحاً فأقول إن لي طاعة عاطفية كمهي أكثر من امرأة عني هذا

الأساس، وبطرس طلب كاتبة، أرغب في أن تكون في أكثر من

صديقة أقول صديقة لا حبيبة، أنا إنسان محروم من الحب بطله

الباء، والمداخلة، عدي، هي أنني لا أهتم لرد لا تريد امرأة أن

يكون للرجل أكثر من صديقة

قالت اميرجكا

- وهل تريد للرجل، هل تريد أم، أن يكون لصديقتك أكثر

من رجل؟

قال كرم



- هذا لا يعني كثيراً . أنا لم أسأل أيها امرأة عن صداقاتها .

- هذا ناتج من مهم حصاري ألم لامبالاة؟؟

- لا أدري

- بل أنت تدري . هذا ناتج عن لامبالاة، وهذه ناعمة عن

انعدام الحب، وانعدام الحب يولد انعدام العبرة، أنت فقير ومعذب من الداخل

قال كرم:

- هذا صحيح جداً

- ومما أن اصبرني الآن، لا يولد أي ألم في نفسك..

- أنت شيء آخر .

- أنت لا تقول الحقيقة

- إني سيء الخط، لأني غير مفهوم، أو غير قادر أن أشرح

بشيء أنت شيء آخر.. منذ هذه اللحظة أنت شيء آخر.. أنت صديقة يا مهربتي ابرجكا اكوني صديقة طنة ولا أطلب أكثر

- وبإسم الصداقة تريدني امرأتك في بعض الليالي؟

- ليس هذا أنت أكبر أستطيع أن أسع من قضاء انما لنة

معك، ومع ذلك أبقي صديقتك.

- على أي أساس؟

- لا أعرف.. أليس في الحياة أشياء غير معروفة الأسباب..؟

لنشرّب، يا مهربتي، كأس صداقتنا، وهذا قول نابع من القلب

شربت ابرجكا تمكنت بلطمانه، قتلته على يديها، وطلّت

بينهم وتمكّر لد كان، بالنسبة إليها، رجلاً عامماً، لكنه صادق

في قوله ونصرفه.. تتركه ونعني؟ نقل صداقته على ما فيها من  
غراية؟ نأخذ نقطب أطواره على أنها أطوار كاتب ؟

قال كرم

- لنقلنا كان صداقة غريبة هي الضرورة نفسها إني أهم

طوبوك، مشاعرك، قطعك حتى لو قُت، بكسي، حيال كل ذلك،

لا أستطيع شيئاً لم أجن بعد أبا عاقل، مصيبي أبي عاقل،

العقل بجانب الحب، يقتله .

قالت ابرجكا:

- يا صديقي المسكين.. أنا أشفق على حالك.. وبإسم هذه

الشفقة أنسى كل شيء عنك، وكل ما قلته من كلمات وأستأذن في

أن أنصرف

قال كرم

- ليس قبل أن أقدم لك تذكراً، وأن أرافقك إلى بيتك لدي

خاتم نبي يا ابرجكا، بادر جداً، هل تمليه، وتصفيه في أصبعك،

من صديق مر يوماً في حياتك؟

نظرت في ساعتها، كانت الثانية بعد منتصف الليل، قال كرم

أحس أنه تأخر:

- إني أستأذن.. يجب أن أعود أنت تتكلم كساحر أو

شيطان أُرعب في رقص هديتك، وأُرعب في قبولك كندكار

لماذا هذا القدر من الشهوانية في عبيك؟ ها.. هات عاتقك

وبأنصرف.. لا أريد، الليلة أيضاً، أن أساق مع نداء لا أعرف

مصدره .

أعطاه الخاتم.. غبكته، نهضت، قال لها:

تقاطع الطرق، قرب الساعة العنسامية، افترقوا.. ذهب هادي باتجاه نادي الصحفيين، وذهب كرم وإبرجكا في سيارتها باتجاه «بيضا اوتسا»، وكانت عجيات مصوليت في السماء الصعبة تنظم - وعنت إبرجكا، بصوت غميص، أغنية «، وتودعت وبات

- كرم - لوبلو إبرجكا؟.. (تحب إبرجكا)

- داي (نعم)

- خراشو (جيد) .

نابط الاطلاق.. جولة أخرى على الدائوب.. هذه عديتها، هوانتها، قبل أن تستلم كسحة إلهية، إلى الرجل الذي يحاره - وفي البيت تبتأ الشرب - شرب بييد نوكتي قرر لا يقترب منها إلا حين تفهوه، لكنه، عندما غابت هدية، دافئة، راحبه، اغتم إلى درجة الانعطاف.. مع ذلك ظل يكرر باخبة المديدة، الملتة، الصاخبة التي عليه أن يجها، فها لو ظل موهلاً طريق البحر والشرب وإقامة السهرات في بيته. قال في نفسه «قرباً أصحت إلى جانب ادامو وبيلسون وكيريدو أسير ليلاً وأيام ياراً، أفع بين إبرجكا وبيروشكا أصبح طرماً في مائة بين امرأين - أفتصر ما تبقى من قوتي لأرسي هذه وبلك أؤجر مصي مفاس كلت حدة، ينتع الشيطان عصي وأصير داعراً، أعود في حاة حياة قنرة، جسية بحنة، خالية من أي مصي .

وخبأة نادته إبرجكا «ديادا تمكر؟ ماذا تنتظر؟ هل أنت نصب اليوم؟»

كان عليه أن يثبت أنه ليس تمأ، ولا يمكن أن ينصب لكنه، في صورة إبليس، تبدت عيانه المصمتان بالثهوة وهو ينظر إلى

- سأرافتك

- هل ترى ذلك ضرورياً؟

- إذا لم يكن ثمة مانع لديك

- وئي مانع هذا؟ أكون مسرورة.. ولكن ماذا يقول صديقك؟

قال هادي

- إن أقول شيئاً تفصلاً

أصاف مارحاً

- أأبب إلا ترجأاً محلاً اسمي دوري، وسأكرم العمت

ضحكت وقالت

- تستطيع أن تقول إن إبرجكا حطفت صديقك الكاتب بعد

منصف البس.

- لن تكون بيروشكا سعيدة بهذا الخبر

- ولا أصدقائي.. وهذا أفضل.. حين أريد شيئاً لا أبالي..

يستطيع المصبون أن يصموا رؤوسهم في ماء متلج..

- وماذا يقول النقاد المصبون؟

- لا أدري، ولا أبالي.. غرامة وكاتب. ا هذا خير جيد - لم تبق

إلا الصورة .

- في المرة المقبلة نحصر كاميرا..

- أحصر منها صعباً حترأً بحب نشر الأخبار الغريبة المثيرة

- هل هذا محب؟

- ليس لك، ولا لكرم.. للآخرى.. قال كرم إنه موافقي.. أنا

أقول إنه سيصمي بكه مي هكذا أكون أنا! خرجوا، وبعد

جسدها الأبيض، الرخص، الممدود، المنظر . وبخلاف ما كانت تتوقع، لم يقرر إلى السرير.. فتح وجاجة نوكاي أخرى، وقف وأشعل سيكارة، راح ينظر إليها وعياه نوران شامعاً حارماً

بعد أن نامت أيرجكا، ظل هو صهّداً. الدم يقرص قلبه. هذا السرير الذي يدم عليه، كم نام عليه رجال قبله، أيرجكا، بعد كل شيء، مائة، ربما كانت يظنها بأفكاره الشنة هذه. إنها محرمه، ولها قسما، وعواظهما، وممارسة الحب، عند الإعجاب رجل ما، لا بشكل ماحداً أحلاماً عنده. هي لا يبيع نفسها، جرب معها في ليله صانقة ليس يجده إلى الما، وحتى هو كانت كذلك فلها ترفع العرق بين أن يمارس الإنسان الحب لأجل الحب، وبين أن يمارس لأجل المال، كبير جداً في أوروبا هكذا هي الاشياء صعبة أكثر، في الشرق يخطون هذا يدك، كل حب مجموع، كل ممارسة مرموقة، العناية والعاهرة سواء. الشرب يحدد في الخوصي العمل ما شئت في البر. إذ استطعت الاستمرار ببيت شريفاً يعاقب اجنلي المجتمع هناك صدق، لكنه يظل مجسماً ولا يستطيع التراء أن يسلخ من جسده.. التخلّف قائم، وتجاوزه، بالتصيات وحدها، متحيل، التطور يبدأ بالقاعدة الأخلاق مرتنة موقية. إذا لم تتغير الحياة من القاعدة، يتحيل تغييرها من القصة، وهذا التغيير يتطلب جهوداً، تصحيات، تصلاً متواصلاً، وهذه العربة جره من النصال، أو هي ميبه، نكمتك، يا كرم، امهيت إلى «بصال» «ماتس» محصور في المراض. اللصة عليك.

تسلل من السرير برمن حل ثامه وخرج إلى الصالون هناك ارتداها بدوه، دون إثارة أي تأمة كان العجر يوثك على الطلوع، ومن جهة الشرق، تلوثت السماء بتوشعات حر. أعلق الباب دون

صحة دون صوت أثر العزل على الدرج، ظلم صار في الشارع، نهّد بارتجاج أبعثه هواء الصباح البارد، تمس أن يمضي إلى ساحة الأبطال، ومنها إلى القابه، أو إلى المسح القريب لكنه، حين بلغ «بستور لوتسا» وجد نفسه شجته إلى البيت، ويحذر أدار المتاح في الباب الخارجي، ولم يأخذ المصح ارتقى الدرج عبادراً، وأول ما صله، حين دخل بيته، أنه فتح صبيور اناء في المنصير وخلق ثابته وعرق في الماء الدامي. ولا كان اليوم أحداً، وليس لديه أي عمل، فقد أسدل الستائر سد حتى فتحة الرسائل في الباب، وقرر أن ينام.. وأن ينسى

تجاه ما يقرأ هنا ما كان يدمعه إلى التدخين، إلى السكر، وكثيراً ما فوّض عن قراءة رساله مؤله، وهرع إلى مقهى الإداعة يذعن، يترجى، يعكر يوطه تركيا، باسطونه، بالدين، كما قال ناعلم، يعملون ٢٤ ساعة في الـ ٢٤ ساعة وعلى جلودهم الصمراء، يلوح السل والأصفرار

- ١٢ -

هذا الشقاء، من جرّاء الغربة، والرسائل، والبرص، كان يده هذا، لذلك كان، في السهرات، وحول مائدة الطعام، يعض بعض ما ينقيه على ولديه، لكن ابنته الصبية، الراهنة، التي عاشت في الغربة، ولم تعرف تاريخ تركيا ولا يوسف، كاس تقول لأنها سببه - ماددا، والدي وأنت، لا تتوسعان عن رواية كل هذه المصص النائمة عينا؟

بدول الأم

- لأب قصص الوطن

- وما دينا نحن حتى نسمّ حياتنا بها؟

- كي نعرفنا، أخوك وأنت، في أيّ شقاء يعيش شعبنا

- عرفنا.. يكفي ما عرفنا، وماذا بعد، ماذا نستطيع؟

- نستطيع، حين نذكر ذلك، أن نحسن بالأم تركيا، وطبنا

الحرير..

لكن الشائب كانا برقصان الإصغاء، وكان هذا الرقص يريد في شقاء الرالدين، وقد قالت سميجه بكرم وهو يشرب القهوة، جانب لصق ضياء، متألاً لحاله.

- أيساء الذي يعيش في رواء الحياة هنا، يقرب شمسه، أمام إضمار مؤلفه من الردة والرتي.. أقول له:

كان حياء يعض يعض بغير انقطاع وهو ينجّ دخان سيكارته، جده الطويل أشبه بالبيكل العظمي، يهر وهو يعض، عشاء تحفظن تحت وطأة اسماعيل رموي، وروحته، سميجة، ذاب المرة الخلوة، تُعدّ به العشاء في المطبخ كانت أمص مدبقة في السم التركي، حلوة صوتها، ربه، الفتنة المبوب عبه، واللجة الاسطولية، تصعي عليه سعراً حاصاً كان عينا، بسبب أنواع من الأمراض، أبرره الربو، يذني منها روجها صباء، ان تقوم بعمل إجابي، هو عمل روجها الذي لا يستطيع أن يجلس وراء امكروم لكن صباء، الكاسب، صاحب الأسنوب الجميل، كان يقرأ آلاي الرسائل، ويردّ عليها معظم هذه الرسائل من المال الأتركة، انشردن، في كل أنحاء أوروبا، وخاصة في الدنيا الغربة وفرنسا، وكانت أعمالهم من تلك التي يترقّع الأوروبيون عن مرادلتها، مثل التنظيمات، ومثل العداوت، والخدمة في المادق والمطاعم.

رسائل هؤلاء المال، إلى السم التركي في إداعة يودابته، كاس طمعة بالسكوى من حياتهم النائمة قصص عن شائهم لا تسهي، وكل واحدة تصلح لمسرحية هوائية، وكان ضياء، برعم نصائح روجبه سميجة، لا يستطيع أن يكون لاسالاً، أو حادياً،

اسمع يا مسان، نحن، في صغرنا، كنا لا نعرف الزبدة - وكنا  
بمعدل أم، كي نلخص قتلًا من المراتي إذا وجد - كان الخبر  
الأسمر، البابس، عداونا اليومي - ونصير هذا الواقع السيء،  
بصل رجالنا الأبرار - لوحتوا، سجدوا، أعدموا - وأنت ها، لا  
تعرف شيئاً عنهم، عن الذين يدورون في جوبنا - ولا تقرأ حتى  
شعر باظم، أو قصص والدك - أنت تظلم شعرك، وتجلس في  
حديقة، في الغم، تعرف على البختار - كيف ستعرف تاريخنا  
إذن..؟ أنتعرفه، يا كرم، ماذا أجابني؟ قال.

- لا أريد أن أعرف شيئاً ولدت في الجبر - ها سأعش، ن  
أعود إلى تركيا، في أي يوم.

- تعيش في مهنج بهاء حودك؟

- ولماذا لا؟

- ونسئ الوطن.. نسئ الأناضول؟

- اذكره أنت - أنا ل أصدع رأسي بهذا - انظري ماذا عمل  
التفكير بالدي.

- والدك رجل شريف، ماضل - والدك تركي حقيقي..

- لا أحد يهتبه على ذلك.. يعيش في الجبر، حساً، لينتج  
بالحياة المرحية المتوغرة له.

قال ضياء

- يا صديقي كرم، زرت أسس صديقتنا حسن.. تعرف أن  
زوجته ضياء، وأن ولده يتكلمان النصب، ويحملان الحرية في  
المدرسة. لكن حسن يختصص ساعتين كل يوم، كي يطمحها  
العارسية - له الأباء كما يقول - (به يذكر ويرر ويكي) - بمائل

تري، متعزّز من حكم لئنا يوماً؟ يتوقف نهر الدماء الذي يفوس  
فيه شعباً؟ وإلى متى يبقى مشرّمين، في المناقي؟.. حسن إبراهيمي  
أصيل، لا يريد لولديه أن يعيشا في المربة.. أن يتسلّدا، ويستمديا  
الحياة المفعّة ها -

قال ذلك ويده على خدّه - دخان سيكارتته التي تحترق وحده كان  
شرعاً - كان يسج، في حنقاته الرمادية المتصاعدة، شكلاً حديوياً  
للألم.. كان شيء ما، يرى ولا يعرف، كالحج، مفعج، يهرب مع  
الدخان، مسخوفاً من شفتين مصومتين، متصليين بالقلب مباشرة  
كاننا سدادين لقناة الرقة المربة، المائلة بوجه، وسواد كشيء  
يضمها - وكان ضياء، في اتكائه على الطاولة، وسيكارتته التي علاها  
الرماد، وعيه الماعزتين في أبعاد الأناضول، لوحة مجسدة للنقاء  
الإنساني، المحبط في توفه إلى خلاص البشرية - وروجه سبيحة،  
يرف على جمالي الخريفي، ظل (سهم، ونصها ابرمصة، المرفقة بين  
الحزن لأجل الوطن، والحزن على الروح العليل، سطى من نظراتها  
صرخة احتجاج خرساء، لا في صمتها على المربة، ولا قسوة الظروف  
عظ، بل على الولد الذي جرّدها سيّات الشئ من ببل السور  
الذي كان عداها، كان سدها، وكان قوام حنانها التي ترعص أن  
تشرق في المربة، ونكمت من الصال في سبل ما هو أصل.

«ضياء، أيتها الأب المجوز الطيب، وبها سبيحة، يا دمية  
كماح لا تلوح له بابه، تسهم وسدائق، نحن إحوة - كلا رخوا، لا  
نصنأ جامعة فكر فقط، ولا يوجد بيضا أما لحمل صلباتنا، عبر  
هذا العالم المذب، بل كذلك ونوعنا في أن دسنا هذه، التي لا  
تتبت، تحت أقدامنا سوى الشوك، متعرف أن تطع لنا زهراً

أهلاً ولا بد أن يبقى من يمين ما بعد الحركة، كي يأس  
تعبه الأبيض في عروته وودة خراء =

أنت سبيحة ثلاث كؤوس، شربوا - ثقة ما حال بعد - هناك  
مرح أيضاً لمرح تملأ - سنعلم أولادنا، على طريقتهم الخاصة،  
وسمهمون، وسدكرونا، على الأهل - لقد عملوا ما استطعوا =

قال ضياء

- إذا لم بعد ولدي إلى ترك مت وفي علي حيرة - لا أريد  
أن يتدبر مع العرب كوجه جاهرة دسه - عليهم أن يدروا كم هي  
البناء صافية، والنجوم مشقة، في لباني الصيف هناك..

مكر كرم - وهذا كلام بمقتضى شخص - لا أولاد عدي لكن  
أنا، إذا ما بقيت بعيداً عن الوطن، إذا ما استمرأت هذا المش  
الهيء ماذا يصير بحدي؟ يرى أسطيب المبني وأبني؟ أحيا عاك،  
مرثراً، متعاً، في ترف للتحف، وأحسان النساء؟..

كانت صحوة الوجدان هذه، إثر تنبيه كهذا، ولو لم يكن هو  
المصود به، تسبب له تيكيت صبور موجداً لكنه لاحظ - أن هذه  
الصهوة، وهي كل ما بقي ليدكره بأسه، كانت تشفع، كتمثال في  
منحف، فلا يكر بالواجب إلا أنباءها، وبشكل يتأخر تأخره  
تدرجياً

نظر إلى أن هذه الصهوة، لم تمتد مطلوبة إلا للتبرير، لبعول،  
في معه وأنا لسب كالأخرى - إني أذكر بالوطن - وبعد ذلك  
يسى - والمصعب بالأمر، أن مثل هذا التمكير، في التأسست  
الطريقة، كان سلوكاً للأخرى أيضاً كانوا يقولون - اللمة على  
العربة - ثم يستمرّون، وبأشكال من الممارسة لا سطوي على أي

شعور بوطأة العرب، أو بالرعة الصادقة في وضع حد لها، والمودة  
إلى البلاد - ثمة أعداد كثيرة - كل واحد له عذره - يخبره إذا لم  
يكن موجوداً هو أيضاً سيكون له عذره عند اللزوم، وحين  
يروج، أو يروج، من يروشكا أو غيرها، يصبح عذره شريعاً إنه  
مرغم على العيش، حيث زوجته وأولاده -

وقد أصى بده الخواطر إلى صديقه جورج الذي رآه، ذلك  
الليلة، فقال هذا

- أنت على حق، ولكن إلى متى يستمر مثل هذا الشعور؟  
أصافه: وبالنسبة، كانت السهرة جميلة أمس.. كانت سهرة  
عربية في قلب يودابست  
قال كرم:

- نصر عارف رائع.. صد كم من الأهوام يدرس الموسيقى في  
المر ؟

- يدرس الموسيقى؟ إنه سجل لدراسة الموسيقى، لكنه لا  
يدرسها - دراسة الموسيقى تحتاج إلى جهد، إلى تفرغ على التفرغ،  
إلى الجلوس ساعات أمام البيانو

- وماذا يفعل إذن؟

- كما يفعل الآخرون.. يمشي في المجر.. ألا يكمي هذا؟ إنه  
على كل حال، يشهد قليلاً من الجو الموسيقي.. أما الآخرون..

- لا يدرسون؟ قل لي.. كيف هي أحوال الطلاب هنا؟ أنت  
رئيس الرابطة

- العالم الثالث جعل من البلاد الاشتراكية مزرعة دراسية،  
كان الله في عون هذه البلاد

- أراك تشكو.. ألا تسير الأمور الدراسية على ما ينبغي..؟  
كانا يجلسان على جانبي طاولة مستطلة. تذكرت كرم أن يجلس  
بهدوء على جورج، المريض بالربو، كيلا يزعجه الدخان. فتح  
النامدة وقال لصديقه. «اعذري، لا أستطيع التوقف عن  
التدخين». قال جورج: «لا بأس، ما دامت النافذة مفتوحة»  
نكهة، بعد تميل، أخرج النافذة وبعث هواءها في وجهه. كان مغلاً  
في الكلام. شعره أسود، على عصبه نظارتان مدحرجتان، وفي جسمه  
رشاقة، وله رقبة قصيرة كأن رأسه قد ركب على كسفيه مباشرة.  
كان يتبدى في صورة خارجية هادئة، قادرة على التفهم، والتأني.  
وعند الشكوى عبر أن هذا يلوح على وجهه، وصلى أخيراً كرم أنه  
كان هذا ضياء، كان مبهماً.

- هل تقوم بتعويضات من أحوال اليوم. لماذا تستعمل وجع  
الرأس؟.. اصبر.. «سبائكك بالأخبار من لم فروه».. حافظ على  
شوة الأس.  
قال كرم:

- شوة الأس راحت معه. لمج المجارة وقت، ولتصرفها  
وقت.. أريد أن أعرف..

- بولا خوي عليك من تلوث السمكة بملت لك عاشر محمد حيش  
تدلاً هذا أستاذ في فون تيسر القرية، وضمان في تعلق الآخرين  
كيف يبعدون من كل شيء..

- أريد أن أراه، وأجابه.. لا تخف على سحني.. لدي  
أسئلة، أسئلة كثيرة يا جورج. كنت في الصبي، مررت بوسكو  
قال لي بروشكا أشياء، لكك أنت، رئيس الرابطة، تعرف أكثر

من الجميع.. موثّر على تعب التجربة. قل لي، ألت قلناً، وقد  
تكون مزعجاً، من بعض التمرغفات؟

- مزعج؟ نعم. ولكن ماذا يعني هذا؟ أيا كنت وحننا  
ناضت، كان عليك أن تعالي، أن تتحلى.

- ولكك مريض!

- ضياء مريض أكثر مني..

- أنا أشتقي عليك مبعاً.

- رقه ها إذن.. أكثر من المحلات..

- أفرح؟

الحس جورج على الطاولة وقال بصوت صبيح الجرس:

- اسعد كرم! لا تحاول معرفة كل شيء في أسبوع، أو شهر لا  
شيء. تعلم مثل التجربة. جرب بمسك أنت الآن في المجر. يبيع  
وهادي من أصدائك. سألني إليك الطلاب أبعاً، وفي المشعل  
تعرف على الجميع.. ستكتشف الأشياء بمسك..

- بدأت أكتشف.. ناقضني تطل على المدينة.. رأيت ادمو  
الإيطالي ومطلته، ولسون وكبه الماركه الي يقرأها وهو يعم  
في الطل، وفي الشتاء يقرأها، كي أهدر، وهو يتس، ثم يخلص،  
كما قال لي ضياء، حول الماء النظري. كذلك تمررت إلى كيرمو  
الوناني، الذي يذبح ما يأخذه من قطع نادر، كيجره من مرتبه، ثم  
بصرف الدولارات في السوق السوداء، ويديه سيارة، ويعمل لشراء  
بيت، والموصول على الجسبة المجرية، والبطاء في المجر نهائياً  
- تعرف إلى محمد حيش أيضاً.. هذا نموذج للاخريين.

- قلت لك سأفعل، لكنني، منذ الآن، أعرف.. إنه يعمل في التهريب، ويشتمل في السوق السوداء..

- وله امرأة في الاتحاد السوفياتي، وقتلها امرأة في بلغاريا، وتزوج الآن امرأة ويته غيري، من الروال الثاني، إلى أحدث أنواع المجلات وهو لن يعود إلى العراق وكثير من الطلاب، من كل البلاد العربية، ومن البلاد الأمريكية، يهربون، يتأخرون، يترجون، ويتدبرون بألف عذر كي لا يعودوا لبلدانهم..

- ولماذا لا تطردهم الجبر؟

- أسألك

- ونكسي أسألك أنت كي صبوراً على لم يحمي أحد على هذا الشأن لا أسمع سوى الشكوى، ثم ماذا؟ تطردهم الجبر تجعلهم عبدة للآخرين!

- وسأنا تفعل بزوجاتهم وأولادهم إذا طردتهم؟ ثم لانس ضرورة المحافظة على العلاقات مع بلدان العالم الثالث، ومراعاة مشاعر الأحزاب الشيوعية

- لا أدل في عودتهم إذن إهم يتخفون هنا يحصلون الحياة في البلاد الاشتراكية.

- لا.. إهم يتخفون.. يطمنون ورجلهم أن تنتمها أياً.. يشكون لا يملكون من الشكوى والسبب بسيط ليس لديهم سيارات مثلاً، أو لم يحصلوا على بيوت أنيقة، واسعة، برعم أرملة الكى

قال كرم

- يا للصورة البشعة! هل هذا معقول؟

جورج وانكأ على حافة النافذة فتح منه كبعض الأسلاك حين تخرج إلى الشطح. كان يفضي الهواء.. عجب كمية منه استراح قليلاً. فقلت لي كرم وقال

- ليس من عادتي أن أسك مرشاة وأطلي جدار الحباء بالأسود. لو كنت رساماً ما استعملت الأسود إلا نادراً. لماذا إذن، تريدني أن ألجأ إلى هذا اللون، في رسم صورة قاتمة جداً؟ منذ بدأت الحديث وأنت مذهش، تكرر كلمة معقول بمررتوقف هل تستعجب الأشياء؟ نعم، يا عزيزي، ما سمعت معقول قاتماً الطلاب المنعكفون، الذين حصلوا علامات عالية في البكالوريا، لا يأبون للدراسة في البلاد الاشتراكية يحصلون الدول العربية، أميركا، اسبانيا على الأقل أما الذين حصلوا على البكالوريا بعلامات سيئة، وبمساعدة، هؤلاء وحدهم الذين يأبون للدراسة هنا وماذا يريدون؟ الطب، الهندسة، الألكترونيات، هندسة البترول وطبعاً برسيون، وعدند يحصلون إلى فروع أخرى، نظرية، لأنهم لا يريدون ترك الدراسة الجاهية، مع الراتب، والمتسلة.. لديها طالب اسمه شاكر.. والده عامل.. استطاع، بمساعدة ما، أن يرسله إلى الجبر قصي ستن في الطب وسقط، قصي سمين في الهندسة وسقط، كان قد تزوج في هذه الأثناء ولا يريد العودة إلى سورية. عدند طلب أن يدرس مكنتبات.. وقص على ذلك

- ولكن ما لا أحمده هو التالي كيف تزوج فتاة بحرية خريجة جامعة، طالباً خائباً كهذا..؟

- هو لا يقول إنه خائب.. يقول إنه طالب طب، طالب هندسة، ووالده أمير، أو ثري كبير، وأن له في الوطن، سيارته



الخاصة، وأرضه، وبيته، والفتاة بسنن، يكون جيلاً فتفتت به،  
يعرجها بالهدايا، بالوعود، بخدعها، أو تكون مستعدة للاعتداع،  
لدرّاج بأي شكل.

- كمب هذا؟ يأتي الطالب فقيراً، ويطلب سحرة على هذا  
لأساس، وهذا يصرف كيورجوارتي، راعياً أن والده وزير أو

مدير

- سمع هذه القصة ومن طالب من بيئة شبيهة في حلب إلى  
بودابست، كان متدنياً، وكان والده، قبله، تقديمياً أيضاً، وقد  
وصل المدر وهو يخدم نعمة على أنه رقيب ثم ترقى إلى الطالب،  
قالوا له إذا ثابت على هذا امسك، فلما تجد من تكثرت بك  
ماداً يعني أن يكون أبوك معلماً، أو ماحلاً، أو رقيباً؟ قل إنه  
صاحب منزل عسرة مررة وإليك وريته، وبنتكم شبه بالنصر،  
ولكن فيلا رهيبة أيضاً لقد رقص في البدء ثم فعل كعبه  
أصابته العدوى وجد نعمة يدرس مجانياً، بأحد مرتباً، بأحد  
تعميم ألبسة وكتباً لم يمد تحت رجلي الفقر نسي أصله خدع  
إحدى الفتيات وتزوجها، وحين عاد، وبه زوجته وولده، واضطر  
إلى السكن مع والديه، في عرفت شينين، اكتشفت النساء  
الحقيقة، لكن بعد فوات الأوان.. ماذا تفعل صديقه؟ الافتراق  
من الزوج سهل، ممكن في كل وقت، لكن الولد، وهي أم؟ مكرّ في  
وضعها واحكم بملك؟

- في هذه الحال، من الأساس أن يدرس طلاباً في العرب  
- هذا مبتدئاً صحيح رجعي عربي قال إذا أراد الإنسان أن  
يعمر أفكاره، به أو بنته، فليطلبها للدراسة في البلدان

الإشراكية.. هناك يجدون كل شيء جاهزاً، يسون أصلهم،  
يدلون أفكارهم.. أما في العرب، حيث يشتر الطالب حوالة أهله  
كل شهر، ويهرب من البيت بسبب التأخر في دفع الإيجار، وبأكل،  
إذا أكل، لحمة قاصه كالنفس، فإنه يظل تحت مطرقة الحاجة، يكر  
بالظلم والمذل

وقب كرم دون إرادة. اسمزّه ما يسمع حسب أن جورج  
يبلغ هل يمدّب مع الطلاب ولديك محمد عليهم؟ إنه يفتري.  
يصيح به: أنت تفتري.. أنت تصنع نظارات سوداء.. وترسم  
بالأسود بأكثر مما تقرأ؟ اقترّب منه.. اقترّب أكثر، قاله له  
مبملاً

- هذا خيف! خيف جداً يا جورج! سمعت هذه الشكوى، قبل  
الهي، إليك، من ضياء التركي لكنها لم تكن هذه البرادة أنت  
مرهين. حرصك ينعكس على مشاعرك، ضياء..  
ناطحة

- ضياء صديق مادري وكذلك حسن، وعصبي.. وهناك،  
للإنصاف، ماصون، من كل الأجاس، وطلاب أدكباء مجتهدون،  
مريهون المهم ألا يحوا طويلاً هـ الماء، إذ اسفر في بركة مدّة  
طويلة، يمد.

- أنت تصحبهم بالمودة إذن، أليس كذلك؟  
- بالدراسة، والمودة، وبأسرع ما يمكن لكن تصدق أحياناً،  
انتهازيين مفرمين طالب، من إحدى الدول العربية، كان دكياً،  
مجهداً، تقديمياً، وقد جاء للدراسة على هذا الأساس، وظل كذلك  
حتى تخرج طبيباً، ثم سعى لسحة اختصاص حصل عليها وعندما

اختص وتخرج انقلب.. صار يشم المجر.. يتدج اميركا.. حاوره،  
في الختام، قال لي حرمنا: «الآن سأعود إلى بلدي نظام الحكم فيه  
ضد المجر، ضد الشرق، مع العرب، وأنا بعد هذه الليالي التي  
قصصها في الدرسة بوي حدة مطبقة لا اريد أن أعرض نفسي للإحراج،  
أو لسجن بعد هذا العمر، وهذا لا يخصني، ينبغي أن تكون  
يدي سبابة، وبيب، وثروة، وكذلك روجة جيلة.. من أجل ذلك  
لا بد من تبدل جندي أنا أيدل جندي، وكل شيء ما تريد.. لا  
خلاف فكرياً لي، بل مصلحة، هذه هي الحقيقة (أي رجل  
صريح)»

- وماذا فعل بعد رجوعه..؟

- صار من رلم السلطة ينتم السد الذي علقه وأطعمه قطع  
صه بهكن المواطن لإساية إنه يكو الرضى، يطلع  
جلودهم، يجري جراحة غير ضرورية، لأجل المال.  
- يا له من بدل؟

- لأبدال كثيرين متى الكثير من مهمها، وكثيرين بعد  
مودتك أو نحسي في الملباتين؟ لماذا لمست على أن أنكلم على  
كل هذه الأمور السيئة؟

- ولكن هل يمثل أن يمتن الره اليد التي أحست قلبه؟

- يقطعها أيضاً وما أصبح؟ إذا كان شتم البلدان التي درس  
مها، سهل له أن يدخل الجامعة، أو الوظيفة، ويلحق بالطب  
البروجوارية، ويأمن كل ليلة في حصر زوجته، ظاهراً لا يعمل ؟  
لماذا لا يهتم؟ لماذا لا ينام فيرغم أنه عن خلاف فكري أكثر  
الذي تظاهروا بالخلاف الفكري كانوا انتهازيين، كانوا منافقين  
وصوليين لا أكثر.

ساد الصمت بين النحاورين. جلس جورج وكأنه تمب من  
الوقوف معروف هذه هي الكلمة معروف سنوك المرتدين  
جورج لا يعرف صط، ينلم. قال كرم في نفسه: «أنا الذي سبب  
في أنه.. إذا أصابته نوبة وبو أكون مسؤولاً». راح يذهب ويحيى  
في المرحه دون أن يكلم النصف على كل شيء. صار كل شيء، دا  
صلة بالعرب متحفه، سنوك، وهو نفسه الأواعد يسرون خلافاتهم  
الكادسة جورقه هؤلاء العراة، الرناة، الذين يبيعون أنفسهم  
وشهادتهم لأجل وظيفة. أه.. ألا يعرفون هذا؟ التمت إلى جورج  
مصبأ، سأل

- يعرف الجريون هذه الأحداث؟

- قد لا يعرفونها كلها.. لكنهم يعرفون الكثير، ها وفي كل  
البلدان الأخرى لكن هذا لا يحول بينهم وبين أداء واجبهم تجاه  
البلدان الفقيرة، المتخلفة، الدمية كما سبها تحدثت مع أستاذ  
عربي، هو عبد بكبة العلوم الاقتصادية ثمرف ماذا قال؟  
«سمع» نحن لا نعاون على اعتاق الطالب مبدت هذه مسألة  
شخصية، هو حرّ بها.. ما يمتنا هو مساعدة البلدان النامية،  
الكلام، وحده، لا يفيد.. لأجل استملاء هذه البلدان عن كواد  
عربية، رأسليه، مشيعة، لا يد أن يكون لها كو درها الوطنية  
لا تستطيع أن تمول تلك استمرى عن خير في الزراعة بأنك من دولة  
إسمارية، قبل أن تنشئ له خبيراً من وطنه نفسه.. إذا أقمت  
معلاً للأمتة، تستطيع الاستملاء عن استيراد الأمتة الأجنبية..  
هذا يطبق أيضاً على المهندسين والأطباء والإدريين وجميع  
النسبين إيسا ترتي كواد للبلدان النامية، ولا يمتنا، بعد ذلك، أن  
ينموننا.. المهم أن يستموا من الآخرين. هذا هو الطريق لئلا

لاقتصاد الوطني، للتخطيط، للتنمية، ومعيدها.. إنما لا يمر  
أدب لثلاثاء، حتى إذا صدرت من طلاب تخرجوا من جامعاتنا .

قال كرم

- ولكنه عتوق !

- وهناك وفاء أيضاً . الأوصياء موجودون.. الخطر، كل  
الخطر، من الإقامة الطويلة.. تذكر حكاية لواء الراكدة.. إنه  
يشكل مسمماً لا محالة . ولكني سمعت من الكلام ما رأيك  
برجاجة بيرو مبردة؟

- لا أرفض.. بل أطلبها بإلحاح.. تصدّع رأسي مما سمعت..

أحضر جورج رجاجة البيرو. كان مرتاحاً لأنه قال ما يريد،  
ومسألماً لأنه قال بكل بشاعته . قال في نفسه «الصانح موجهة إلى  
الكتاب العربي أيضاً، ولكن بطريقة أخرى . النصف جميل، رائع،  
لكن هناك « هو أروع الكتابة . أن يكتب عن الوطن ولأجله،  
لأجل الشعب والأمة.. ثم يدرك أهمية ذلك؟ »

شرباً محبباً أحبباً، شيء ما محبب في جورج جعله قريباً من قلب  
كرم . كان يدرس المبرياء . لكنه، والأستاذ، كان مريضاً بالقلب  
أيضاً . وقد أجرى جراحة . لكنه يحتاج إلى الهدوء، الراحة،  
البعد عن الازدحام . وهذا هو في موقف لا يحسد عليه.. رئاسة  
الرئاسة تلتهم وقته وصحته.. لكنه لا يتراجع.. يقوم بواجبه..  
إضافة إلى عمل الترجمة الذي يقوم به في الإذاعة.

سأل جورج صباة

- ماذا تكتب لنا من جديد؟

- رواية عن العربة .

حدثه عن « هيدجي » الهجري، للفنون بالنصف، وكيف يحرم  
منه وعائلته ليمسها . روى له قصة الأسباني الذي مات في الصين،  
ولم تأخذ زوجته سوى رهرة من ماله، سحبتها معها إلى الوطن،  
أخبره عن المرتقة التي أطالوا دقوسهم وحملوها في الصين . أكد له  
أن حياته، هناك، كانت هائلة، لكنه يتطلع صوب الوطن، يريد  
الاقتراب منه والعودة إليه في أول فرصة

بغاب الهندوت، تطاوله، قفرع، شمل الذكريات، شمل مهرة  
الأسس، وزيارة الأصدقاء الهجريين لمتحف، وإعجاب روريكا به  
إلى حد الجنون

صاح جورج، وهو يسمح رجاجة بيرو أخرى

- أيشو هاد غاي.. هل جئت لتمش الهجريات؟

تسعد كرم، قال بيرو أمي

- ليس يودّي أن أفق أحداً.. ما تغيرت طبعاً للمدات.. أنا

بحكم للنمي، هل أن أصعل..

وإذا كان هذا لشعب اللحن حياً في اشعالي، فإني مستعد  
لإعادته إلى الصاديق، إلى بيعة أو ثلاثة.

قال جورج

- ليس إلى هذه الدرجة . أن تتسنى قبلاً، ونحن ندرس أو

معمل، هذا جند . ما أطكك نسمع جديداً مني . أم تعرف أشد

كثيرة . لك خبرة طويلة بالحياة، وهذا يظهر في رواياتك

- الخبرة وحدها لا تكفي.. أن غارمها، نقد منها في عملها،

عددت مقسم خدمة ما

- ما قرعده منك أن تكتب . هذا واجبك الأول . ولن

تستطيع ذلك إذا اعزلت الناس.. عن لبا وهادأ.. لا تشع بدسب  
لأبك نبل قسلاً ثم أنت عطلوط.. وايرجكا هذه - ويروشكا  
التي هربت

- لاحظت هروبها؟

- طبعاً؟

- أنا لم أهتم تصرفها . ايرجكا ليست سوى ضيفة كائن  
الصبر .

- هذا ما يمكن أن تقوله لي . أن تقسمي به.. لكن يروشكا  
تمكر على نحو آخر.. إيا غيبك .

- وكيف هربت بهذه السرعة؟

- من نظراتنا إليك، جلستها إلى جانبك ثم كرمك كاتباً،  
ولديك هذا المنصب.. وهذه الأرمية  
فما كرم

- هذا جائز، بل هو واقع.. تحدثنا به.. سأنتهي هنا إذا كنت  
أحبها.. لم أشتأ أن أكذب..

- وماذا قلت لها؟

- صارتها بما في نفسي.. أولاً أنا لا أحبها.. أمي لا أحبها  
ذلك الحب النصف، الذي يروض الإنسان، ويملك عليه معه ثم هناك  
فارق العمر.. شمسها فشرق، وشمس في غيابه.. فكر بهذا يا  
صديقي.. الربيع والخريف لا يلتقيان

- واقسمت هي بهذه الخلع؟

طبعاً لا عرفت عليها، بعد ذلك، صدقتني انمسا على أن  
يكون صديقي

- وايرجكا؟

- هذه لها قصة.

روى كرم، وهو يشرب بيوته المشوجة، كيف التقى ايرجكا،  
معص مصادفة.. وكيف ذهب معها إلى اللبس الذي تسمى فيه، ثم  
إلى بيتها، وكيف جاءت ليلة أمس لمجرد زيارة عابرة، ووجدت  
بعضها، فجأة، في سيرة مريبة حلوة، وكانت سيدة، كما أظن، لأن  
يروشكا لم تصدق أمانها .

- هي كانت ذلك؟

- ايرجكا لا تقول هذه الأشياء الخاصة، بلأمة المبرمة، كما  
يحبك إلي، فأوس ساداتها وحربا في داتها لكنني أدرك كل  
شيء فيها كان ينادي بانصارها.. وثقة رهوها، استعجت بها رأب  
من لحف عدي . لم تصرخ «جوييري» اتصلت بالسي وألست  
غفرتا.. فالت إيا متوكة

- وبعد؟

- ذهبنا مطوف في النوارخ.. لم إلى بسما .

- ويروشكا؟

- لا خير لديّ هنا.. كان يجب أن أمال، لكنني أجهل رقم  
هاتفها.. أجهل كل شيء، سوى أنها في كلية الآداب..

قال جورج

- يروشكا تحبك كما يبدو، لم تحصل رؤية ايرجكا.. المبرمة  
بشتها . عرفت أنها غير قادرة على الماسة ألفت سلاحها بعير  
قال

- تحب أن قتالاً يشب بين امرأتين لأجل عجزهن، نلي؟

قال جورج

- هذا سؤال تعرف أنت جوابه.. لكك تبحث عن نوكد  
أب يا عزيزي لب محورا أكبر من بيروشكا هذا صحيح، وحي  
أكبر من ايرجكا هذا واضح، لكك لت محورا بيروشكا  
لجك . ايرجكا تقوم بممارسة منك . لكاتب، ها، شيء عظيم  
المدن يتمتع بالحب والعبادة والمال أيمه . ماذا تحب ايرجكا  
مك؟ ربيع

- لكها لا تريد شيئا.. رعت النقود عندما عرضها عليها..  
كادت تصمي..

- وهل عرضت عليها نقوداً؟

- في اللبلة الأولى..

- ارنكيت حافة.. ايرجكا ليست بحاجة إلى نقود، ولا إلى  
محبين . ولو حصرت الأسس الأدبية برأيها تلصق بك . وبعد  
رهارتك، ورؤية لتحب، ومعرفة أنك كاتب، سظل على صلة بك،  
وقد سرّب خبراً صلباً عن علاقتها بك . هذا يرضيها، يريد في  
شهرها أيضاً أخطاء في عرض العود الهدية كاتب أفضل أن  
ترسل لها باقة زهر إلى البيت، إلى اللهى.. أن تقدم تحية ما  
لديك.. هذا أوقع.. المرأة المحررة حساسة جداً..

- فعلت شيئاً من ذلك.

- أحسنت، ولكن قل لي، ماذا ستفعل بيروشكا؟

- ما بها بيروشكا؟

- هذه لجك حنقة . احرص عليها . أسأل عنها

- أين؟ في الكلية؟

- تعرف كليتها؟

- أوصليها للآ . لكسي، صدقي، غني في الجرافيا، من  
عبدني في الحب

- سأل الطلاب أين تقع كلية الآداب.

- أكون شاكراً لو قطعت

شربا ما يسعى في الرجاجة وأمرنا عند كرم إلى بيته وما  
كاد يستر حتى قرع الباب.. كانت هذه البوابة، وكان في يده  
مكتب أبيض، دمه إليه وقال

- بيروشكا!

صاح فرحاً:

- بيروشكا!

- ايكن . (مم)

- كوبس سيجي (شكراً جريلاً)

اهتمت البوابة اهتماماً ذات معنى..

ومضت دون أن تقول شيئاً آخر

عن النجم الذي علمه بعيداً، في القبة السجانية، المنورية، الساعية،  
المصانة في لثة صيف على الدايوب

كانت الرسالة بالجزيرة مؤلف منات الخط الأنثوي هذه، كيف  
البلبل إلى قك رمورها؟ كتبت نصها بلعها، وجدتها أكثر  
مطوعة في البوح، في الجوى، في الشكوى، في أن برسم نصها  
دموعاً على المصحات.

- ١٣ -

ومع الرسالة كانت قصيدة، حاولت، بقدر ما لبثت اللغة، أن  
ترجمها إلى العرسية، لكنها نقتت معزلات صط الحزن، وقع  
الخطي على رصيف الشارع، وحشة الليل، وحشة النفس، يها،  
وانت، انت انت،.. لماذا؟ بأي حق؟. وتلك المرأة، ودعاً.

ارتدى سترته بحركة مجالية، لا واجبة، ترك الضوء مشتتاً،  
القاعدة مفتوحة، الصمت الثنائى، وصدى العتاب، فر إليها.  
هربت منه. هرب إليها. كان صوابها على ظهر المصنف. لم يتوقف  
عند البوابة لموصفها. مخرج على جورج ليستطه الكليات  
المرية. أثار إلى أول مكسي، ألقي بصره داخل السارة، دفع إليه  
بالصواب أنتم سيكارة. قد تكون أوجلت الرسالة وعادت إذا  
لم يحدها فيمظرها. إذا قامت خارج الكلية سيترك لها كلمة «ولم  
الخطي على رصيف الشارع، والحزن أثر، خيط طويلى كى في  
الاسطورة، كى يتندي به، وهو، الآن، يحس، يصح إصبعه،  
كطبيب شرعى، في الجرح العائر الجرح الذي يديه، في مصادفة  
عربة، أحدثه.. والدم يرعب، ولم يكن جراراً، ولا كان يوماً  
دايح عصور أو عقوق.

أوقف السارة على باب الكلية. لم يصرها إذا كانت

فعلًا كانت الرسالة من يروشكا..

من أوصى؟ متى أوصى؟ هل جاءت بصرها، وضعها في قاعدة  
البوابة ومضت؟ ما أرادت أن يراها، أن تقول لها شيئاً؟ أن يحملها  
تري، في حراة الوجه، خفة الريح في أن تهرع، وتلمب معه؟  
في أن نعب، هي التي دخلت انبسى، إلى جانه مرهوه، في حالة  
السكر، كرسية حزن طوحت بها، لقصها صف رعاء، المزارع  
جلف، لا يحمل من الأرض شقائق النعمان، سارة ربيع قادم؟

م يسأل البوابة شيئاً لو كانت يروشكا بعدها، في عزمها، في  
المدخل، أمام لمبى، بعده إليها، لحيته من يده لمصالحها كانت  
تعرف ذلك التي مرصد حركة الدس، في دهيم وإيهيم، ومن وقع  
الخطي، على بلاط المدخل، ومن الصلحكة، على باب المصعد، ومن  
مناطق التليس، سر الحكاية بينهم، وماذا في الخلوب من أشباه  
نصفها النعام، كالنعم، وما تخفى المصدر

دخل البيت، لمضته أنشلت الضوء، يده قرأت الرسالة قبل  
عسيه من داخل المصنف، وهو يتنحه، انطلقت ميجاتا: «حبوا  
عليك بس حو ملك» انطلقت في معة آبنه، كس يوصي وهو  
يسعد، بعد هوى مير من المودة، تحطم، خاب أمل، ترميح، انمصل

سيخطئها ثم بأنها على صحن عددي ليردتها وراءه لا هو بالحق ،  
ولا لابس « فبق » . العمر والجو ، كلاهما لا يصفان .. السيارة  
وحدها ، لو رآها ، ستكون أرجوحتها ، في انصاف للعقل ..  
وستلاني العيون ، ويكون صوت ، تقطعه ابتسامة ..

جاءت بيروشكا ، بعد دقائق .. سكرة ، جرعة ، تصدق ، ولا  
تصدق ، وما أن رآته حتى صاحت

- كرم !

- بيروشكا !

- لماذا جئت .. ؟

- ودا هربت ؟

- ها .

- إلى أين ؟

- لا أدري

- أنت لا تردي ..

- من قال هذا ؟

- وإبرجكا ؟

- يا صديقي ، يا صيني ، يا صومني العريضة !

كان ، حتى في كلمات التحوى هذه مكرراً من ديب أكثر مما هو  
حبيب ، هي تعرف هذا ، تعرفه ولم تمتد لتدفع عنها صه . صديق  
صدوق هذه هي الكلمة ، غيرها ، لعبة وهم فوق ذلك ، إبرجكا  
التي جاءت بقدر واعت أن يكون صديقا لا حبا قسما هو  
أقل ، هل أمل أن يتبدل ، أن يصبح ، يوماً ، لها وحدها ، ثم ، في  
مواجهة الحقيقة ، كانت ضيقة حاله ، تحه ، تحه ولو لم يحسها

الصداقة ، حتى تكون مجتمعا ، نوع من الحب ، وعلى هذا النوع  
وطدت النص ، لكنه ، حتى في هذا ، يحس فيه للأخرى ، التي لا  
يريد ، ولا تستطيع ، أن تدخل معها في ماسة . هربا ، في التعبير  
الذي أعطته له ، وهي تطلب على شوك سريرها ليلة أسس ، كان  
نصحية لا عجزاً فكرت ، في لحظة تنام ، أن تكون راحة دون  
دير . تحه ، لكها ، في المقابل ، لا تطلب أن يحسها ، ستظل كذلك ،  
لكها ل تمل صداقه الأخرى ، مها كان الابداد ألك الآن ، في  
سوية الانزعاج على معنى العفوق ، تعطي نفسها مدداً صوبياً ،  
وتشدد ، في الراحة التي تسمى إليها ، اليأس المريح ، لكنه جاء  
طلبها اسطر في الباب ، المقاومة « هارت » مرميه هي ، والطيب  
في الباب .. حبة السكر في جيبه ، في كفه ، وكأني الماء جاعرة ،  
السمان ، والقب ، والعصب المتعب ، كل ذلك يسطب الرحمة ! لها  
نحت رحته ، ومقابل مجبته نسي .. وقد نسيت . الحب يسي ،  
يسامح ، يصيح ، وهي حبة ، عاشته ، والإله الذي تتجده ، قادر أن  
يحملها قرباناً للديح .. يا إبراهيم .. توقف عن دبح ولدك إليك  
بالكيش ، إله المدينة .

مال لها

- ها .

ولم تقل « لا »

ثم تكن تستطيع .. سوية هي ، سوية الإرادة .. خدي ..  
وأخذها .. أمكها من يدها ، وخرجها من الباب ، خرجا من الدير  
الراحية غادرت الدير . تصرف يا إبراهيم بولدك كما تشاء  
خطتها السيارة . « إلى أين ؟ » « حيث تشاء » مصت ، مصت ،  
مصت قناديل المدينة أصبحت .. تلوّنت الواجحات .. الأرض

متحنت بالبور عطر بلة صمعه شويه ما بعلي الأرض صلي،  
 ترمع صلاها إلى الأعالي بيروشكا النصف بكرم وصحت رأسها  
 على كسفه شعرها بدل سرقته الريح، نظير صنها إلى  
 القطة الألفة اسكاب أعطت نفسها للظلمة هاك شعري -  
 الأصابع في الشعر انشامه حبة.. ومأذا يقال، في موقف كهذا؟  
 هو لا يدري هي لا تكلم صحت والبارء تدرج، صمد جل  
 كيلبرت بعت القطة بمص الحدي الأجر القلمه الخائيه  
 توقفت برجلا ما رأيك في سماع موسيقى البكان؟  
 جاب

- تحب لموسيقى المجرية؟

- أحب المجر

- أنت لست مجرياً

- لا.. ولكن «أنت مجرياً جداً»

- إذا صرت مجرية أصبح صيدة؟

- إذا هربا من المدينة نصبح صداة..

- إلى أين؟

- نرى لأمن البعد؟ إلى هناك

- ليس في الأفق سوى الممام الدامي..

- نصبح عماماً دامياً

- أنت لا تصحك علي

- أبداً

- بودي لو أتحول إلى عمامة عمامة عطر، نطر، عطر  
 وردا يذذها الريح؟ عدتة نصبح دراب مائه في الموق

وأن سقط الدرات المائيه امسه الي في جوف؟ ألا تعود إلى  
 الدايوب؟ انظر ما أحل الدايوب ماؤه الساب جوره  
 المعمه، سمه الهريره تحب الدايوب يا كرم؟

- كثيراً جداً أحب بودا وبست، وكفرت والبارلكا

- وأنا؟

- وأنت أنت صديقي الأثير أنت عزيزي الصعيبة

- وماذا بعد؟

- وماذا تريد؟

- هل أكون حبيبك؟

- لندخل إلى القلعة لدينا وقت طويل جداً بكلام

- لكسي سيدة بالوموف ه، فوق كيلبرت ومن تحسا

المدينه، بقطعا الدايوب، كمدية ررقاء دع الليل يهبط أكثر،

يلقي علينا ثوبه الرمادي، يحجبنا عن الأنظار، يذهب وحده.

وحدها هكذا.. إلى الأبد..

هكر كرم «هل تعلم بيروشكا وهي واسمه؟ أوقظها أم أدها

بسرسل في أميه مسجيه، خدعه، كالكدية النيهاء؟ أمون لها

إن هذا التوحد الأيدي، الذي تحمل به، لن يكون أبداً وأن

المصادفة الي حمسا، هي نفسها، ذات يوم سمرقنا؟ أعطيتها

كلاماً بلا حث، أم حثاً بلا كلام أن لا أسطح ما زال العمل

بمحكمي لم أسر بعد قد يحدث ذلك يوماً، لكسي الآن، وأنا

أقف على أعلى قمة في كيلبرت، أكاذ أمد يدي إلى النجم، لن أجعل

النجم يلقي لي أكذب لماذا تريدني أن أكذب؟ لماذا لا تكتمني

بالصدافه؟



قال لما

- بيروشكا تشكبي في صداقتي؟

- بدأ

- لماذا لا تكسبي يا؟

لأنا لا تكون بين رجل وامرأة، وبدوم

- كيف؟

- لا أدري، الصداقة بين الرجل والمرأة كدبه شعبة..

- لم أفهم.

- أنت تفهم جيداً.. ليس ثنائي، أنا طالبة الاداب، أن تعلم  
كاتباً ملك أقول لك الصداقة بين الرجل والمرأة كدبه شعبة  
قصيرة العمر تصدم مصباح حباً يصح بهراً، كالدأوب الذي  
يسبل، متجهاً إلى أمام.. أو تراجع.. وعندك يكون المراه لا  
شيء ثابت هذا ما تعساء في المدرس وأنت تعرفه جيداً  
هذا يدخل الطلبة من الثمت أن يسعدني الإنسان حب الآخر  
هذا لا يصير أنت لا تحتي أنت لا تسطع أن تحمي وكذلك  
لا تحب برجكا تقمي وما طياً معا ثم يحمي الموت  
الطبيب اسهت الدورة فكل شيء دورة، للمصر، للصبي،  
للسداقة، هذا ما يقوله أحد شرائثنا.. دورة صداقتنا تنهي  
أهلاً لا بأس من أيكبي سداً كمي ما يكتب لبله أس  
نصرع إلى الطلبة، أريد أن أشرب، أن أسكر، أن أحب من  
الوعي

نقدته في السلام التجريه، في الدعاير الصيفة، النار، دخلت  
مظماً مصء بالسوع السورة لم تبدأ الوسمى لم تعرف. فكن

الشرب ممكن.. حباً.. هي مشربة.. وفي آخر الليل تذهب معه  
إلى البيت - معمول له خدي.. لا تخشى أن تحمل معه - تريد أن  
يحدث ذلك.. لكن لما كرم صمير.. كرم تحفته يوماً من أبيه الذي  
مر بيودا سروراً عابراً

انتقي طاولة في زاوية. عند نهاية قوس حجري الأتراك مروا  
من هنا أيضاً، بنوا هذه الفلعة، حكموا الحجر قريب كاملين. ثم  
عصيت بهم وأخرج - كل شيء يحمي.. الرمن يبل.. هذه الليه  
أهلاً تسيل لا عارفين، على بحيرة، فني وعوف الرمن، الرمن سحر  
مع سال الدورة كما قالت بيروشكا، سيكمل عندك ثبتي  
الدكرات صناع أو أطيافاً.. لعل بيروشكا طيف. لعله هو  
الطيف.. ربه لم يأت بعد.. في الأربعين وره لم يأت بعد.. حبه  
الكبير، حبه المروع، نداء الأثنى التي في الممر.. من يطلع  
الممر؟ الإنسان. لكن الممر، عندك، لا يظل قهراً.. يصير  
جرماً مكشفاً.. كل ما يكشفه نأله، كل ما نأله يصير منه..  
الحال في البعيد. الحب في البعيد، الحبي في البعيد.. كل شيء،  
إذا احترق، انتهى على الأشياء أن سمي بعيدة، لكن يظل  
حبيبة، عليها ألا تضرب..

كانت الطاولة بشخص عليها شمتان، عليها صحنان وأربعة  
أفداع عليها، أيضاً، عطاء أبيض عليها، من الداعي البعد،  
حروف غير مطبوعة، غير مقروءة، لكنها مع ذلك موجودة هو  
يعرفها. ويروشكا سأل

- ماذا تفكر؟

- ليس بارجكا على كل حال؟

- بل فيها لو كنت معها ، كنت أسمع حلاً .. اليس كذلك

- لماذا ، في نظراتك ، قرار اتهام دهم ؟

- لأني صحتك بالجرم اليهود

- كان أفضل أن تدرسي الفنون .

- حدس المرأة قانوناً .. حساستها لا تكلمها أبداً ..

- ولكك بحيرة مني لمصنك لك كل هذه الخبرة .. ومن أين ؟

- لي أقول لك من الكتب وحده .. أنا طالبة جامعة .. يعني

هذا لست صغيرة كما نظرت كما عادي يا صبري لا أرب

كثيراً في الدليل أفضل عليه الاسماء قد يكون منها بعض

لخسوة ، لكن أفضل من لي تحب ابرجكا ؟ كي صريحاً فل

المختلة وبأصدقك .

- لشرب أولاً .. أيا السامي إليها برجاجة نبيد مبردة ، من

أجود أنواع النبيذ . أم تفصلين مشروباً آخر ؟

تذكر لدهم الأول ؟ شرباً سيدياً لشرب ، الليلة أبعاً ،

سيدياً ، لعلنا نستعيد الفرحه الأولى

- في الشعر يقولون الفرحه البكر ..

- لم أصبح شاعرة بعد وقد لا أصبح أبداً وما النع ؟ لم

أكتبه ؟

- جاءت رجاجة النبيذ تدونها كرم وهو برأيه مواصلاً

السامي الكأسين . شرباً .. وجاها

- لا تكثري .. غثي في البدء . لا تكوي صوته .

- وهذا منك أمت ؟

- يروشكا .. كوي عافلة أنا لك صدقي

- للرجل صديقه واحدة . وكذلك للمرأة صديق واحد

- أنت صديقتي الوحيدة

- والأخرى . ستعمل لي إنك تعرضت إليها مصادفة ..

بالمناسبة ، لماذا أنت عاري مصادفات ؟

- ذلك أن حياتي كلها مصادفات . كنت في صفري ناعلاً إلى

درجة أن أسي توقعت موتي كل يوم .. مع ذلك عشت . كبرت ،

تشركت .. ذهبت إلى المصبي مصادفة ، وجئت إلى البحر مصادفة ،

ولفتك مصادفة ، ولقيت ابرجكا مصادفة أبعاً ..

أصافت :

- ومن ستلقي مصادفة أبعاً ؟

- لا أدري ، لكن ذلك سيحدث . وسكون المصادفة الأخيرة في

حياتي المصادفة الأجر ، الأنصح ، ست أدري ، لكنها ستكون

الأكبر بغير شك .

- أنت لا تعلم هذه لميظي ؟

- أبداً أقولها لأشرح نفسي

- اشرح لي كيف التفت ابرجكا

من عليها مصادفته الغريبة . تشبث الإيهام في عينيها قالت

- هذا لا يحدث في مثل مرة واحدة ..

- لكه حدث

- أنا لا أصدق

- وأنا لا أسألك التصديق

- أتصور اللقاء بها كان على النحو التالي ذهبت إلى الملهي ،

سمعتها تعني، رأيها جيله جداً تحت الأوبار.. أوسلت لها وهووراً..  
دعوتها إلى مائدتك.. توددت إليها، قلت لها إنك عريب.. ذهبت  
معه آخر الليل إلى بيتها أعطيتها عنوانك.. جاءت فاصبرت  
هي فكانت وأنت فاني.. روجان لائقان.. تثنائي في مدني  
كتبها بعد أن كتبني.. ظهرت بما معاً أنت صديها كما أنت  
صديهي هذه هي اعكابه بكسي، أنا.. لا أريد إياها في وإيا  
أنا.. أدع لك فرصة للتفكير والاختيار..

- سيكون هي اختيار الجسد في الجميع.. أنا لست هنا للدخول  
في علاقات متشابكة.. سدي عملي، ولدي كسابي.. ابرجكا لا تعار  
علي كما تعار.. لا تفعل في ما تفعلين..

- وما السبب؟ قل أنت.. من لا يمار لا يحب..

- والوثوق بالنفس؟

- هذا ضروري، من جهتي لا أتق بنفسي، لم أقف على ذلك  
أنا صمعه يرضيك هذا؟ صمعه، أشك، أعار، أريدك في  
وحدتي، وحدتي، أنهم طلب المرأة هذا؟

- أمهم.. الرجل يريد المرأة له وحده أيضاً.. لكن ذلك يصير  
في علاقة حب.

- أنا أحبك.. وأريدك أن تحسي.. لماذا تحررت في.. من  
المسؤول؟

- الحب لا يكون من جانب واحد.. لا يكون هذه السرعة  
لست مسؤولاً عن شكوكك وأوهامك.. صارحك، منذ البدء، أنني  
لا أستطيع أن أحبه.. إني عاجز عن ذلك.. حدث هذا أم لا؟

- حدث، ولكن بعد ماذا؟ ألا تراه أمراً محجلاً أن أطلب،  
أنا الصداقة الصغيرة، وأنت بكمي بكمي

أخرق ولم يقل شيئاً، قال ما تريد قوله صمعه أنا الفتة،  
وأنت المجرور.. هذا ما أرادته لكنها لم تفكك الشجاعة.. ربما  
اندفعت فيه بغير وعي.. ولكن الإهانة حصلت.. لا بد من وقف  
هذا الحوار الصداقة تحتاج إلى نصيحة.. بكها أدبه أدبه  
لأنه محبة؟ ماذا يسمى من الحب إذا لم يكن الحب أناساً؟ لأفعل  
أن نفترق.. حال أن تفصلي على مقاسها، ضاعفت لطفي، باحت من  
أحبها أكثر مما فعلت.. لا نستطيع، تحت مظهر نازلة، أن نقدر  
عواقب اندفاعها..

كان المعنى قد اردحم الآن ثلاثت النموذج على الطاولات  
ترددت في الجو الكهفي امام الكهان هذه هي موسيقى  
البكان موسيقى تنبؤ من الفلق، الرمال، النوحش طبيعة  
أعرب إلى البدائية.. غرائر ماضية، تبحث عن تحمّل بالمعنى،  
بالصراع مع الذات، مع الآخر.. بإخضاع الآخر بالقوة.. عواطف  
طرية.. فيها حزن، فيها عرج، فيها صبيح، فيها شهوة متبرجة،  
وألام متعجرة، كأنها هي صرخات احتجاج على شيء معاش، على  
واقع يعرفه المعبري، يحبه لكنه يتألم منه أشد الألم.

طلب زجاجة صيد أخرى.. صاد الصمت بسبها.. طال تناول،  
تطلى جنم على المائدة اسرح الحب بالكثرة في عبيد.. لاد هو  
بلاصالة باردة كالغولاد.. فرّر أن يتوقف عن الحوار الذي أصبح  
محاكاة الصداقة، بالنسبة إليه، أعلى من الحب، لكنها، هي لا  
تريد أن تفهم.. ولا تقوى على التصديق.. ماذا عليه أن يفعل، في  
هذه الحال؟ ابرجكا كانت لطيفة كانت صديقه.. لم يطلب، لم

شروط . لم تطمح إلى الاستئثار.. ولن يجري مودتها إلا بما تستحق . قد يدعى ، بتجنسها ، يصرف إلى غطه.. لكن ذلك لم يحدث إرضاء لسلطة خارجيه . لن يقع لأن امرأة أخرى تريد

طاف المني وعارف الكيان على التوائد رتت صحكات سائبة من حوالته . تصاعد الدخان وبعقد في جو القبو . راقب الوجوه ، اكتشف أن أكثرها غريب.. سباح من كل البلدان ، لغات ممتدة . بعد بار من الجوال ، معدو اللعنة الأثرية للانحساع . لم يصبح بلد كما نجت المجر في جمع أغانيها الشعبية ويطورها . عد ما قاله بصر جبل . ذكر اسم لموسيقى الشهير بيللا بارتوك . المونكلور المجرى الأصل السكان حرم به الذين صا جاءوا لأجله . بنوا المهدوء . الرثابة ، النطق ، صغروا من التصرف المحسوب ، وفق الفوائد . صاوا المحرزوا لسموا . ليطلقوا.. ليمودوا ، ولو لوغت قصير ، فخرأ صدا .

كانت بيروشكا لتقطع القصص ليس إلا

- تحب موسيقى السكان؟

- كثيراً

- سمعها قبل مجئك إلى المجر؟

- أبداً . صديقي نصر ، عارف المود ، هو من لمسي إليها .

- هل أنت صامت لأنك تعمي . أم لأنك اصصرت عي

- أنصرف منك ؟ يمكن هذا يا بيروشكا ؟ لقد فكرت قليلاً ،

فكرت وأنا أصمي . هذه الموسيقى المجرية.. هؤلاء المجر .

وأنت أنت المربية ، الفتلة ، النزقة.. أنت تشبهين ، في قلب

أطوارك ، تغلب هذه الموسيقى في تعجزها ، في صخبها ، ووداعتها  
أه لو تغدس كم في صدري من مرة بك !!

وصل المني وعارف الكيان إلى عاتسها . العرف يكون ، بشد ، على قدر الاستجابة . كرم استعاب . طرب ، طعن الخبور على وجهه.. ايتسم لبيروشكا.. اهبست له . تصالحا.. هاما في الموسيقى.. اندعجا بها . صارا حكاية موسيقية.. والمني تحسن ، والمسات العائلات ، بالنسب المجرية الشعبية ، المهررة ، الموركش ، والمراويل على الصدور برحن وبجش .

وأعطى كرم.. اجزل العطاء . تكلم المجرية عطاء.. عرف ، عي ، رعن.. غير من ذلك يا سطيع ، يا يلك.. فحالت بيروشكا  
- لا تصرف.. إسم يعرفون للجميع ، بعد كل شيء

- فكسهم ، في هذه اللحظة ، يعرفون بي ، لك.. لنا نحن الاتني . ومن غلالنا للآخرين . وهذا جيد.. أنا لا أريدكم ملكاً خاصاً . الترحه ، مع اجمع ، تكبر العرف ، في معنى كهد ، أوع في النفس عما لو كان على أسطوانة.. أحب الناس يا بيروشكا ، أحهم . وقد يكون هذا يعوضاً عن بعض ، تكفيراً عن ذب ست أدري . اللهم أمي محمد ، سعيد بك جداً

سبب يدها ، فوق الطاولة ، وأخذت يده . مربرت السوة في دمه . نظر إليها . أطال النظر.. التهمها أكلها شربها حرمة مصفة . ود أن يبادلها عطفها الكبيرة تنلها ، فكأن في هذه اللبنة . لا يرغب أن يكون غيره في المد . عد ، سهط جنة العبر وتحطمه . سألني ، ومما تسمه صغيرة ، صمها في صدره . بين صلوته ، ومن جديد ، حين تعيب ، يتمخر حبس صمهم مجهول .

تشتمل نازي لمن ؟ هذا هو سرّ القمر ، سرّ جنية القمر ، التي يوماً ما ،  
يوماً قريباً أو بعيداً ، تنجد على شكل امرأة ، ومثلها بيروشكا  
الآن ، تتمدّب لأجله ، يتمدّب هو لأجل تلك .. لكنه سيكون  
عداهاً لئديداً .. وعلى ركبه كالتميد ، سيجد الآنية من دروب لم  
يهرقه بر بعد

انتصف الليل ، شرباً كثيراً . بيروشكا نبتت معها ، ألفت  
شكوكها ، همومها ، عيونها ، كدرها ، وكل المتاعر المديرة للحظة  
المرح في بنر الاشموور عادت مطّة ألسه وبكى سكوى ، طالفة  
وبكى امرأة عاتفة لكنها فادرة على المصحة ، في سل ليله حب  
عجربة كهده الموسيقى ..

دفع ، غيب ، مشّت أمامه مغرقة .. أراد أن يسدها  
مرصت قالت له

- ضع ذراعك على كفي اعصرني قليلاً فتلي ها ، في  
دهاليز هذه القطعة ، فتلي عندما مخرج ، حين يصير قتاله الدايوب  
ثم عدي عدي حب شت عطف لا تُمدني إلى الجامعة .. لا تُريد  
العودة إلى الجامعة

لم تعد ، تلك الليلة ، إلى الجامعة ، تعذر عليه إقصاء بأن تفعل ،  
حين خرجا من القلعة ، طبت أن تمشي قليلاً في البس كان راعياً  
في روحائها ، لو سأله أن يلعب بحصاة ، حاول ، مع وعيه باستعانة  
ذلك ، أن يأبىها بها كان يسر ، وهي تلتقي برأسها على كتفه ،  
والريح الطيبة ، المحسورة ، التي تأتي لتلعب مع القلعة ، قرّ بالشعر  
الحصيل ، وتصب به ، وتضع بثلاله ، وجهه وعينه من عجب أنه كان  
في دروه صحوة ، كأنه لم يشرب خراً ، مجرد وجودها معه ، في جيب  
الليل ، استمر وعيه لغراستها ، كان يتلفت ، وهما يسيران ، حذر أن  
تحدق به عيان عدوك أن ينفذ رجل أو امرأة ، وكلام يقال ، عن  
أب وابنه كان شقيقاً رجلاً شقيقاً ، لم يفو على دفع شموور بأن  
شتّ ما ، بينها ، يدو متراً وكان ، في سره ، يلمس هذا الشيء ،  
هذا الشموور يتأرق القمر ، بينما هي تلتصق به ، تلتصق ، محمية من  
خطر ، راقية في اتحاد أقوى ، أقوى ، كأنها تتدفق في صدره ، تحت  
ذراعه الملقاة على كتفها ، أو كأن خشيته تراودها من تركها في  
الحل ، والاعضاء ، كتيج ، مثلاً ، ذلك اليوم ، ظهر في المنفى ، إلى  
جانبها ، كسح أيضاً

وصا على حدّ الجبل . كان غده ، في ما يلي الطريق ، حاجر

- أنت لا تصحك مني أليس كذلك؟

- لا أصحك أبداً.

- ولا تحبني مكرى؟

- أنت في صحو كامل

- ليس قاماً.. لكني أصعل

- هذا بعمل الهواء المنض.

- هل كنت لطيفة الليلة؟

- أنت دائماً لطيفة

- ولم تعصب لأني تكلمت على ابرجكا؟

- ولماذا أعصب؟ كان يجب أن تتصارع

- لكنك لم تفعلها..

- أنا لا أحبها.. هي صديقة لا أكثر..

- لا نقل هذا.. الصديقة في عرفنا، نعم...!

- الصديقة، عدنا، نعم صديقة فقط.. ما رأيك أن نضي لي

الست؟

- أنت تتهرب من أشتني

- الليلة لا أشتك شيء من الموسيقى ثم يوم هيا

في الصباح كانت لديه مشكلة صغيرة بپروشكا، التي أجهدت  
بعضها كثيراً، لا تريد أن يسقط كان قد ألبسها، برولا عد  
رعبها، ساعة صبة، وحين أفاق، كان نوع من حسان قد شاع في  
منه، وهو ينظر إليها، مشغوفة في النوم، كدمية صبية، هادئة،  
وادة، معلقة، وشرها سفلش على الوسادة أشتق عليها رعب  
في أن يدعها نائمة ويذهب إلى الحديقة، لكنه يتم أن عليها أن  
تذهب، هي الأخرى، لي كليتها، هذا ما يجب، لأن عليها أن

استنق، ونحتها الخاوية تحته محدور من أشجار، وبيوت مرروعه  
بينها، تسبي إلى الطريق الممتد على صفة الداموب، حيث تسمح  
ورود من بار، في خط من السيارات لا يسهي، وعلى الجسور  
الخضمة، تتفتح ورود أخرى، مبعكة في الماء، ساجمة مع تياره  
والسمن النهرية، الطويلة، المسطحة، تمر من تحت الجسور،  
والأخرى، الراسية، الشبيهة بالمواحات على الليل، ترمو على  
الصعيق، تنع منها أنوار ملونة، ألون مصاييح، مطاعم، ملاج،  
المحدث من هذه الصن مقاراً لها.

رمت رأسها وأعطته شفتيها، كانتا جارتين، صديق، وعلى  
صدره، أحسن بهديا، وهي تصطف، وما تنأ نطلب الرد.  
هامة: دتلي أكثر.. أصعب.. أريدك.. أشتيك.. أشتيك  
بيون، وفجأة نملكه كأنما تتطش:

- أنت لن تبدلي إلى الحديقة هذه الليلة؟

- لن أصيدك

- وستأخذي لي بيتك؟

- سأخذك إلى بيتي.

- وماذا تقول القبابة مني؟ عاهرة؟

- لن تقول أنها شيء سيئ. هي تعرف

- وإذا جاءت ابرجكا؟

- لن تأتي ابرجكا

- أو أنقول إذا جاءت

- لكننا لن نأتي..

- لا اليوم ولا بعده ولا بعده؟

- لن أومعها نأتي أبداً.

منجح، وعليه ألا يسبب في رسوبها كان ينتشر في هذه البقعة، مسؤولية لا يصل بها حوالها أعد المهمة حاول إيفائها ناداه، قنبي وهي ناعمة، كرر المحاولات، لم تنجب، كانت لا مبالاة، يريد أن تنام، وترجوه أن يدعها، وأن يسعد عنها لكنه أصرَّ أن يظنها برعها، حنن على أن يسهل، وأن يسهل، وأعد إسطاراً بسيطاً، وعندما في آخر الأمر، خرجا من البيت، ولبس الكلبة، أحس براحة، وما إن أنهى دروسه في الجامعة، حتى عاد إلى البيت، واستمرق في النوم، ولم يرد على الهاتف، ولا على قرع الباب

وفي المساء ذهب إلى نادي الصممين، فساءل عناءه، وعاد يهتف بمعه على الكرسي، أدام المكسب، في محاولة للفصل محاولة كانت مثالية، ككل محاولاته في المربة، وهكذا نعم على معه عاقبه بالإصرار على عدم الخروج ظل يصرأ إلى منتصف الليل، لم يكن سعيداً، كان خائفاً، أشد الخبايا هي خيبة الضل في العمل، صنباً حاول التمرير بام كدراً، ولا يعرف متى أحس، لكنه أسبغت هي جرس الباب، وكانت الساعة قد قارب الساعة دهر لفوهة الأولى من الطارق في وقت كهذا؟ أنتكون امريجكا؟ جورج؟ ضياء؟ حدث حادث لصياء، هذا امريص الذي يومن كسراج على وشك الانطفاء، نحامل ومضي إلى الباب، سأل قبل أن يفتح:

- من؟

وجاء صوت دمه

- أنا بيروشكا.. افصح

منجح، كان ودحاً، في نظراته تساؤل، غيب، ومضى من عصب

أيضاً قالت بيروشكا

- ألا تريد أن استقبلي؟

- كيف لا؟ تفصلي.. ولكن ما بك كيف جنت.. من فتح لك

باب البناية؟

- لم أستطع النوم، حاولت ولم أستطع، كنت بحاجة إليك شوي عسبي.. اردتيت ثيابي، نسيت، هربت، أوهصت أوس نكسي.. ولا صبرت على باب البناية ترددت.. كان الباب مغلقاً.. ماذا أصعل؟ أنا لى أعود بعد هربي من الحديقة، لم يبق إلا أن أصخط على زر الجرس، وبقوة، ولعدة مرات، حتى أفتحت البوابة وعندما فتحت فلكنها الدعشة.. لكن وجهي كان بهم من قلبي، اصداري، وابست لي.. لم تقل شيئاً.. هي تعرف.. كانت فناء وتعرف.. أخلت لي الطريق.. هذه هي الحكاية

- ما كان يجب أن تربي.. فقد أثرت مصبحتي في الكلية، وفي

هذا الميبي.

- إذا كنت لا تريدني فسادع

- بعد ماذا يا بيروشكا؟ لقد غابت أوان الرجوع

- بالنسبة إلي كل شيء ممكن.. لو كنت أعرف أنك ستقاهني

بهذا البرود..

- أه يا بيروشكا، يا عزيزي.. من أي برود تتحدثني؟ إني

أريدك.. أوديك حقاً، لكن هربك، بعد منتصف الليل، من

الكلية، عمل طائش، عمل لا يذاع عنه..

- معاً يمكن.. هربت وانتهى الأمر.. كف عن هذا التفرع..

الاطمي قليلاً حتى أسترده أنفاسي

- أعد لك ضجناً من القهوة التركية؟

- لا.. أرحب في شيء بارد.. ماء، بيرة إذا أكانت موجودة

أو عصير..

- لذي كل شيء . لشرب شيئاً من البيرة . هل أنت جائعة ؟  
 - قللاً .. حنت نفسي في عرمي طوال اليوم .. لم أحضر  
 الدروس . لم أكل .. ولم أستطع التركيز حينما حاولت القراءة .. لا  
 أدري ما بي .

- هذا ما يسمونه جنوناً  
 - قل عنه ما شئت .. كان يجب أن آتي ، وأنت أنت  
 الحب ..

- وماذا كان علي أن أفعل ؟  
 - لا شيء .. لكن لا تدس في وجهي .  
 - أفرح لأنك توشكن على إصاعة منقلبك ؟  
 - لا أباقي بصياح أي شيء .. أريد أن أبقى إلى جانبك  
 - إلى جاني ؟ هيا لنعد شيئاً من طعام .. سأعدي ..  
 - ليس قبل أن أرثدي للقائمة الصعبة . يجب أن استعيد ليلتي  
 أفس . أنتشي حين يلامس الحرير جسدي ..  
 - كي ترعبي أنت لست إلا قطعة لحم . لكنها تحرش  
 أحباً

أعدت بعض الطعام جاء برجاجة بيرة وفدحين ، راح يخطر إليها  
 في مامها الحريري بدت صبيبه حمص ، لولا أنها طويكة قللاً ،  
 وشعرها البيل متزلزل .. وكان في هدوء ملامحها شيء محير ، هي  
 آمنة ، متسلية ، لا تعاني من نعم أو قلق . وتطلب منه أن  
 يتحدث ، أن يقول أي شيء ، وهو يرمو إليها مشمأ ، يهكر ، سألها  
 أن يكون سبباً في ما يجري ، مسائلاً عما إذا كان من الأفضل ،  
 لستقل بيروتكا معها ، قطع الصلة الدافئة بينها ، محبلاً عذاب

العراق ، ناهضاً بصحبة صبيوة كي لا يصيب العام الدراسي عليها  
 العام الذي يبدأ مع بداية الخريف هذا  
 قالت بيروتكا

- أنت لني تماقسي ، أليس كذلك ؟  
 - إذا تكرّر ما فعلت اليوم ، كان عقابك شديداً  
 - تقطع علاقتك في ؟  
 - من السابق لأوانه الكلام عن نوع العقاب ، لكنني أتذكر ..  
 - وأنا أرفض الإندار . تخاورت من الرشد .. ليس لأحد أن  
 يعم وصاية علي .  
 - كوفي عانة إذن . ما الذي دعيتك إلى الحرب في هذا الوقت ؟  
 - السوي دعني شوقي بك  
 - هذا نصيب الحصة  
 - ونصيبها الآخر ؟  
 - أقول مصرحة ؟  
 - تكامل الصراحة  
 - نصيبها الآخر أنك جئت لتري ما إذا أكانت ابرجكا  
 عدي

موجنت بأنه سير غورها قالت  
 - لنفرض أن هذا صحيح ، أليس من حفي ؟ أليس صديقي ؟  
 أريد أن أطمئن ..  
 - والآن .. أنت ترمي أنني وحيد .. ولا أكذب عليك .. كوفي  
 مطمئة بعد اليوم  
 - أعدك بذلك  
 - وعداً قاطعاً ؟



- أعدك.. ألا تريد أن تصدقي؟

لم تصدقها. ولم تصدقي بالوعد.. ظلت تهرب من الكلية ليلاً وبهاراً، أهملت دروسها. خرجت على النظام الداخلي للكلية. خرجت خرقاً غاصباً واجت الإتااعات حولها. كانت هي مصدر هذه الشائعات المحدثت من حياء لكاتب عربي، كاتب فنان، له بيت، صده متعب، يدرس في الجامعة، وأنه سيتزوجها، وستذهب معه إلى بلاده، بلاد ألف ليله وليله، بلاد الشمس المشرقة. نصت في تصديه أحلامها، تزويجها، نويها، وتصديها أيضاً شكتها الناطرة إلى إدارة الكلية، اتهمها بالهروب، الفساد، إهمال الدروس، إشاعة جو غير لائق بين زميلاتها. وبعد شهر استدعاه اندبر، طالباً منها تقديم إصباح عن تصرفاتها المفضنة، بعد أن واجهها بالوقائع، وبشهادات الناطرة والطالبات.. لكنه، هذه المرة، اكتفى بالإيداع، وبهددها وأبيع كرم، عن طريق الجامعة، أنه يهلك طرفاً محرراً في علاقته بيروشكا، ويبيع له بدل إخوانها، أن يساعد على الانسحاب والدراسة ثم نشر، بكثير من اللافة، مما يد أن كان سيتزوجها، كما نقول، مع التأكيد، سناً، أن هذا أمر خاص، خاص جداً.

صبر كرم، مما أيضاً، عن شرح نفسه، ما كان ملوماً أن يفهم بمريراً عن سلوكه بلصيد الذي اسمله، مع ألووش، بكثير من التوبة. اندبر عن حديث، ليس للجامعة أنها علاقة به، لكنه من باب الاستدانة به، عن إقناع بيروشكا بعدم الانقطاع عن دروسها. رعب أن يمت نظره نساء مهدياً كرم لم يزعج من الحديث أكبر المصيد، أكبر نغالة المهرج المحمبة، فنى، في دانه، أن تترسخ هذه النغالة في بطنه الذي لا يستطيع فيه أن يقيم علاقة حب صحية.

إلا يادن من القاموس، أو بمسامرة قد نكلمه، وتكلف الفتاة خاصة، كثيراً من الأذى، لكن ماذا يستطيع بعد كل شيء، أن يفعل بملاقة غير مكافئة كملاقته بيروشكا؟ إنه ليس زميلاً لها، أو طالباً لها، أو شاباً في مثل سنّها، عليه، ها، أن يتصرف بمسؤولية، أن يبعد عما يطغى سلوكه طابع مراعاة ذات أوانها، وسد رمس بعيد. الصداقة مفهوم، ومرعوبة، والعمان، في أي سن، تكون له سمجيات، صديقات، وهذا مفهوم، مقدّر، ولو قال إن ما بينه وبين بيروشكا نوع من صداقة، بأيّ معنى كان، بأنه صفة كانت، لكان قوله موضع احترام، سواء استت هذه الصداقة بروج، أو طلب مجرد علاقة حب، أو علاقة عابرة، لكنه سيكون غير مفهوم إذا أنكر أنه يحبها، وأنه بمن إلى مجهول، امرأة لم توجد، أو لا يعرف ابن موجود، وقد لا تكون إلا سبيح أسطورة سرفته، سحرته، كما تفعل جبهة القمر.

قال للمسيد

- ما جئت إلى الجبر، ولست في الجبر، لأجل أشياء كهذه، صدقي أحرم بيروشكا، أمرها، لكنني أريد خبرها وسأعمل كل ما في وسعي، حتى لو بلغ ذلك قطع علاقتي بها، كي يستقيم أمرها، وسنمى دراسها.

قال للمسيد

- يتركي أن يكون الزم زميلاً.. هذه مسألة منك اعثري صديقك، ولو أن أرورك، سأعمل هذا من كل بد. يعدل إن يدبك متحفاً راثماً.

- ليس محصاً يحمي الكلية، مجموعة تحب من الصبي

- مجموعة فنية. هذا ما سمعته، وقد أثارني.. الأشياء الثرية

بالسبة إليها عن الأوروبي، نبعى شيرة دائماً .

- بسعدي أن ظنني إذن.. سيكون شرفاً لي أن مروري في

مقي

ولكن البوش، عندما غادر الميبد، أبدى هذه الملاحظة.

- يا له من ثور، عبيدنا هذا . ما دخله في أمورك الشخصية؟ ثم  
هد المتحف - اسبح يا كرم، بعد شهرة محفك بت أخاف عليه من  
شبهتي: اللصوص ودائرة الآثار..

وقال كرم ضاحكاً

- الدعة على هذا المتحف، كم سبب لي من وجع رأس.

- أبت أن تقول لبيروشكا شيئاً، أليس كذلك؟

- ماذا ترى أنت؟

- استمر في علاقتك بها . هذا طبيعي بين رجل وامرأة..

- لا أريد أن أتسبب في ضياع مستقبلها .

- ولماذا مظهر أن مستقبلها سيضيع بمجرد أن هذا النور تدخل

فيها لا يضيء؟

- ليس هذا.. لا أتوقف عند ملاحظاته، وهم احترامهم لها..

بيروشكا طائشة.. ذات اندفاعات شديدة..

- معها يكن.. العلاقات، حتى الجنسية سها، موجودة بين كل

الرجال والنساء في خدمته وخارجها، بالروح أو دونه . لا

تستشعر ديباً من هذه الناحية

امرفا، كان ألبوش يصحك - اسبح يا سعدي، لو كان سعدي

مصحف كما سعدي . قاطعه كرم . لكن لديك شيئاً لو كان

لي . قال البوش - الشباب وحده لا يكمي، العناية تزيد الشهرة

أن يكون حبيباً مشهوراً أن تكون له مكانة فنية أدبية،

احذابه أي شيء، من هذا النوع، ثم أن يكون له سيارة، أو  
متحف، وأن يكون ثرياً. أما الممر فأتقي، مجرداً في آخر  
الثالث الشعر الأبيض، الآن، موصة، لا يهايك أن شعر أبيض  
قللاً، لت لي، أنا أيضاً، بعض الثمرات البيضاء ومنها، كما نعلم  
بعض الحب .

في مساء اتصلت بيروشكا هاتفاً اعتذر عن استمبالها أكد لها  
أنه مشغول جداً، وأنه مدعو إلى الماء.. وفي الصباح التالي  
اتصلت أيضاً، طلبت موعداً.. تدرج بالدروس، والكتابة  
هذهها، إذا جاءت ليلاً، ألا يفتح لها الباب، وسبح، عبر الهاتف  
صوت بكائها، غير أنه لم يبال قرر أن يكون حارماً غير أنه بعد  
أهم، نلتى هاتفاً من جورج، قال له إن بيروشكا عده، وأنها رجعت  
أن يتوسط عده لاستقبالها، وأنها تبكي . تبكي قطعة صغيرة

كان ذلك في نحو الساعة العاشرة ليلاً، وبعد قليل سعد جورج  
وبيروشكا، وجاء هادي، ولم يكن سوى ساعة واحدة، شربوا خللاً  
كأساً من الويسكي وقال هادي، جاء على رجاء من كرم، إن على  
بيروشكا أن تعود إلى كليتها.. تكلم بالحرية، اشترك جورج في  
المحاور، جلس كرم يسيطر النتيجة.. وكان هادي، في حوار  
الطبي، الطويل، بوتر قصته ثم لا يبالى، حتى خيل إلى كرم  
أن سعدي نسي معه، غير أن هذا استمبله قللاً، وقال وهو  
بعض

- بيروشكا باقية.. قالت إنها لن تذهب ولو أصبحت

بالولس . لديها ما يقول لك . دعني ثبت سعدي

وقال جورج

- هذا أفضل . إنها سمود إلى كليتها صباحاً . تقضي الليل

معك فقط لا تكن قاسياً إني محبك ألا تعرف الحب أنت؟ أم  
تكبه في قصصك فقط؟

شترط كرم

- اللبنة فقط تذهب صباحاً، ثم لا تأتي إلا يوم السبت

وقال هادي

- ليلة السبت ستكون لديها مهمة - انعمت مع بصر جميل

عليها - وسيكون صوبها بعض أعضاء لجنة التسمية - لقد حدثتهم

عن متعك وعن لياليها الترقية

- سنكلم في هذا غداً.. أنا موافق من حيث المبدأ، ما دمت

قد انعمت مع بصر - ووعدت الصيغ..

قال جورج

- ما هي «الكوتا» المخصصة لنا؟

- أنت وصديفك - أحاب هادي

- هناك بعض الأصدقاء أيضاً.. وسعوا الحفلة قليلاً

قال كرم

- لا دخل لي في الأمر - الفاتنة مع هادي

- أوه، قال هادي، لست من أنصار زيادة العدد، خاصة بعد

النساء.. لا يريد تشويشاً في الحفلة

قالت بيروشكا

- أنا مدعوة أهماً.. أتيسر كذلك يا كرم؟

- اسألني هادي.. أقول لكم الفاتنة بيده.

وقال هادي صاحباً

- هذا يتوقف على سلوكك خلال الأسبوع.. إذا دلوست هل

الدراسة

قالت

- سأدوم - أهدكم بذلك.

وقال جورج وهو يخرج

- يا لها من بيروشكا رائعة هذه - انظروا كم هي مطبوعة -

عظوظ أنت يا كرم

بعد خروج جورج وهادي، ألقت بيروشكا بمسحها بين أحضان

كرم - كانت عاتبة: «أنت سيء يا كرم، قلت، أنت لا تريدني..

تنهرج مني» قال كرم - «هذا لمصلحتك - أنا مسؤول عن نجاحك،

ومن وضع هذه المسؤولية عليك؟» - «لا أحد، وضعها بنفسني،

«هذا لأنك لا تحبني»، «أنا بدلاً لا أحبك» - «لكني، أنا، أحبك

أنت جعلتني أحبك أنت سيء يا كرم - فكلها بكيت

على صدره.. بكيت دون سبب - كانت مستعدة لمساعدته، وبعد

ساعته، وقالت فرحة

- لن أضايقك.. سأحضر كنتي معي بعد اليوم.. وقد نعلت،

من زميلاتي، صبح طين لديد، هل لديك خم؟

- في التلاجة

- ووهي؟

- في البار.

انصرف إلى عندك أنت - دعني أهين الطين، وسيكون

جاهراً خلال نصف ساعة

لكنها - بعد ساعة كاملة لم تعمل سوى إصاعه اللحم والجن..

كانت التفرقة فاشلة.. وقالت مستمرة وهي تقب أمانه:

- شايوش كرم (أسمة يا كرم) أصعب لك «الجن»

- لا تأسفي على شيء.. هيا.. لياكل أتي شيء - ثم سام، وعداً

صباحاً إلى الكلبة.

- غداً صباحاً إلى القرية. لزيارة والدي. أخذت أدنا من

الكنية

- وماذا أعددت كهدايا؟

- لا شيء..

- يا لك من فتاة مهملة، كلي ونامي الآن.. نامي جيداً، وغداً

صباحاً أصحبك إلى السوق، ثم محطة المطار.

- أنت لطيف يا كرم، لطيف جداً يا حبيبي.. صنع الحب

البلة.. أليس كذلك؟ أنت لن تنافسني.

ولم يعاقبها لكنه، في الصباح، كان عليه أن يعيد الكرة،

ويبدل مجهوداً لإيقاظها، ومجهوداً آخر لتمجيد خروجها من البيت،

قبل أن يموتها موعد المطار. وفي الطريق عرجا على السوق فاشترى

بعض هدايا، وبعض العواكف المستوردة، مثل اللور والبرنمال،

واشترى بذكرة المطار، وقال لها، وهو يودعها عن باب المطار

- عيسوت لا بشرا يروشكا (إلى النساء يروشكا)

- إلى النساء

- انتهي - كولي لطيفة.. كولي محبة أيضاً

- وأنت، كرم، كن عاقلاً في غيابي.. سأعود بعد يومين.

انتظري - لا تنسي - لا تذهب إلى ابرجكا.. يعني بذلك؟

- لا تكوني ميمونة - لن أقادر البتة إلا إلى الجاسنة..

- وإذا جاءت هي إليك؟

وتحركت الفطار وهي تعيد السؤال

- إذا جاءت هي إليك؟

وبدأ لم يسع جواباً صاحت

- لا تفتح لها الباب.. لا تعني يا حبيبي!!

- ١٥ -

قرّر أن يحفظ وصيتها، بل قرر أن يحفظ نفسه في وصيتها.

تذكر الذي طرد الصيارفة من بيت أبيه هذا حميد وليس مارة،

ليس كهداً، ولن يحفظه كهداً أرادته شيئاً إلى الظهارة بسبب، إلى

النس، النعامة، والمودات لكنه ابرق به إلى الدفاعة نعل الكلمة

أن يكون أكبر من صحتها هو لم يدس متحمه تماماً، لكنه لم يهـ

كما ينبغي. جاءت روريكا وخطبتها، جاءت، بعد ذلك، دون

خطبتها، جاء آخرون، أحزاب، وكان حميد، أمام الرائرين، أن

يعرض أشياءه، يتحدث عنها، عن صحتها تاريخها، قيمتها الفنية،

ويستحيب لطيفات طماعة، في رؤية كل اللوحات المجدارية. هذا

بهي أن يشر اللعافات، ثم بعد لها، ربطها، بوصيتها وكان

عليه، أهداً، أن يخرج قطع البورسين الصيني، الأرزق والأبيض،

والمحوتات الخشبية، ويشرها في كل أرجاء البيت، فإذا صدر

الرائزون أمادها إلى أماكنها

كل هذا كان محتلاً على نحو ما، كان يتلبسه شعور الدامل في

سحب، فطبه أن يصر بكترة الرائرين، وعليه أن يستعص في

الشرح، وأن يكون مهذباً، لطيفاً، لا يضيق بالأسئلة، ويكرارها

أحياناً. وإذا اقتقد السرور، كان عليه أن يطمئنه، فإذا عبر

وجب عليه ألا يظهر الارعاج كل هذا ارتعاش، إلا أن رؤية الشباب العيية، وارتدادها، وانتظار أن تقل منها الرائحة وبرعها، قد التذلل صورة أو بعدها، كان يشهد صيره، يخلق فيه قلبه الملل، البرم، الامحاء، إلا أنه برام كل ذلك، ويرحق أعصابه يوماً بعد يوم.

وردا كان عراؤه في كثرة الروايات، أنه يتعرف من خلالها على الناس، وأنه يخاطب، بسبب من ذلك، أوساطاً اجتماعية مختلفة، فإن طول مكوث بعضهم، ويطلب أمرجه البعض الآخر، وتكرار الرقابة، واندهاج دثر، والمؤاتف التي لا تنقطع، واضطراره إلى الرد، وإلى سماع رجاءات، وصرب مواعيد، وبدمج المهوة، وقبول الدعوات، ونسبها، كان يسهل وقته، يضي صحته، يحول به وبين أن يحل بيته، وأن يقرأ، ويمارس عادته في تأمل الطبيعة، من نافذه، أو الذهاب ربيها، في العادة، أو على شاطئ الدايوب، وزيارة المناحف، وممارس اللوحاح، وقيل كل شيء، النحدث إلى صياء وحس وجورح، والنسج نصصة الطلاب الذين اتسم دائرة معارفهم بهم، وكانوا بأسون إليه، ويروون له ألواناً من قصصهم ومشاكلهم فيجب لها فيها من صور اجتماعية.

إضافة إلى ذلك، كانت نشأ، خلال الريارات، بعض الروابط، كانت هذه الرثرة أو نك، تعرب في أن تقم علاقة معه كان قوس هذه العلاقة، ودمعاً، يراوح بين الصداقة، المؤدة، الحبس، الحب، ومهما حاول الاستعداد، لا اعتصام، النصف، فإن بعض الإغراءات كانت توفقه في شياكها، وهكذا يجد نفسه مساقاً إلى صروب من الدهو، والمبارسة، وتشايب العلاقات القربك، الذي يريد مناعبه، ويشوه اللهو التماي لتتصف في نظره.

البوش كان يمر بذلك يصعك من نفوره غير البرر من هذه العلاقات يقول له «لا تكن شرقياً مترشاً جرب أن تتسل العرب وتعلم روحه. ها مجتمع جديد يسى كيف منهم هذا المجتمع إذا لم تحتلط بالناس؟ علاقتك بالنمعي ضرورية. تعرف إلى الحياة الأدبية أكثر من الشعر في نادي الصحفيين» وإذا رد كرم بأن حياة الوسط الثقافي شعبية، تتطلب الشعر، والشرب، واللها، أحياء القوي: «ها أخي! هاك أدهاء جاذون أيضاً هاك موسيقيون كبار رسامون، فنانون، لماذا تريد أن ترتب لأجل بيروشكاك هذه؟ يقول لك على علاقه صداقه بها صداده لا أكثر، ونعرض أنه حب أيضاً، ماذا يعني ذلك؟ هيا لنخرج له أمسه أدبية القوم. حفلة موسيعة، تصوير فيلم، مسرحية بالية»

وجاءه ذات يوم، بافراج: «لنذهب إلى مجمع صاعى، لدي مهمة هناك مكتف بحصى رداي مع المال ما رأيك؟» واهى من هوره، كانت المدينة الصناعية تقوم على الدايوب، في منطقة أثرية جميلة، وكانت منهورة بشيئين: الصناعة وحساء السك وكان كرم، خلال الرحلة كلها، على ججة كلها عرفها في حياته لقد أتبع له أخيراً أن يتحدث إلى المان أن يسع بعضاً من ذكرياتهم عن الماضي وبعضاً من انطاعاتهم عن الحاضر، وأن ينس العارقي، ويختبر طع السلوك، وكيفية العيش، ويستمع حقائق مهمة عن النمو الصناعي، وحقوق المال، ومخاطر سكهم، ودخلهم، وأسمهم، وظروفهم الصحية، ويحصل بعض الكؤوس في نوادهم، وفي سائرهم أحياناً.

كانت للداخن، قنات المال، سكاكهم وهي تتنع شرائح الحمر والنعم، الأبة الصخمة، الآلات، الصهاريج البحرية،

المدير، وورثات العمل النشطة كالتحليل، تصوفه، تنزه، مدعه إلى  
 نوع من الدهش، نوع من المنة، وإلى شيء من التأمل الصامت،  
 فيه مباركة، وإعجابه، وعبه أيضاً مغامرة، يعي حياته الحافلة وحياة  
 هؤلاء النبال النابضة بالفرح والموت.

وفي مدارس أبناء العمال اعتماد طموته، أنشد الطلاب بعض  
 الأغاني تحية له. شرحت معلمة الموسيقى برنامج التدريب على  
 العناء بيد الصغر. رأى إلى الوجوه الماعزة، الشباب الطيفه،  
 الساء المنص، الحدائق، الأشجار، القرهوز، وتذكر ماضي قبه  
 انعم الذي تعلم فيه مبادئ القراءة والكتابة، وقال لألبوش  
 «كدت أبكي» سألته «لماذا؟ ألم تكن مسروراً؟» أحب «نعم  
 كنت مسروراً» رأيته لكنني ذكرت كان صبيّاً ألا أذكر،  
 وألا يخرج سروري بأسي.. لقد صار في قديما شيء جديد، جديد  
 جداً.

غير أنه، في متحف أندية، وجد معه بشكل ما، كان ألبوش  
 يقوم بالرحمة بينه وبين الدليل، الآثار الرومانية ثم تكن حربية  
 عنه وكان الدين يجهد لتؤكد الصلات المدعة بين البحر وسوربه  
 كان الرومان، الذين يهيمون في سورية، يسمون أبناء القبائل  
 الجربية لأنداء، وهكذا حتى منهم من حمل بعض الأواني  
 والتموش جندي محري، حارب مع الرومان، لكنه تزوج امرأة  
 سوربه، انضم إلى السوريين. قال كرم صاحباً «نأيدكم لنا عدم  
 إذن» قال ألبوش الذي وجد مرحبه «نحن معكم أكثر من شعوب  
 أوروبا الأخرى، عرفنا الاحتلال العناني، ثم الاحتلال الألماني  
 ناضل طويلاً، وعلمنا، يا أخي، أن مندر نضال الآخرين في سل  
 حريتهم. صدقني، إنا معكم» ألم تسمح ما قاله العمال؟

اشعر كرم بعد هذه الزيارة عامة نعمة حتى أن المنحصر  
 غداً أجل في نظره. لقد خرج من (طاره) كان يخشى أن يظل  
 محدوداً بصلته، فلا يعرف من حياة البحر سوى اثنين الذين  
 يرورونه، وسوى بعض النساء وبعض الشباب، الآن يستطيع أن  
 يقول إني أعرف أكثر خالط، في بوديب، صها، بعض  
 الأوساط، دخل بعض البيوت، كانت دعوات رواره المديلة، تصح  
 بالكريم والكياسة، وكان يحدث ويستمع، وتترحب دائرة اطلاعه  
 وتختلف روائاً النظر، ودرجتها. وجد البحرين حشنة، يعملون  
 ويمسسون، ويرأوج رأيهم في المس والمسي، كتب لا شكر أن له  
 أشياء جيدة، وأن هناك تقدماً، وأن الرعية في الهجرة تتدن،  
 والذين هاجروا، يطيبون، وينفون في العودة، والبنطاط تتاهل،  
 وسنمل بونه وعوده حتى الذين ودعوا صده في الثورة، والذين  
 أتهروا السلاح، وكاسوا مصنئين وفي الجمع الصناعي، صار به عامل  
 نصف، مثلي، تحوي البياض، وهو يجلس أمامه على طاولة خشبية،  
 وهرم أقداح السيد وهو يمسك «بني عصو في الحرب، وعصو  
 في مجلس النقابة». حسناً معنى هذا أنهم ينفون في ويرأي، هذه  
 التفة لم تأت بتوصية. أظن (فتح كنهه أمامه) هذه العقدة في  
 الأصابع، إنها من العمل، أما سكاكسي، وقد شارك في ساء  
 وتركيب مصانع كثيرة، أعطيت برهاني روج أخني يعرف هذا  
 ومن مرنا كتب لي، بعد هجرته إثر الثورة المضادة، طالياً أن  
 أحى له في العودة راجعت بشأنه واعتوا على عودته كسبت  
 إليه، حصر، لم أقل له شيئاً، لست من أنصار الوعظ، تركت له أن  
 يجتبر الحداثة، يكتشفها بنفسه. بعد تسوية أوضاعه عاد إلى العمل  
 حتى على ذلك عامان، جامي قائلاً «يا قريبي، أريد البحر إلى

إيطاليا مع زوجي في هذا الصيف، لكني، كما تعرف، لست موضع ثقة، أنت تعرف موقفي. ظني أنهم لن يسمحوا بخروجي من الوطن ثانية. أرجوك، كن شيئاً طيباً عني، اكفني، وكررت في الأمر، تحدثت مع بعض صابري، قالوا لي لنقدم بأوراقه، فإذا واجه عصبه ما يساعدك أبليت ذلك، نصحه أن يطلب جواز سفر وإدناً لنصاء إجارته في إيطاليا، وعدته خيراً. لكنني لم أ تدخل.. بعد أسبوع عاد إلي صاحبكاً «ماذا؟» سأله، قال: «مخوفي جواز السفر وتأثيره خروج، وقال لي للوظيفة المضمونة نحن نعرف من أنت لكنا نملك جوازاً حسب الأصول، هذا جنك كمواطن بعد مصي عامين على عودتك تستطيع أن تدير مع زوجك، وأن تأخذ حصتك من الفصح النادر، وبمكك أيضاً، ألا تعود عني لا يريد إمساك الناس بالعودة» سألت قربي: «وأنت صابري، متعود؟ فأجابني: «لا شك في ذلك.. وسأكون عند حسن الظن» أضاف العامل بعد أن شرب آخر ما تبقى من الرجاجة، ومسح شربه الكثرة بقفا يده: «نحن نصحك عندما يظنون في العرب ويرمرون هرب عرقي لرعنته في المحرة أن أألك لو صفا باب المحر لمن يريد المحرة من البلدان الراسطة إليها، أنظر أن المحر كانت تسع لمر عيني معدن؟ هذه هي الحكاية نعلنا أن نلق بأفصا، بظلمنا، بواظفيا.. فإذا مضطرم إلى الحرب ليدعوا بحوارات رسمية ويجربوا.. هذا أصل».

بعد أسبوع كان كرم يتذكر كلام هذا العامل، سار لمدة يومين إلى النساء. هناك لارمه إحساس بالصاح فقدت إسمائته بعض ركائرها.. حمت ورمة كإسان.. ولم يسترجع شعور الاطمئنان إلا وهو يختار الحدود المحرمة في طريق العودة، وعندما قص ذلك على

صبا، قال هذا: «دوغري أوغلم (صحيح يا ولدي) أنا أيضاً مررت بهذه التجربة. قتلت في مصي يا صبا، أيها الرجل الكاتب، أنت لا تعرف العرب. ينبغي إذن أن تذهب، أن ترى ويجرب. والسجدة؟ كنت أقبل تراب المحر وأنا أعود كرم! هل تحسب أن هناك شيئاً بين أرض تركيا وأرض المحر؟»

وقال كرم في نفسه وهو يذهب ويجيء في عرقه: «يجب أن أرى صبا هذا عجول من الطبيب أرجو أن يكون قد عرف، في انحراب، امرأة، أو صادق صبا، لنكون بحرينه كامله.. هم بصورة، هو الطويل، ذو لائحة، والسرة الواسعة، وورط الرقبة المخلول داغاً، يمع بين يدي النساء.. في حي ما من أحياء روت أو بارص، وصعك، إذ تذكر عوركي، وكيف تعرض لثل هذه النجربة، وكيف تفرقت سترته، وفال في نفسه: «لماذا لا تتطوع امرأة ما ونحب صديقي صبا؟»

فجأة رن جرس الهاتف، كان التلكن هو لئير، في الملهى الذي يعمل فيه أيرجكا، قال له: «تعال، أيرجكا بحاجة إليك.. إيا بانتظارك..» رغب في الاعتذار، قال له: «لا أستطيع اللينة إني أشغل نلما عيني» لكن الهاتف رن من جديد، وقال أيرجكا: «أيرجكا لا تقل اعتذاراً... إذا لم تأت أنت جاءت هي».

أخذ قهوته وشربها بهزق. أشغل سيكارة ذهب وأتى، وقف إلى الناحية، استدعى نسمة عابرة.. كانت طراوة الليل صعبة، رتل من الحوم ملقى فوق، يشع كعكات ماس فوق غزل ملوي جاءت أشعار الحديقة، اقتربت، اقتربت، استشر ألفة معها رغب أن ينني على اللل، بطاً هذا البساط العتيق ويمضي بعيداً، يمضي إلى المجهول عراً من الانماس، ثانية، في حدة صكوتية، لرجة، تلمع

سبحه حو، حتى ليحس بضربة هذا النسيج تلاً عيبه ومعه  
وأمنه، ونسمة تجري الهواء عن رقبته

رنّ جرس الهاتف للمرة الثالثة بلمحة صوت المير يال: «فلى  
نأني؟» أجاب «سأني» لكنه، في داخله، اعلم أن يصح حداً لكل  
هد - هو لا يكر أن العلاقة، حتى في الإمراط الذي صارت إليه،  
ما تزال إنسانية. وأنها، بالنسبة للكاتب، مبررة، فولا أن هذا  
«الكاتب» يفتس في هو يحول بينه وبين تحقيق ذاته الإبداعية.  
وبه لا يارس جاً يكذب عن نفسه حتى في علاقته بيروشكا يلعب  
دور الذكر مع أنسى لم يخلص لارجكا، ولا حدّد نوع صلتها،  
كان يجب أن يصطبها، أن يبادلها عاطفة يعاظمه، لكنه لم يستطيع،  
لأن به علاقة بيروشكا، ولم يستطيع الوفاء لهذه، لأنه عن علاقته  
بارجكا، ثم ماذا؟

أمن أوصه بيروشكا، وهي مظل من بعده المطار، ألا يجربها  
مع أنه امرأة، لكنه ضاها مع روريكا، وهذا هي ارجكا مدعو،  
وهو لا يستطيع، كما كان النوش، أن يرحس - المهم ألا يفرط أكثر،  
وأن يصح حداً بمرارات، ويوصل حبه الاجتماعية عن نحو ما  
فعل في رواية المجتمع المصاهي واللواء بالمال.

كانت ارجكا في أعينها الأول عندما دخل وأنه أرسلته  
قصة في الهواء، صدح صوتها صار أكثر حياء، أنتد حياء وحداً  
صق الماصرون صق هو أيضاً أدرك أنها يعني له لم بهم  
كلمات الأعيرة لكنه المبرية بسيطة، لا زهر برسله لها، ليس إلا  
الحمر، ومادا، في تكريم فانة، يعل الحمر؟ لا يأسن بكريم  
العاريين.. أرسل زجاجة ويسكي - أحصى حارق الكهان وأنه

تاكراً. لاحظت هي - التحية وصلت، التكرم م - بحس  
التصرف - قالت في نفسها.. وحين أقبلت، في ثوب أبيض، أعطته  
يدعا قتيلاً، وجلست وهي تبسم.. تذكرت أنه هرب وهي نائمة،  
كان في هروبه شيء، من عدم فكرت - هل يفصل تلك العانة  
الصغيرة بيروشكا علي؟

جاء المير مساً

ماذا يريد أن يترب البيد؟

- ماذا تود ارجكا المبرية؟

قالت ارجكا

- أنا صاحبة الدعوة الليلة..

قال المير

- أوصت على زجاجة شامبايا مبردة، مع بعض المقبلات.

- حساً، لتدو الشيايا المبرية..

- ولكن شامبايا رسمية.. ارجكا هي التي انتظنها..

- في هذه الحال تظنني عتة بالمد. «كوسوم حبي»

ارجكا (شكراً جربلاً يا ارجكا)

- كريم حبيبي (عدواً كثيراً)

وسألته ارجكا غيا المير يال الفدحي:

- تعلت المبرية؟

قللاً

- يستطيع أن تتعاهم دوناً حاجة إلى ترجمة إذن؟

- أحب ذلك.

- لي كنت طوال هذه المدة؟

- في البيت، في الجامعة، ومع بعض الأصدقاء



- كتب جدًا؟  
- لم أكتب جدًا. بل لم أكتب أبدًا

- حصاره  
- بين خسارة كبيرة لا أدري ما لي بحب أن أعود إلى الوطن

- ثم نقد أن عودتك تحل الأزمة؟  
- ربما

- قلت لي، في المرة الماضية، إنك لا تحب.. إنك غير قادر على الحب. أليس كذلك؟

- نعم.. أذكر أي قلت ذلك  
- هل كنت صادقًا؟

- كل الصدق

- ما سبب هذا؟

- لا أعرف. لا أستطيع أن أحب، أن أحب بمعنى، يكون مثل هذا الحب قد فاني، أو لعل لم يأت بعد.. إني في أزمة قالت أيرجكا

- لاحظت ذلك، فكرت فيه.. أنت، في هذه الحالة، مريض نفسيًا، الحب، كم ثم، مرض أبيض، لكنه ينمي من مرض آخر، هو عدم القدرة على الحب. لقد كنت صادقًا معي. كنت كرمًا وأرعب في مسعدتك.. لذلك قررت أن أدعك لبيروتكا. صدك، معها، تسمح قليلًا، تحل عمدةك..

- لكنني لست مقتدًا كما تتصورين.. لست مريضًا تمامًا. الحب ألداس إني أحب الناس، الوطن، النفس  
- برأسك أنت قصة هذه. أن لست معه نصايا الأخرى،

لكن الحب، على ألوانه، ينبع من مصدر واحد، هو حب المرأة إذا كنت عاجزاً عن حب المرأة فأنت عاجز عن حب كل شيء  
هنا كرم.

- هذه مبالغة! أنت تهمني في هذه الحان

- الآن، حان موعد أغسني الأخيرة.. بعدها يستريح بنة رجاجة السامبايا ويذهب إلى البيت.. إني ما ظنه لك قد أكون محبطة.. إني أجعل أشياء كثيرة، مع أي خرجته جامعة. هذا لا هم.. كل لطيفًا، أرجوك.. هذه الأغنية لك لا ترسل أيها الحبة يكمي.. أعرف قلبك.. إني لست فتاة ملي، وأنت لست ربونا

عادرته وهو عارق في بؤسه العاطفي. أيرجكا تهتمه، ليس مثل المرأة من بهم الرجل.. بكلمات قليلة كتبت عن جدور أرمته، صبره صاحب أزمة. ملأ كان يفتها ولا يحس ب، الآن صار مريضاً يرى أنه مريض، هذا الإصراف الجسي ليس إلا تعويضاً يحاول، من خلاله، أن يبلغ الارتواء العاطفي، لكنه، بعد عصبه الجس، يعود إلى الفراغ.. (في فراغ رهيب في نفسه، إلى ظناً شديداً.. إلى جوع حقيقي لخبر هي التي قالت اسمه أحب

عنت أيرجكا، كان صوتها صاعباً، دائماً، يادي، في غير ما أمل، حبياً بعداً، وكانت انوسمي، رائحة، والمو الذي كان، خلال الرقص، يصح بصعب التنبأ، عاد الآن، مع الصوت المرد، إلى نوع من انفعال داخلي، كأنما جاءت اللحظة التي يسي لكل إنسان أن يستعيد خلاصه، في وضعه استرجاع، ذكرات هوى قدم

نادى لليتز وسأله: «عماذا تقول الأغنية؟» ابستم السر السر لا يترجم.. كيف يقول؟ ألح كرم «أرجوك، ما هو عنوانها،

مطلعها ، التكلبات الأولى فيها ٢ ، قال المبر - وهذه أعية مشهورة ،  
 للشاعر اندريه أدى ، تقول ، « في عيني ، يراك الناس أيها الرأه »  
 فان كرم « شكراً ، فهمت » وقال في نفسه : « ليس في عيني أنه  
 امرأة عيني فارغان العين فتح من القلب فلي يتر فارغة  
 وعيني بؤرة فارغة عرفت الآن سبب رحمتي في الكتابه »  
 خاص الرواة في قضاة ، شعر بأنه مدسب ، وحيد ، مهجور ، وأن  
 قنباً ما ، في هذا النكون ، لا يحمى مع عليه ، لأنه عمر عن أن يحمل  
 قلبه يحنق مع قلب أية امرأة في هذا الوجود .

شرباً من جديد .. وفي آخر الليل ذهب برحلة الزوجكا .. كان  
 يظن أب ليلته لأخيرة معها هي أيضاً ظن أنها ليلتها الأخيرة  
 معه في المدستمر سيمى شهوراً في الخارج ، وحين تعود ، ربما  
 لن تجده ، وقد لا يجدها ، فهي لن تعود زلي الملقى معه ، وليس من  
 سبب يدعو إلى اللده ، طالما أن الحب ، بينها لم يوجد ، ولن يوجد  
 أبداً

جس فقط .. هذا كل ما يستطيع أن يمنعه .. وتبكت الفحة  
 برص ، صدهين كانا ، امرأة ورجلاً كانا ، وحين أحلّ الحسد أن بعد  
 نجاد شمي ، قتلها ، قتلها كلب عارية كانت وفكها كلها وفيه  
 ظهر اليوم التالي أرسل لها بطاقة فريميل آخر .

- ١٦ -

قياً كان كرم يبط القدرج ، في طريقه إلى حمام سينيني ، في  
 الصباح الباكر ، رأى ثياباً يدخل البنية وفي يده حبيبه الشاب م  
 بره ، ولكنه سمع وقع أقدامه بغير شك ، فطلى في راوية ما ، أو دخل  
 غرفة في الطابق الأرضي

كرم لم يابه ، ولم يجد ما يلفته أو يحبه ، وهكذا غادر انيس ،  
 وفي يده حبه الصغيره التي نعم مسسه وهدو لنسبته

وفي آخر الرواق من الناحية الشرعية ، قرع الباب ثلاث قرعات  
 متواصلة ، ثم تبعتها ، بعد فاصل ، قرعة رابعة مرمدة ، ألقى محمد  
 جيش وهرك عيسه أرواح ستارة الناعدة قال في نفسه « لقد جاء ،  
 إنه هو : نديم الجبل ، نعم أخيراً أن يتقيد بلواعيد هذا لا بد من  
 الانصياط ، في مثل أحوالنا ، ضروري لكم تبعت لكي أجعله  
 إنصافاً » ، وعلى الباب تكررت المحاولة ثلاث قرعات متواصلة ،

وبعد فاصل ، قرعة مرمدة ، وصاح محمد من الداخل

- طبيب ! طبيب ! سمعت - لماذا أنت متجهل إلى هذا الحد ؟

قال نديم وهو يحتر جسمه ، مع الحمية الكبيرة التي يحملها ،

داخل الباب

- أمارك ناعاً ؟ أعمرك دقماً - كب أجسك تبسطري في

الحار

- هذا ما كان يجب لكي نمرت إلى ساعة متأخرة - مرت كثيراً وعرفت في النوم

وبعد أن أغلق الباب أصاف

- أدخل - لا داعي للتعجلة - أنت لا تعمل أميوتاً حتى تحنط

هذا الاحتياط

- ولكن الحقبة ملأى بالكائنات الأجنبية والوسكي - ماذا لو

أشبه لي أحد؟

- وماذا بصورك؟ تقول، هذا لاسمحوا الشخصي

- أنا العالِم أدخر كل هذه الـبيكارات وأشرب كل هذه

الـويكي \* من يصدق ذلك؟ وعلى فرض أنهم صدقوا ، سألتوني

من أين أنت ؟ وبعدها

- لا تكن جباناً.. أولاً إن سألك أحد.. ثانياً تقول إنها

وصلتك من أهلِكَ في سورية

- أنا العمير ، الذي يدرس الاقتصاد السياسي بمحة من الحكومة

لحرية ، يرسل له أهله كل هذه الهدايا الفاخرة؟

- ولماذا لا؟ الحصول على محة شيء ، والعمر أو المي شيء

آخر.. أكثر الذين يدرسون هنا حصلوا على محة مع أن أهلهم

يسوا لهم

أصاف ، بيرة أمرة

- إذهب واصنع لي شيئاً من الميوعة ، ربما أفصح هذه الحقبة ،

وأرتب ما فيها من بصاعة

اصنع مدي للأمر كان المطبخ بين المعرفة التي ينام فيها محمد

المعرفة الثابتة ، على بين المدخل ، للروحة التي لا تزال ناتحة . متى

حدرأ ، كي لا يوقظها ، هو يعرف السب كما يعرف حرفته في قلعه

الصباح ، هناك حيث بيوت الطلبة - به ينام مع زميل آخر ، رد

لا عدوه له على استئجار بيت ، مع أنه يشوق إلى ذلك ، ومحمد يبه

بالعودة - سيكون لك بيت مستقل يا مدي - متى يصير هذا ؟

حش \* - هذا موقوف على ما طك - لكنني أريد حدي ، هذا

ليس كافياً بعد - وقال في نفسه : ولو عيكيت رأساً لأصحت

لحائي - أغاظه بصبي ، بدراسي ، بمسيلي في البحر ، ومحمد بأحد

السمة وقضرباً . إنه داعية - حتى ليكون مهرباً لا طالباً

على كل فأت أوان دراسته - مسألة الدراسة هد حجة - حصل على

محة مدد المحة - مددها ثابتة ، ثالثة ، كيف ، لا ري ، يوصل إلى

هذا؟ وكيف ، في حركة بارعة ، خفية ، يحصل على هذا البيت؟ ظل

بحي حتى أصبح مترجماً في الإذاعة.. يترجم بشرة الأخبار للمسم

العمري - فعل ذلك ربما حصل على هذا البيت - لم استطع - زعم أن

العسل على المنظمة لا يؤايبه - إما أن يصبح موظفاً كاملاً أو

يفرك.. ترك الترجمة والإذاعة واحتفظ بالبيت.. من يستطيع

إخراجهم منه؟ في البحر لا يلقون الناس في الشارع ، إنه يعرف

المو بين حداثاً - يستمد من الحقوق دون الواجبات ، يقول إن به

حقاً ، أما الواجب فصحك - مرحباً واجب - يقول أيضاً :

- الناظر يدبر رأسه ، أنا دبّرت رأسي ، وما دبّرت يا مدي لا تكن

لموجاً.. - لكن مدي شاءل وهو يظهر الميوعة : متى يدبّرني هذا

السطر الذي سحرني إلى هذه الورطة؟ أكاد أصبح درسي به

لا يبالى بهذه الدراسة يقول : كي مشي . أنا مسجل للدراسة ،

لكنني أصعل شيئاً آخر ، أكثر فائدة.. ربما كان هذا ملائماً له ،

لكنني أنا أكاد أصبح المحة ، إذا لم أبح ، طردت من البحر.. أنا لا

أعزى كيف أدبر أمري . وهو يقول: «لا تخف مني  
ستدود.. هذه علي.. لا تدخل أنت في شغل، ولا تعلق، فقد ما  
أقوله لك علينا يحتاج إلى شئنين: «عدم التناقص، ودقة  
التصيد»

أحضر الفهوة وفي نفسه حق.. جيش ينام عائداً إلى المحي،  
بعد سكرة تعبته إلى الصباح، وهو يرتجف في وعده مربية، في رابطة  
شارع خدي، ريثما يتسلم البصاعة ويأتي بها إلى هنا، وبعد ذلك  
يلقي عليه جيش مو عطف في رباطة الجأش، وعدم الخوف لا يرى  
أبداً خطر حتى ولو فصبوا عليه. إنه يؤمن الأمر، يرى المأله  
ببطء: «هذا لاستهلاك النحوي» حبيبة من الكائن  
والزهرسكي، وعن رصعهم أبداً لاستهلاك النحوي، وأبداً مرصه إلي  
من سورية.. هذا الوعد، بحسب أنهم يلباء حتى يصدقوا مثل هذا  
الطريق، وماذا يحميه صدقو أم لا. إذا وقعت فإنه سيكر  
معرفته لي، يرغم أنني أعزى عليه، في محاولة لإيقاعه. أنا ل  
أسمر في هذا الاحتراف، لن أحش مرتعد الأوصال، على أن بعد  
بعض من أعزى من وجهه أقطع كل صلة لي به. وفي حالة كهذه  
فقط ألتش.. وفي جو الاطمئنان وحده أستطيع الدراسة.

كان جيش ما يزال جالساً على حافة السرير، البصاعة أمامه  
على طاولة مستطلة. كان سورم المسى بشكل ظهري، يدور من  
شعة النابلا شمر أسود كثيف في صدره. رأسه صغير، واقسم  
الأعني من جده صيق، بجلاف الصم الأسفل، العريض، الملل إلى  
درجة السمة، كأنها تتشكل قوامه على شكل هرم، فيه إمراط في  
الوسط، وصبور مع استطاله تلمع الرأس دي المسين الزجر اجس  
تدول الفهوة دون أن ينظر في عيني نديم القدي أمعها له،

ترشعها متللاً، أشعل سيكارة. سحب منها أنماطاً همة. قال بهجت  
العامة مصفا

- قرباني لن يأنوا إلا في الليل.. هذه البصاعة سفق كلها،  
وعليها، بعد ظهر اليوم، أن يجد كمية منها من مصدر آخر، دع  
هذا الأمر علي. دورك، في صباح العد، أن تتسلم البصاعة في  
المكان الذي أحذته لك.. وسأكون، عند وصولك، صاحباً لا  
يملئ. أما الآن فسيسرف إلى شغل يومي (المصاد)، هالك كبه  
من النفود المجرية، هذه شة ألف من المورنات. لديها مجالات  
كثيرة لميادلتها بعمليات أحسية.. هناك المفاهي والصادق، حيث  
يتواجد عرب أو أجانب جاءوا للسياحة. إنهم ينتظرون أن يقدم  
لهم خدماتنا.. فورنات مقابل دولارات أو ماركات غربية.. ولا  
بأس بالفرنك الفرنسي والسويسري أيضاً. الأفضل هي  
الدولارات. يدفع أكثر في سبيل المحصول عليها. أي مجال عذر  
لصك. المفاهي أم الصادق؟

قال نديم

- سأذهب إلى الجامعة اليوم. منذ أسبوع لم أحضر درساً  
واحداً. فالتقي بمصبرات همة. لا بد من التعويض كي ألتحق  
إني قنني جداً. شعة النهرب هذه تصمي أمام مصبري البحر،  
أو الطرد من البحر.

أشعل جيش سيكارة جديدة. كان يسمح لامبالياً، الدبابة  
التي وقعت في شبكة السكوت لن تلمت من بسجته الدين بالسهولة  
التي تظن. بعد التسلل معه لا يجوز الانفصال عنه.. هذا تصرى  
غير لائق من جهه، وحظر من جهة أخرى من يقدم على ذلك

بمصر من بعده للانتقام.. وهو، حمش، له ألقاب كثيرة للاسماء،  
بها السحر، والطرود العوري من البحر. وعلى هذا فليس من سبب  
للانزعاج. يدع يدع يمشي حشفه يعبر عن صحوة صبر لم يبق كما  
يجب يمد. اللهم أن ما يطلبه يسعد.. وعلى يدك أن يختار، المعاني  
أم الصادق

قال وهو يخرج الدخان من فمحي أسفه المنعطف

- هذا اللغو يدي لا فائدة منه صار معروفاً انترب ههناك  
وبك سيجاره. سأكل شيئاً إلا، ثم يخرج إلى السور ادع  
إلى مهي. أم كي. هك عبد جوجا باسطرك. إجنس معها  
عدم فـ ما تطلب من مروب هي منظر رنار، وبحر منظر  
ربان. الموصف واحد يد، والناون حبد، لصلحه الطرفين  
تستطيع أن سحب ربوك إلى عرمها، هك تبدل له العلة  
وهك تقدم له جوجا حشفه العربي ربون أصل محروم  
أكثر.. يريد امرأة بأي شكل.. تشيد من تبدل عفته ومن  
مكافاة تقدم جوجا إليه

- لنذهب جوجا إلى المحرم، صبرني مهراً وفؤاداً أن لا  
أستطيع الاحمال أو الصبر أكثر من أجنس في الدخول ما يكون  
الربون مع جوجا في التخت.. أعصاني لا تتحمل  
أعصايك تتحمل. ستعاد.. وستعرف اللذة في السجل..  
الفؤاد (وأن لا أحب هذه الكلمة أفضل عليها كلمة الوسيط)  
المؤد له لدته أيضاً يرى، يسمع، يستمع في برطانيا كان  
رجال يبررون، يدعون مبالغ لمأرسة أرياء شيرة كي يروا من  
مجرة في الجدار، إلى مجاورة الجنس أمامهم.  
- هؤلاء شادون

- وما هو السي في الندود؟ نصف أوروبا شادة اللذة،  
في حال كنهه، تصاعف  
- ولكني سأذهب إلى الكلمة كما قلت لك  
- لماذا؟ كي تنجح؟ وهذا يعني النجاح؟ شهادة، وما هي  
الشهادة؟ وسيلة عمل. وما أنت تعمل، تبيع أكثر.. وتبقى في البحر  
عائاً متعياً. أليس هذا أفضل من العودة إلى بلادك حيث البطالة  
ووقع الرأس؟ أم تظن أن العمل يسطرك على الحدود؟  
- معها يكن، معها يكن أريد أن أخرج.. إذا سمعت هذا الصم  
طرودي

- لي بطردك أحد.. هداياي لما عمل البحر. تستنزل إلى  
كلية أخرى.. تبقى في البحر ما شئت.. نفس مثلي.. لو أردت  
المحاح لمعنه مد رس بعيد  
- فكذلك عصمت في الديبلوم  
- وأمامي الدكتوراه.. هذه متطول.. أنت أيضاً مسجع في  
الديبلوم، وعلى تدبير صحة الدكتوراه. وبعد ذلك يكون لك  
بيت، وروحة، وتبقى في البحر إلى ما شاء الله.  
- هذه مفريات، وعود كادبة.. أهل أرسلوبي للدراسة والعودة  
بأسرع ما يمكن.  
- أهلك مصنفون. اندي يمشي في البحر مثل الذي يمشي في  
سورية؟ فكر أنت  
- ولكنهم يظنون هودني لماعتهم  
- سأجلك تساعدهم، لا تتحمل  
كذلك نصمي في طريق خطر. إني خائف دعني أكن  
صريحاً معك إني خائف

- الخوف شيء طبعي، خاصة في البدء.. لقد أعددت لك  
مساء

- ما هي معجاناتك هذه؟.. تجربة جديدة؟  
- اتقن مع جوجا أن تكون لك اللبنة.. خذ النفود وادهب  
إليها.. بمجرد أن ينتهي عملك تكون لك.. سعي عددا إلى  
الصباح حين نخرج من رباتها تكون بك.. ربت معها كل شيء  
أصاف بعد هبت  
- الآن حان وقت الخروج أنا سأرشدني شيء، أما أنت  
فاسعي إلى الله

كأنت مع يدي حذرة يد صميرة أرمع صوبها على الطاولة،  
رُتب مصف الأوراق النقدية وحشرها فيها.. لم يبق مجال لعلبة  
السجائر، وضعها في ساق جرابه تحت البساط، ثم أخذ الخوذة  
للمخاضة، حلل دقته، أصليح حلايه، كان يرتدي شرة مصاصه،  
صميمة، وضع ما تبقى من الأوراق النقدية في جيوبها الداخلية،  
تصنع في المرأة، له وجه طالب، شاب صغير وطالب لم يترك السمير  
والسكر آثاره على وجهه كما فعل مع حبش.. استطاع الآن أن يخرج  
هادئاً، مطمئناً، فليس معه أي شيء مهرب عنه سكاثره فقط  
كانت مارليبور، هذه جرة من عدة النخل، يصحها على الطاولة،  
وعوقها الولاعة النارية من نوع روسون.. شاربا الأ سودا، إصاصة  
إلى لونه الأسمر، يدخلان في مواضع الشغل صارت له، بحكم  
المهارة، مراعاة في الأشخاص، في وسه تميز العربي من دخوله،  
من تردده، من ختاره الكرسي، من ثلثه يراقبه من بعد إذا  
كان ابتعد خائباً، يمكن أن يذهب إلى طاولته، في حال الانتباه  
بوجود مراقبة، ينتظر حتى يخرج من المنهى فينبهه لكل حال

موقفه.. هو لي بخاطر بؤده أن يقوم بعمله دون أن يخاطر.. قيل له  
إنه أصبح مشبوهاً، لكن البوليس المجري لم يوقفه ولا مرة بعد.. إنه  
غير مراقب حتى الآن، وجلوسه مع جوجا، ثم خروجها معاً،  
بصرف النظر عن مهمته الحقيقية، جوجا مشبوحة جنسياً، يمسونه  
على علاقة جنسية بها في هذا المجال الاهتمام أقل المراقبة غير  
شديدة، في مسألة الجنس تساهل إلى حد ما.. حبش يحس عمله له  
ربايش كثير، له كبتك هديقات.. في كل منسى، في كل فندق، له  
عامرة.. لكنه لا يكتفب اللواتي يتعامل معهن.. عرقه بجوجا فقط  
جوجا جميلة، شفاء، فارغة، مصرية وميرة.. إيا فتح صالغ.. دور  
هذا الفخ، بالنسبة إليه، بصريف العملة فقط.. المواد بمدة عن  
عاشقته، يكره أن يتحدث إلى هذا الدرك أن يبحث عن ربات  
يريدون الجنس، هذه مهمتها هي، هو سيحضر اجتماعه بالدين  
يريدون بدين مودعم.. ومادا في هذا؟ في كل سيارة موظعون  
بموسون بالتسلل معه هؤلاء، موظفو السيارات، وحتى الكبار  
مهم، يراخونه مراحة شديدة، ما إن يصل وفده حتى يسوا في  
أدان أعضائه أنهم في خدمتهم.. وبهم أعضاء الوفود.. في  
السيارات، في الصادق التي يربون بها، يجري تبديل العملة  
باطمشان هؤلاء لديهم حسنة لا أحد يألم، في وسهم، ردا  
ستلوا، أن يقولوا إياهم يندسون مساعدة لموظفيهم، لكن أحداً لا  
يألم.. لو سألوا موظفي السيارات، ولا حمير، صليات التهريب  
التي يقومون بها، لا اضطروا إلى طرد أعداد كبيرة منهم.. ليس من  
مخافة يمكن أن تنلّم في هذه الحال.. حبش قال ذلك وهو يهرى،  
وكذلك يهرى قديم.. ولو كان موظفاً في سيارة، لصل مطمئناً،  
وحقق صفقات دون أن يتعرض إلى أي خطر

خرج من الباية ١٩ في يترور أوتسا، سار في شارع بيها أوتسا  
 رى نادي الصحفيين، هناك انتظر الباص رقم واحد، وبعد تقاطع  
 شارع الجمهورية بشرع ليس برل من الباص وركب الترام، وبعد  
 دقائق كان في مقهى «أم كي» لم يدخل رأساً، سار على المصيف  
 متملاً، راقب محيط المقهى، تعرض من وراء الزجاج بالجلاليس في  
 الداخل، جوجا لم تأت بعد. قد يكون لديها ربون، في هذه الحال  
 تأخر، العمل في حالات الاستقبال، في المصادق، فهل، تعرض  
 العادم من حديثه يعرف العرب من سانه، يعرفه أياً من كلامه  
 مع الدمين في الاستعلامات جيش يربط هناك يختار الأماكن  
 لأسهل، لكنها الأخطر أيضاً، رجال الأمن، هناك كثيرون، الرقابة  
 شديدة، لكنهم لا يستطيعون التدخل، خاصة حين يكون العرب  
 عربياً، ويتقدم جيش عارصاً خدماته، من الترجمة مع موظفي  
 المصدق رى المرافعة ينسوق في هذه الحال لا يستطع التوبس أن  
 يشبه مواطنان من بلد واحد، وقد يكونان صديقي، فكيف يح  
 أن يتحدث أحدهما إلى الآخر؟ كيف يجمعها من الخروج إلى السوق،  
 إلى البركة، إلى المقهى، رى المطعم معاً؟ حين يصير لك رأسال يا  
 يديم سراط هناك، في أباء المصادق أما الآن ذات محكوم جيش  
 محكمك، ويريدك أن تربط في الـ «أم كي» .. وها أنت فيها  
 ادخل ردى اشرب فهو، راقب الباب، اصبح عيبك وأدسك،  
 وحين تصل جوجا اشرب معها قحاً من البيرة.. وتكون، ما  
 دامت معك، محبة للنظر انهم أن يصح الله عيبك بربون على  
 ربون يحمل سبلاً طيباً، ويريد أن يعق، أن يستمع ويسوق.

دخل المقهى حذراً، كانت النباتات المحصر، في السكك قرب  
 الجدران الزجاجية، وفي أنه أشبه بالبراسيل، تحيط المقهى جواً

ربحياً، ياقص والسطوع العصبي، لحرارة غير مأنوه، في الخارج  
 وكاست اللوائد، والكراشي، ورجاجت المشروب، وشراشع  
 الطاولات، كلها تحيط انطاعاً حنواً، مه عطة، لكن يديم ما كان  
 قادراً أن يسط، كان الملاصق الخارجى لقلبه قد بدأ يكتس،  
 الرقص الداخلي، ثمينة القدرة، والاضطرار الخارجى، للمهمة  
 دانيا، للسلطة التي اندمع إليها، وكل الوصاعه المتولدة عن مهنة  
 ينحة، تحبّر كبد، تريد سواداً حتى يصبح، يوماً بعد آخر، صحنه  
 قذت من ليل

جلس في زاوية مقابل الباب، أحس أنه عاهر، وأن جنته، في  
 ترصد زبون ما زال مجهولاً، جلسة عاهرة، وتقى أن تأتي جوجا  
 سرعة، شريكته في العهر، ليجد فيها صورة لعمه، ويتخلص من  
 وحدته، من وحشه المؤيرة بإحساس مهين إلى درجة اللصبة لكنه،  
 وهو فارص شموه بادل هذا لمح رجلاً يدخل انهم يوقف الرجل  
 عبد السب، يطع في الجهات الأربع للمقهى، واعمه إلى طوله في  
 الراويه

ارتشخ فديم للمصادقة الحميدة. ها هو ربون، ربون معر كما  
 يبدو من وجاهته. إنه صيده المصطر، عليه أن يراقبه من بعد،  
 يترئث في النهوض والدوران حوله، ربما كان على موعد مع أحد  
 الطلاب، حديثه تصبح مهنته أصعب مما المحط فإنه لن يجرؤ،  
 أمام طالب يدرس متفه في بودايت، أن يعرض خدماته بشكل  
 سار إمتدت يده إلى اللواعة أسسها بأصابع متوترة أعماها في  
 جبه، انظر قليلاً. لم تأت أحد، ظل الرجل وحيداً، ينص  
 متملاً، مرّ أمامه دون أن يتوقف، تعرض فيه، إنه سوري أو  
 لبناني، هذا ما استنتجه من هشه غاب دقائق ورجع، كانت الآن

سكارة في يده اقترب من الطاولة متردداً وحين رآه الرجل وبيده  
سكارة، حسب أنه يطلب ولعة. دنا وقد وضع السكارة في صه  
قال بالعربية

- ممواً لا أحل كبيرتاً.

قال الرجل وهو يشل له السكارة.

- بمحل

أصاف:

- هل أنت عربي؟

- نعم، عربي من سورية، أدرس في الجبر.. وأنت؟

- من سورية أيضاً.

- تشرعاً.. قلني حق لراك.. يا دجلة الوطن..

- أصاف: هل من خدمة؟

قال الرجل:

- شكراً.. تفصل إجلس.. [شرب القهوة معي..

جلس.. شرب القهوة تحدث عن هودايت، امتدح ما فيها من  
أشياء جميلة، بالغ في المدح، وفي ذكر الأماكن التي يمكن أن يروها  
السائح.. ثم سأله

- تريد أن تسوق ولا شيء..

فكر كرم قبل أن يجيب

- أريد طبعاً. هل هناك أشياء جيدة يشتريها الزائر؟

- هناك أشياء كثيرة.. مصنوعات يدوية، خشبية، ومعديّة،

مذكرات، أقنعه و

- ماذا أيضاً.

- اللوز. حرو المبرون. إنه رخيص، يصف عنه في العرب..

- وبأية عملة أدمع؟

- بالعملة الجبرية

أصاف

أستطيع أن أخدمك في هذا المجال

سأل كرم.

- أخدمني بأي شيء؟ بالترجة؟

قال ندج

- بالترجة وتبديل العملة؟

نفس كرم في وجه الشاب، دق أكثر، نظر إلى ثيابه، وعدد  
تذكر الشاب الذي رآه يدخل باب البناية في باسرورواوسا ويبيده  
حقيبة كبيرة قال.

- لكسي إذا أردت شراء العراء، احتاج إلى مبلغ كبير

- المبلغ، مهما يكن كبيراً.. موجود.. إني مستعد.. قال كرم

في نفسه: «هذا واحد سهم..» وبتروم وسخط، سأله

- ندم هذه الخدمة في أم للجميع؟ سمعت عن الذين يحصلون في

السوق السوداء، وهم يواحدكم في كل فندق ومبنى، وفي هذا

المنفى بالذات، لكسي ما كنت أوقع أن يتعاطى طالب سوري هذه

الخدمة ألا تعمل مع محمد حميش؟

- ومن هو حميش هذا؟

تتعامل؟ فهمي بهمه وتتعامل؟

- وماذا أصعل؟ أنا محتاج

والمسح؟

- لا تكفي

- كيف تكفي الآخرين؟



- العربي لا يستطيع تقدير وضعها - هذا البلد الناعم،  
ماذا أفعل ؟ أودّ جمع أجرة الشعر للفرار إلى العرب  
قال كرم ساخراً

- هكذا إدو! تشرب من البئر ويرمي فيه حجراً - نسمة  
أبهاً ، وربما تتجسس عليه .. اسمع أنت قدير ، ولو لم تكن عربياً ،  
وسورياً على الأحص ، لمصب عندك وسلمك للبولس ألا تخجل  
من هذا السبوت ؟ ها - انهم عن هذه الدولة أخرج من المعنى  
كله ، لا أريد أن أرى هذا الوجه غاميه

وقف نديم والعرق يبلل جبينه .. لقد صادف أناشاً رفضوا  
عربه مراراً ، لكنهم لم يرفعوه عن هذا النحو الذي يتكلم ليس  
زائراً عادياً ، ليس سائعاً ، لا بد أنه صديق للمجر ويعرفها جيداً  
لا بأس .. إنها بداية سيئة .. ليخرج قللاً .. ليتوارى ثم ليبتعد ، حين  
يصرف

طاف في المارات القريبة ، أحس أن الرجل صعبه ، وكله على  
قده .. لم يحش في سره ، مهمة المهرب كمهمة القواد .. عار .. إنه  
مهرب بالعار طالب جامعي ومهرب ؟ اما كان من الأفضل لو  
درس علم وحصل على مهاده وعاد ؟ - أنه حياته ؟ كيف يسر  
فيها ؟ وهذه الكعبة من النمود في حبيبته وحبيب سرته - يعود إلى  
حيث ويلبسها في وجهه ؟ يقول له - أنا أقلمت عن العن منك  
بموجب ؟ ولكنه مقيم لحيش ، وقبلة الجامعة صامت .. إذا لم  
يسخ له حيش في التمهيد طرد من الجبر .. يا لها من ورطة ! إنه  
يعوض في مستمع متى

حين عاد إلى المعنى كان كرم قد انصرف ، كانت جوجا هناك ،  
تجلس وحدها على طاولة تراقب منها المارة على الرصيف اقرب

وحكاها - جلس صائماً ، كان يضع ذلّه ، كان عاجزاً عن « العمل »  
هذا اليوم ، لكن جوجا أخبرتة أنها بانتظار ربيون عربي من لبنان ،  
وأنة يريد تبديل كعبة من الدولارات بعلمه بحرية ، قالت إنها  
مساهمة مع جيش على كل شيء - وحالاً يأتي الربون يدهسون  
ثلاثتهم إلى عرضها

لم يقل نديم شيئاً ، ظل واجباً مرتبكاً ، مسكراً سألته جوجا عما  
إذا كان حادث ما قد وقع له ، أو أن أحداً يراقبه ، فأجاب سلباً  
طلبت له فصاحتاً من الفموة ، وراحت تسري منه بانتظار الربون  
الموهود ، الذي تأخر قليلاً

حوالي الظهر كانوا ثلاثة يمشون في هذه تقاطع شارع ليس مع  
شارع الجمهورية

قام نديم بدور الترجان بين جوجا وصاحبها ، لم يقل له هذا  
شيئاً ، لكنه عامله كفؤاد - كانت نظراته إليه تطوي على احضار  
أعصى نديم على هذه للعاطلة ، أشرق وهو يسير ، وعند تقاطع  
الشارحين ركبوا سيارة أجرة انطلقت بهم إلى حي قدم في  
بودابست .. وهناك صعدوا درجاً ممّتا ، فلما اسهوا إلى غرفة في  
الطابق الثالث ، تقدمت جوجا وفتحت الباب ، فتأخر حتى دخلا ،  
ونقلت حواليه ، وأطل من بسطة الدرج ليري ما إذا كان ثمة من  
يراقبهم

كان بيت جوجا مؤلفاً من غرفة ، ومجد صغير ، ضيق ، يهوى مذم  
الصالون ، وكان الربون تاجراً للأجود ، في الأربعينات ، واسمه  
مصطفى كان صمغلاً ، وكان مثلياً ، ولا يصدق أن جوجا وصل إلى  
دراخيه - لكن هذه لم تكن مستعجبه خلف جاكها الصبيبة

فاندفع إليها وعاندها لم ترخص قلبه بدورها ولا طلب منها أن  
تخف أكثر فعدت بقيت بالثمنه، وجلسا على خوض، أمامه  
طاولة واطنه، وقام نديم بخدمتها جنب عليا، كما طلت حوجا،  
رجاحة بيد مسح بعض المملات حل بعض ما في التلاجة من طعام،  
وعندئذ دعه جوجا، التي كانت تحس في حصى ربوبها لأن، عارية  
المحصى، أن يشرب كأساً معها تكلم معها بالجرية قال إنه يريد  
تبدل المئنة للرجل ولا يصراي سأله كم يحمل من المورسات فلم  
يجبها صراحة قالت إنها تريد صنماً كبيراً، وأنها تغطي نفسها  
مقابل ذلك دون أن تحده وقتاً

ترجم نديم ما قالت له طلب منه أن يدفع مبلغاً، لكن مصطفى  
كان يريد أن يصاحبه أولاً وعد أن يدفع أي مبلغ تطلبه إذا  
كانت لطيفة وأرضيه قالت لنديم انتظري إذن، سأجعله يدفع  
كثيراً، ثم دخلت غرفة النوم، ودخل مصطفى وراءها، وأعلنا  
الباب بقي نديم في الخارج بقي في وضع قواء وجلسته كان  
يسمع كان يسمع بالعار والعار ويسمى أن ينهي كل شيء  
بسرعة ولم تحصى أميته، فقد طالت العملية الحسنة، وكانت  
جوجا تنصرف بغير حياء تتأوه، تصرخ، تصيحك صوب حال،  
وتنص في إرضاء ربوبها، غير أنه نديم الذي تعرف أنه خارج  
الباب، وربما كان يظن من قلبه لكن نديم ظل جالساً لا يحس بلدة  
القواء التي حدثها عنه جيش

أخيراً صبح الباب خرج جوجا عارية غاماً عبرته وهي تمر  
به في طريقها إلى الحمام بقي الرجل في الداخل يرتدي ثيابه،  
تس نديم الصعداء اقتربت اللحظة التي تبدأ فيها مهمته بتدليل  
المحود لكن جوجا، حين عاد إلى الجلوس على الخوض، طلت

أخرتها دولارات قبضت ٢٠٠ دولار كان مبلغ كبير، لم يحس  
علي مثله من أيها ربوبها، لكن مصطفى كان راضياً، لقد أسعته  
جوجا، وسألها، بواسطه نديم، عما إذا كانت تستقبله مساء أيضاً،  
وأن ترخصي بقضاء الليل معه، عقلت وهي تصيحك  
- أوكي.. أنا وهي اشاركك مادمت تدفع جيداً..

أصاحت

- طدفع إلى نديم شيئاً ما .

مدفع، وسأله «ألا تريد تبديل دولارانك بمورسات ٢٠٠ يجب  
أن تكون معك حصة جرية، أود الشكر معك الليلة، في أحد  
المطاعم، وبعد ذلك تأتي معاً لنارس الحب ها هـ

سأل

- ومن يبدل لي؟

- أسأل نديم . أطلب منه أن يساعدك .

قال الرجل

- هوذي تبديل كمية من الدولارات . هل تساعدني في ذلك يا

نديم؟

- لا أعرف من يقوم بد النصب لكنني، لأجل خاطر،

مسحت أن أقوم بخدمتك بسعي ظني أنني أحسن مطلقاً يكفي كم

تريد ٢٠٠

- كم تدفع مقابل الدولار؟

- ٣٥ قورنتاً

كان مصطفى يعرف، ما سمع، أن الدولار يساوي ٤٠ قورنتا في  
السوق السوداء، فكس نديم أصراً على ٣٥ قورنتاً فقط مرفض الرجل  
التبديل، وبعد مساومة دفع نديم ٣٨ قورنتاً، وأخرج من حقيبته

وجيب سترته كبة كبيرة من فئة المنة هورمت، وراح يمدّ، والرجل يمدّ معه فلما بلغ النصف حشرة آلاف هورمت، قال

- كفى، لا أحتاج أكثر..

- ولكنك ستحتاج لدفع حساب الفصدق، والمطعم - وشراء الخدايا، ولن تجد بسهولة من يخدمك حتى.. في بودابست مرو جيد فرو الفيزيون، فنه مصاعب في الخارج - أنصحك - تسلط أن تبيع نصف له.. وستكون السيدة روجيك ضرورية جداً بجهة كهده نو تحدثها لها

- ولم تقدر لمن مضط المرو؟

- لا أدري.. قد يصل إلى عشرين ألف هورمت. لكنه لحمة، لحمة نادرة يا عم مصطفى.. أنا مستعد لخدمتك في شرائه أيضاً  
تفرّس هذا في وجه نديم الذي لاح فيه الترة الآن. وقال ساعراً

- قواد تريد أن تشلّحي فلوسي كلها؟ أخذت أجرة القوادة وعمرى تبديل العملة، وتريد أن تخدعي في مسألة القرو - تحب أسى أجهن معاصدك؟ قلت لك إسى ناجر أحسن معنى هذا أسى أعرف لحر، ولي فيها عملاء ولا علاقه لي بالقرو إسى لا أفهم فيه.. هيا.. اجع فلوسك وانصرف.. دمي وجوجا وحيدى

- أأ لا أسبح لك

صاح مصطفى محمداً

- اخرس!

بيدلت محه مديج بدلاً كاملاً اصعب اخرب أدناه

وحدتها - يس الكلام على شفيه فكر لحظة في العراق لكن مصطفى كان يسره بطرأته أحدثت تقوياً في جده لم يذب من الخجل ما كان مأدّه عاتقه لندوبان لكنه شتم بكبراً جديداً، تعامل مع جسده داخل جلده طلّت كلمة «قواد» ترنّ في أذنيه، وبقي يحاول ابتلاعها دقائق، فلما انصرف عنه مصطفى إلى تمبيل جوجا، وجد فرصته ليجمع ما دمه له، وما تسقى من عمله المجرية المناء على الطوبة، وحين وضع كل أشدنه في جيوب سريره، بهى حاملاً خنفة ألد وقال لجوجا

أأ راحب

عبر أنه، قبل أن يهبطى العسة، سأط

- سيكونى معموله اللبنة؟

- لا أدري

- حشّى قال

- ماذا قال؟ وصحكت بفجور..

أجأها

- لا شيء - لا شيء

أعلى الباب وراهه صعدراً على السلم الحجري، وهو يتسّس ارتياحاً. فقد كسب اليوم شيئاً ما، شيئاً حرراً، لكنه، فجأة، تسرّ.. استدأر ليرجع، فإذا رجل الأمن يصيح به

- لا تتحرك

حاول النمر لكن فوهة مدس ضغطت على ظهره، وقال له

رجل أمن آخر

- هيا معاً

- إلى أين؟

وقال في نفسه : «علما حيث مقي؟» غير أن حيث كان قد سبقه إلى دائرة الوليس أيضاً ، وبعد قليل دخلت حوجا التي تبص عليها وعلى مصطفى ، وبقي الثلاثة وهي التوقيف إلا حوجا ضد أخرجت من باب خفي.. وقال لها رئيس القسم

- لمبت دورك بشكل جيد.. مطلوبانك كانت صحيحة.. من أجل ذلك مدعك ذهبي لكن حذر من المزاوعة لا نسي أنك تحت المراقبة أيضاً.. وأنت طعم في صبارك وقالت وهي تتناول حنينة يدها وتصرف - أعرف كل شيء وأحفظ كل شيء - إني بحريه مخفية ، بحرية طيبة ، برغم سميتي المينة

مادت بيروشكا من حريتها ، أحضرت له معها بعض المواكع والرموز ، سأله كيف أمضى الأيام في عياد من جاء ربه؟ إلى أين ذهب؟ من قابل؟ كات البشارة تنبع منها شعرها فقط يحتاج إلى تبريح لكه ، في النمر الذي صار إليه ، بدأ أخاداً أكثر هو لا يبل إلى الأشياء المصنوعة يبع بالطيبة ، يس في الطيبة ، هو مصقول وحبة الكائنات ، في الصورة التي أعطيت لها ، في الشكل الذي المحدثه ، في النجير البدائي ، كات معه ، وكان على مكتبه ، قتال من خشب ، أحفظ بكل الصفات الطيبية لشجرة التي صُنع منها وبعد ارتاح إلى بيروشكا ، لخصتين بارزتين صبي ، الطيبة والدهش جمها ، مع هاتين الميرتين ، يطفي تأثيراً أكبر ، يخلق اطمعاً مأها لا تعتمد ، لا سمي ، لا نكلف ، في السوك والكلام والاحباب ، وأنها ، حين لحب ، يكون صها نابعا من قلب بريه ، تعدله بمر تردد ، بفر حساب ، كأنه المجره التي حسنت دائب ، وأنها ، في استجابها لهذه المجره ، تصرف بدموية كاملة

لم يقل لها إنه استقبل روريكا هي لا تعرف روريكا ، ولا سب يدعو للكلام صها ، ما دامت تحملها قصتها صارت من الماضي لقد قرأ ألا يراها بعد ، ولا يسقبلها ، وسيطر للارمان فيراتنس (دا

حينئذ عجب ، أو جزب أن يكون أداة اتصال بينها ، كذلك لم يقل إنه ذهب إلى ايروككا . انتهت العلاقة بهذه أيضاً ، انعد ، بمع كلام ، على إيهاء ما بينها ، هو أن جسي بياحتها ، صداقتها ، عاطفتها السبله ، قدرها على العادي إلى الأعماق ، كلها لحصته عن أرمه ، لكنه لن يذهب إليها ، وإذا ما اتصلت به بعد العودة من السفر فيكون ليقاً ، وسخندر بأدب ، ويقول لها صراحة إن له صديقه ، ويده يريد أن يخلص لها كل شيء كان حصاً حتى الآن ، فليس يعرفهم من النساء ، أعطته انطاعاً جدياً عن المرأة المحررة ، هذه التي تنصرف بحرية ، باستقلال ، يردده في أن يحب ، صادق ، غارس الجنس ، دون رخص وفي جو صحي ، جو اجتماعي له من أوروبا هذه المحررة في النعاس ، لكنه يهتق عجا في أن الحرية الهارسة عجب لا يبدل وبيع لحد ، والموس بالمر ، تحب أية دربه ، ومنها كانت الظروف وليس معنى هذا أن بودابست ليس فيها فتاة تضم على مصروف معبر ، لكن عدد الدواقي بين الارباب لليال خذل ، وعدد الصداق قل في يده ، في عاصبه ، كاتب قبل التحرير ، كما قال ألبوش ، تضم ثلث الأكراف من المهارات والمسولين .

شاولا المدا في يدي الصحفي القريب ، كان حذراً وهو يدخله ، لشموه العصي على القهر ، بأنه كهن ، وصديقه شابة صغيرة . خلافاً لذلك كانت بيروشكا مرهوة ، واحدة في أن تعرض صديقتها للكاتب ، وأن تفاخر به . وقد أكتسبها هذا الإحساس حاله من النوب ، وصحى على تصرفها مرحاً رائداً ، وجاراً في أن تحول هي طيب الشرب والطعام ، وأن تمرب منه حتى يكاد يخلص به ، وتأخذ هذه أدم كل من حولها ، غير هابيه ولا مقصده

وخلال الطعام ، سألتها عن القرية ، عن الريف المجري ، عن الحياة

هالك ، الحياة التي لا بد أن تختلف كثيراً عنها في المدينة ، في العاصه خاصة . قال إنه لاحظ ، وهو قادم إلى بودابست في المطار ، أن الريف المجري جبل جداً ، ونظيف ، وعلى درجة من الرقي لم يرها في الأرياف الأخرى ، وسألتها عما إذا كان هذا صحيحاً ، وأن الريف قد تطور بعد التحرير ، وكيف تجري عملية الإسّاج ، والنماوس ، والنطس الاشتراكي في الراحه . وقد أجابته عن كل ذلك بصدق ، لم يعط صورة كاملة ، لا نقص عنها ولا عيب ، بكها صورة سرقة ، فساء إلى ادمي يوم كان الفلاح أجير ، لا يملك أرضاً ولا بيتاً ، وكان الريف فقيراً ، بائساً ، مسحناً أيضاً

ثم صحتت وهي تقول

- انتبه يا كرم لا أريد أن أعشك إني أنكتم من موقع الإيجاب ، أعني من وجهة نظر مؤيدة ، فأنا ، كما ينبغي أن تعرف ، مصوب في التنبيه ، ووالدي ، فني ، كان في الحرب ، ومن مباحثي الريف الندامي

قال كرم صاحكاً أيضاً

شهادتك ، إدي ، مطعون صبي

- أنا أخوتك الصديق ، ويقدّر ما أعرف ، ولك أن تأخذ كلامي على الوجه الذي تريد . ولقد أن الأوان لأن تعرف أفكارني ، وأسل ألا عجب ، إذا كانت لك أفكار معاكسة - أفكار معاكسة تماماً ، أنا إقطاعي ، ولا أريد أية كلمة عن المبدأ

قاله وصحتت . شرب نخب بيروشكا بأعسارها رقيقة فكر ، فوق أنها صديقة ودة ، في هذه اللحظة ، أن تكون أقرب إليه أن يجربها كي يحتملها ويسرّوجها

قالت ميروشكا

- أن لا أقصد أنك إقطاعي، أو عدو للتقدم. وإلا فما الذي جعلك إلى المصير؟

- ومحتني؟

- هذا كثر تقاي. الحاجة ليست ضد التقدم بل معه. ثم ماذا يعني هذا؟ نحن أيضاً، في الحضر، بملك الفرد بيتاً أنيقاً، وسيارة وقد نكون له مئلاً ربيعاً، وقطعة أرض لأبجد الحضر، يستطيع أن يبعده للمساهكين المحكومة لا يدخل في هذا الأمر

- كم هو جيل أن يتحقق الحلم يا ميروشكا  
- أي حلم تقصد؟

- حلم الحياة.. حياتنا هناك، في الوطن..  
- أب؟

- نعم. وإلا لماذا هذه العربة؟ لماذا هذا السرور؟  
- اسبح لي، في هذه الحال، أن أشرب نخباً كبيراً.

كان كرم

- بوذي لو ذهب إلى الريف معك ولكن ماذا يقول والدك؟  
- لا شيء.. وسيكون مسروراً أن يعرف أنك تشاركه أفكاره  
- لا شك أنه سعيد الآن..

- ليس تماماً. يقول إن السعادة تتكامل في المستقبل  
سعادته، الآن، في البقاء، في التسريح لنوع هذا السحيل..  
- هل تعدب كثيراً في حياته؟

- كثيراً. انترك، أيضاً، في مقاومة للتاريخ المصلي.. وبعد ذلك ناصر له النواصب الزراعية ولكن تعدب لأجلها كما يعمل للأبداء، ويألم كثيراً

قال كرم مستعزياً

- يا إلهي يكون التحرير ويظل الألم قائماً؟

- والذي يقول إنه تعدب بعد التحرير أصحاف ما تعدب قبله  
كان إنشاء النواصب صعباً جداً، فالملاح الذي حصل على قطعة أرض بعد اسطار طويل، حرض، في البدء، على الاحتفاظ بها  
- وهذا حق

- لكن والذي يقول ليس من مصنعه. لا بد أن يعض إلى الحياة النواصبية، وقد رفض الملاحون ذلك، مقام الدين من أمثال والذي. بإنشاء نواصبية، اقتنع، ثلاث، وبعد التجربة أدرك الملاحون أن العمل النواصي أكثر فائدة وأفضل مردوداً. وهكذا انصب التوجه في البدء كانت الحكومة بدعوتهم للانضمام إلى النواصب، وبعد ذلك صاروا يملكون عليها بكثرة، وصارت الدولة تعتمد وترجوهم أن ينتظروا قليلاً..

قالتا وهنمت

- ولكن كفى. لماذا هذا الإلحاح في طلب النواصب، هل تنوي كتابة بحث عن المسألة الزراعية..  
- طبعاً لا.. لكني كنت أحسب أن الأمور استقامت بعد التحرير مباشرة

- بعد التحرير كان كل شيء سيئاً جداً كان ألقاصاً ثم جاءت الثورة المضادة، وأنت سمعت بها ولا شك  
- سمعت. حدثني أليوش

- إذن أنت فن تكرهني بسبب أفكارك  
- بالعكس.. كان بوذي أن أحبك  
- ولكنك تحمي.. أليس كذلك؟

- أحبك أن أعني حياً آخر - مثل حب روميو وجولييت -

- أنا لا أنسى مصيرها

- ولا أن - هيّا نصرف.. لدينا شهرة في النساء.. سبت أن

القوم هو السبت؟

- لا أحبّ البت بسب هذه السمات.. تذكر الصورة

لما صيد؟

- أذكر هربك يا طفلي الصغيرة

- هل ستأتي أخرجك الليلة أيضاً؟

- أخرجك لي تأتي.. لن تأتي مطلقاً

- والنساء الأخريات

- بكل امرأة صديقي

- وأنت؟

صديقك فقط

- لا أصدق أحسن أن يك علاقت أخرى هذا لصحب

اللعين

- سرته إلى جهنم

- بل بعدة إلى المصاديق يا حسي

- سمكر في هذا ممحلاً

في الب أعدت لها صفحاً من ميموه كانت الميموه مائمه  
شربتها بتلده، لكنها رفضت التذوق، بكرم وحده دحى بهم. كان  
الراب يريد في شراعه إلى البكاره، وكانت يروشكا تراقه  
منمقة، لحاب على رقبته.. قال لها: «لا تخافي - لن أعيش طويلاً،  
ولا أريد ذلك - لست يائساً، ولكن لا أريد أن أصبح محوراً -  
«تخاف الشيخوخة؟» - كنت الشخوخه، بل مطاردة الحباة. حتى

الآن، أنا من يطارده، ولا أريد أن تتبادل الأدوار - ماذا تخشى؟

- لا شيء.. ولكنني أرتعب.. في وقت ما، أن أكون للحياة وداعاً أن

أقول لها شكرًا - اسبب ندورة - يا حسي - يا كرمي العزيز

أيه أفكار يطوي عليها هذا الرأس الجسل؟ أنت لا تقوى هذا،

لتحرمي.. ليس كذلك؟ أريدك، الآن، صديقاً، أريدك أن

عني، أن تقتلي، وأن تارس معي المجلس.. ربي يشوق إليك

أنت تعرف ذلك.. صحت أيام ولم أوك.. كنت، في القرية، أذكر

بك - أعمل ذلك في النهار، وفي الليل، وحين أسلم في البرش،

كان القوم يحضوني.. لماذا، يا حبيبي، أنا مجنونة بك إلى حد

الحد؟

قال كرم

- أنت مجنونة لأنيك غير مأرومة..

- كلامك مبهم.. أوضح إذا أردت

- لا أستطيع.. بل لا أقدر - أنت لست متفدة، هذا ما أردت

قوله

- وأنت؟

- لشككم في شيء آخر.. ما رأيك، بديل من الوسكي.

- أنت لا تريدني سكرى

- أريدك، كما أريد نفسي، خارج دائرة التمكير الممنوع.. لقد

تكلسا، في النادي، يا بكمي.. عندما يصير خبيرين في الزراعة

الآن، ينبغي أن يضع التمكير جانباً - لا أبون بساء - نحن لا

سبي، ويجب ألا سبي، لكن شاعرنا قال - بكل أمر و حبه

حطبه - أي مستطج أن سكم، وحتى أن نخطب، حول أي

موضوع، في وقت هذا الموضوع. أما الآن، وأنت تدي، في بيتي،

ماريدك أن تكوني غير ما كنت في النادي، ولهذا أقترح أن شرب  
فناً، مثلاً جداً، مادام في انسجام مع أنف.  
- أب رائع يا كرم، يا حبيبي، أنا لم أكن أعرف أنك إيمان  
بهذا الشكل

- الآن هرفت. لا أريد أن أسقط هذه المعرفة. ألقها،  
بالسنة إي، أن تكون مثلاً في وجداني، لكنني صادق مع نفسي،  
الآن، يا بيروشكا، صرت عريضة أكثر، عريضة إلى درجة تعرض علي  
أن أكتب عن علاقتي بك، هذه العلاقة لن تستمر أبداً  
- ولماذا لن تستمر أبداً؟ أمت لا تحاول تخويي، أليس كذلك؟  
أنت لن تستعمل عني. قل إني لن تستعمل

- أمسي ذلك ونكي امطري، والدث يسي بحسبه، وأنا، هل  
أكون جديراً بحبك، إذا عنت في جميع لم أسهم في بائه أنا أيضاً  
يجب أن أبقى بحسبي، ونكي متى؟ هذا ما أجهده الآن، لكنني،  
بكل تأكيد، سأفعل. ولأني سأفعل من علاقتي بك، في الصدق  
الذي أريده، لا يمكن أن يفسد أنا من أرضي بأن أخدع أحداً،  
وخاطبه بيروشكا. سدع هذا اللغو، فهو سابق لأوانه يريدني شيئاً  
من أموسمي؟

- أريد بالطبع، كما أريد حواء رومانية. كالدي كان، في تلك  
السيرة التي عرفت منها لفرخ الناصر، يملأ الباب، مثل  
الأصواء المونة، شربة، شربة، دون أن تحسب حساباً لأحد.  
يعيش لحظتها كاملة.. مواهي؟

- تصرفي كما تشاءين

بصرام، أعلقت الباب بالمصباح أعلقت الناعمة. أعلقت

الأصواء اللونة، انتفت ما تريد من التوسقي وحامت إليه قائده  
«الآن أنا لك، أحملني ما تريد، خذ روحي، فتح مجدي، بكل  
جدي. كن لطيفاً أو عيباً، بل كن عيباً أرجوك أريد أن  
أموت، أن أموت في هذه اللحظة، ودون أنف على شيء».

شرباً.. شرباً أكثر. قال في نفسه: «يا صديقي هيدجي» عندما  
مثلاً أفتت كنت صادقاً، الذي عندكم ليس عبد غيركم، عندكم  
الأساء تحنو في الأرض الناس، السند، الطعام، والنساء، كل شيء، غيره في  
هذا الكون، «عندنا مثلاً أشهد، أنني كنت عندكم ورأيت..  
أبرجكا كانت رائحة. كانت غائبة، كانت إنسانة، وحتى بيروشكا،  
المشردة، كان لبردها قشراً، أما قلبها فكان بالقوة. وبيروشكا  
هذه بيروشكا التي كانت تحب أن يفتق بسبب الأفكار عذرت  
الأفكار ما يسا. وديراس اللعين، هذه البارمان الرائع أوصاني  
ألا أكون عجباً. ولكن يا صديقي، كل سائكم، كل ماء الدب،  
تريد من الرجل أن يكون عجباً ماداً إذن تريد أن تحمل مني  
حسراً لطفاً؟

خلعت بيروشكا مثرباً، خلعت بلورتها أيضاً، بأن الكتان،  
نانت رمانا الكتان، بأن الصدر، بوهج البياض الموردة، وقع  
الطر على جري النور، عند المدينتين الباهتين، عند الدروني  
الأعني في الدري تشقى اللب النسي، صرخ، من الصق، صوت  
عندى يشهوه جراه: «فتني» لم تكن، هي، تسبح ما يصدر من  
المنى من هتاف، كانت مصدر الحثاف، كانت الأداء، وكان هو  
النسي، وكانت تحمل ما يسمي، في تلك اللحظات التي يومض فيها  
شوق مجنون، ويوف كضائر البار في كل مرة، كل بقعة، كل صدم،  
في الجسد الفتى، الناضج، كخوخة صمراء تنادي كلوي!



رعبت أن عصي في إلقاء ما عليها من ثياب، قطعه قطعه  
أومها .. لا تعرضي كثرث الثياب دمة واحدة .. قال لها في راحة  
المجد اليهودي يوم جدار .. في مدخل هذا البيت توجد ستاره أن  
يرال الجدار، أن تسقط السارة، تصحى المصن كل المصن، يحدث  
املاء مدجن .. شبح يطاس البدوع في السح الجحيمي لا، ليس  
هذا ما يجب اعرضي، هذا الجاه، جرداً جرداً، دعي النظر  
يوسف طانه المصوم، وهو يمدح، بسرعة برق، بين اليهودي وعرض  
الرؤية غنهي، أرجوك، عند التمر، الجني، السنين، المص، منك  
الأررار، يهولي الكتمين، وبعد ذلك، أنهي له أن يسقط قنلاً  
فليلا، من الصدر إلى السرة، إلى الخوص، إلى المودين الككنسين  
السنين يرتكر عليها، إلى المصدين المديري، والساقين،  
والمدسين، وهكذا يسنى الآخر، الناظر، التأمل، كل مكان اللدة  
التي تصح في الإهاب المص لا امرأة في ربيع المص

قالت يروشكا وقد سقط الشريط الليلكي من أحد كعبها  
- ولكن ما نقوله شعر  
- كلا، هذا نثر يعار من الشعر .. مهده ..  
- إذن أنت مهده يا كرم؟  
- جداً يا يروشكا، يا عديري، يا يروشكا، يا فتاتي الموه  
- ماذا أفعل أيضاً؟  
- لا شيء .. ابني هكذا .. لا تتحركي، لو تحركي، استديري،  
أقبل، أديري، دحيي أظفر، أنثني، وأشرب، أشرب حتى الخطب  
ميك ويسحب إلى عمامة بضاء  
- أم يدي  
- شيء من هذا

- هكذا مكسب؟

- لا، ليس هكذا أكسب بصورة رديئة أكسب مصي حروفاً،  
لكي، الآن، أكتبك كلاماً .. اجلسي.

جلست رفعت القمص من المصدين، هرعتها للنور قدمتها،  
على حافة الشراب، شرعني سمك أبيص، مكسب، يسبح عليه رداء  
متل، ماذا يقول المصدان الماريان للكأس العالم؟ كيف تبحر  
الرؤية على حلاصة البشرة اشربه ماء الورد؟ كيف يأتي الكأس  
ويستقر كرساً على سرير مودين من لحم؟

- لشرب يا يروشكا ..  
- ولكنك فكتر عن الشراب يا كرم .. أنت لحيي اليوم م تعد  
كرم الذي أهره ..  
- ماذا تغير في؟  
- عيبك  
- ماذا في عيب؟  
- لا أدري، شيء لامع، عجب .. له أسنان .. أسنان أحسها  
نشبت في لحمي .. ضحك كرم ..  
- الذي يمشي اللحم هو الفرش  
- في عيبك فرش إدن  
- احدي إدن .. قد يأكلك  
- يودي لو يعمل .. دعه يأكل مرة وإلى الأبد عندك  
أسرح  
- تبة أنت؟  
- ليس التعب الذي تعرفه عادة .. في شوي يهرق أعصابي ..  
- تريدني أن يهي؟

- ليس سرياً. أحب أن أبني هكذا. هذا القصر في جدي،  
وبعد الرعدة من هي فعل الثرب ؟  
- وشيء آخر

- ما هو ؟

- لا اسم له

- لا اسم له ؟ هل هناك أشياء لا أسماء لها ؟

- كل الأشياء التي نحسها بحق تبقى بلا أسماء.. الأسماء، يا  
بيروشكا، تحدد الأشياء، يجعلها كيف أقول ؟ هل هناك اسم  
للعظلة الكبرى ؟  
- أية لحظة ؟

- اللحظة التي يموت فيها دون أن يموت تلك التي تأتي بداهة  
وبهاية معاً ؟.

- كرم يا عزيزي أما لا أهم لا نكر سوربالاً فتلي،  
الأصل أن نعتني صعدك يكون النمبر مهموماً، يصح له اسم  
الدة. أليس كذلك ؟

بعض واحتواها فتكلموا في غفها، في صغها، في شغها، غصم  
فتح فيه كأنه يريد أن يأكل فيها المنحوق من أسان بصر، حيلة،  
سعة، غافت وأمدت فيها..

- أنت لك غرضاً يا كرم يدعرك أمك لك غرضاً

- كرم صار غرضاً أنت صيرته غرضاً

- كن لطيفاً دون أرجون

- لا تخاف، أحاول ملعب العرش، نكسي لا أبلغ ذلك أنا

لست إلا حيواناً ناطقاً مكباً

- أنت مجنون. لم أعرفك شهوانياً إلى هذه الدرجة. تخدي  
إلى الفراش.. طالع.. لا أطيق الصبر أكثر.

مررت قبصها، ساعدها في مرقع ما تنق. مع الخوان الذي  
أسبح إلى سرير.. استنقت عليه قطعة بشرية متبددة، مستعدة،  
مصححة، ومثلت تحت غابة من شعر خرموني، وقاجاً مخض، وبهتان  
ناهران، متاعدان، كأنها على جماء، رغم القرب والمبت (المشترك،  
وحلمتان وردتان، مثل كورتني في تباشير الصبح

- تعال! (صاحت) لم أعد أطيق الانتظار.. تخدي

- ألا تخافني ؟

- ليس قيل أن أموت. أما قلت إننا، الآن، ميموت.

- يا بيروشكا (قال لها وهو يدرعها) يا صغرتي بوذي أن

أكون لطيفاً ألا أجعلك ضالين هل تحسن مالم ؟ لا تصحني.

نحس في النهار.. عصتي على شعبك، تقبلي كما يسعي، هل كل

شيء على ما يرام ؟

- على ما يرام يا حبيبي.. على ما يرام تماماً.. أنت بارع

- أكنت خجراً.. ؟

- أحبك ولو كنت خجراً. أهكذا يفعل العجرا ؟ أهذا ما

يسونه معروفة عجيبة. ؟ اصط أكثر.. أريدك كلك. كلك لا

حب علي. لا أحب

- ولكنك تتسبي.. أهذا من أم.. ؟ احسي في أدبي ناومي في

أدبي. لا تصرخي، أرجوك.

ولم تستطع إلا أن تصرخ وتصاعدت، هل مدى دقاني،

عمماث مشرقة، ومرقوس شديدة الصلاة شديد الضراوة، عو بحري

مارة عصاة اللبس، وكامت حركة، حركة متواقة، ايدعية،

وقالت بالمرسية (الآن)، وظلت تردد الكلمة، يرفاع

مصارع، متبرع، إلى أن تقطع، وتتمتر، وبانثر حروفاً مساعد، لم

تلبث أن غفنت، وملاشت تدريجياً

كانت سيرة البيت موقفة، ضمت وجوهاً جديدة، أعطى السهرون أنفسهم للبهجة. حود نصر جبل منع الاحاط من الأعالي ردّد صياحه كلمة التليدية «مُحْكَم» وسجد جس أمام العود، وهو يتصاعد، أعلى فأعلى، في تفسح من سمع صمم عثوان كان يصيح «ياه! ياه! ياه!»، ويطرح برأسه بياً ويساراً، والدمع يهجر في مأكيه حياً إلى تبرير وألبوش المحجب بالمعدية المرسية لأعجة «أنت عسري» يصيح «جبل والله يا أخي، جبل» وخانة بحرية، فتتها لجزء الترفي، خلعت حدها وجلت أرضاً بعد ذلك عوا «يا بيتك اسكندرية» وقضاها ضياء بالتركية، ووقف وحنن «اسطبول؟ آمان جاتم، اسطبول مُحْكَم، بالله مُحْكَم» وعندما حرف بصير مطوعة رفعت «اهوام» لسامي الشوا، رفعت فتاة عربية، وأمرل جورج مصفا المبيع الأثرية وغدتها لها وعلا الصميق، وحنن اليوم

في خدام السيرة رفعت يروشكا العودة إلى الكلية. ظلت إنها مجارة أقسم أن هذه آخر ليلة نبيت فيها خارج الجامعة رصع كرم لثولاتها تفر، في نفسه، أن تكون هذه آخر سيرة محضرها أسمى الآن أكثر حرصاً عليها لعد وعد عبيد الكلية ألا يشعلها من

الدراسة. أن يمحليها على الانتظام، ويوقف انسيانها وراء نحو قد تدفع عنه عاماً دراسياً كاملاً راد في ثقته للواقع أنه عدداً صاحباً في الماشرة قائماً، سيصطحبها معه إلى قرية «كود» على الدايوب، قلعة لدموة ألبوش..

كانت يروشكا، في دروة ساداتها. لبيت، الليلة، دور سيدة البيت يلتقي. كان هادي، طوال الوقت، يمس في أدن كرم - أنظر كم هي أليمة - لن تستطيع الانفصال عن هذه المحبوبة وكان هج، ابوكل بالمطبخ، وصبط النظام، يكثر عن أبيه الكبيرة وهو يصحك - أنت، يا يروشكا، مثل رائع للفوضى.. لولا كرم شطينا لسك من اللانحة وجاءت إلى كرم عجنجة:

- هج يهذي  
- برج منك  
- أنت راحياً من صلي؟  
- كل الرضا. فقط لا تستهلكني «الجن» في صبح أنها طبق لعي، كما قلت في الماضي.  
- ولكن هادي يقول أطباقني فاعزة..  
- هو كذلك.. ولكن لا تجهدي نفسك.. دعي الأخريات يماونك

- لا أحتاج إلى معاونة.. ليس للأخريات علاقة بالمطبخ.  
- وما الضرر، يا عزيزي؟  
- أنت لا تعرف.. المصبة، إذا دخلت المطبخ، هدّت نفسها من أهل البيت.

- همت أنت نحاس  
- لا أخاف. ولكن لا أريد. لنحافظ على صراحة مع الجميع..  
هذا أفضل. أليس كذلك؟  
- هو كذلك. أنا لن أكون صديقاً لأحد سواك.. أنت صديقي  
الوحيدة. اخطئي

- ولن تعطي موعداً لأي واحدة من الموجودات؟  
- لن أعطي مواعيد بعد اليوم  
وقال هادي، الذي كان يرتاح ويستمع.  
- هذه الجسونة ستلحق بك إلى جحر ولى الواقع..

- سأضع حداً لجسوها، في الوقت المناسب..  
- أشك في أنك تستطيع..  
- أنت لا تعرف صادي، حين أعثرهم أمراً..  
- ولماذا نعتزم من عند الأمر؟ بادرأ ما رأيت امرأة بهذا  
الإخلاص.

قال كرم وهو يبر برأسه  
- هذا ما ينبغي ليها لم تكن غلصه، أوليسها لا معنى غلصه  
يا هادي..

هذه الكلمات الصادقة في أسعها، ظلت تنبش في دانه الليل  
كله وبعد، في الصباح، أفاق وهي نائمة، وادعه، اسماها من  
جديد. «لماذا يربكنا الآخرون بإخلاصهم الذي لا نطلبه؟» كان  
النهدن وهي مستلقية، قد وجدت مطلبها من التنبس الداخلي،  
بجانبه الرقيقين، والدانتلا ذات التناغم تستريح على الصدر  
والمضدي، كأنها لتمدبه، أكثر، لتمبر فيه رعة لا ترتوي، لكنها،

في نفس الإخلاص، سمعت شموراً أسيفاً، فهي رغبة محدودة بمدى  
الحسم، مسورة بالتهوة لا بالغلب العظيم  
أطروا جيداً، كانا جانبيين أخرج من الغرابة بلورة حريرية  
مشعولة بالألوان، وقال لها «هذه هدبة من النصف» تنفسها  
شاكرة. لكن سؤالاً داخلياً أزعجها: «لماذا يصغي لي عربة من  
محبه؟ أليس النصف لنا نحن الاثنين؟ كلها شعرت أن الهدبة يسا  
النصف، وأعادها بحركة، لفظة، زيادة، كأنها يريد أن يذكرني  
بالهدبة، الخفيفة التي تشعري بأنه لن يكون لي، أو لن يكون لي ذي  
الأند؟»

جاء ألبوش بيارته الصغيرة. قال إن عليهم أن ينصوا نهاراً  
كاملأ في العربة وأن هناك بعض الصيوف أيضاً، وأن الملا، أو  
الأرض الخاصة، التي يملكها والد زوجته، تقع على الدانوب  
مباشرة، وثمة بيت، وكوخ، وبستان، ويمكن أن يسبحوا في  
الدانوب، بل يجب أن يسبحوا، ولهذا يستحسن أخذ ثياب للسباحة.  
لكن هذه التاب لم تكن مسورة، ولا سبيل إلى شرائها واليوم  
أحد، فقال كرم:

- من جوتي يكمن أن أكون على مقربة من النهر هذه المرة.  
قال ألبوش:  
- بل يمكن أن نكون على سطحه. لديها قارب صغير. هل  
نحسن التحديق؟  
قالت بيروشكا:  
- أنا سأكون ضيقة.. لكنني أخاف التيار. هل هو سريع جداً،  
هناك؟  
- إذا مرنا النهر، ومصيبا مع النار، يعمل جودابست في ساحة

واحدة. الصعوبة تكمن في التصعيد، في الذهاب ضد التيار.

وقال كرم

- سرى كل شيء على الطنجة. لنمض

احترقت السيارة بهم قلب بودابست انتهت إلى الصواحي،  
مرت بأحواض بهاء الفس خرجت إلى القلاء.. كان اليوم  
صحو الشمس تلاحقهم دسه، والخمر، عن الجابس، والنبوت  
الريجة بفرميدها الأحمر، والساراب، والدراجات النارية كانت  
الدية تخرج من جلدتها، والباس يهيمون، من جهات غلظه، نحو  
الطنجة، والدائوب، من بين الطريق، يميل في مجراه المرمض،  
والس، صاعدة هابطة والسبحون، على الصفا، وليس تمرأوا،  
معرضين جلودهم للشمس، والاستراحات، على الجانبين - وض  
كرم نبي أن تحف السار، سرعها، أو أن يهرجلوا ويهروا  
لكن ألبوش صحك - دغ الروميسكية يا أحي هك  
بسطروا، ويسني ألا متأخر.

كانت قطعة الأرض الخاصة التي يملكونها مستطيلة، ضيقة  
ومسطحة. وحين دخل كرم من بابا المثل على الطريق، حسب  
أيا لا تزيد من عشرات من الأمتار طولا لكن الأرض كانت،  
بجلاف ما يبدو على واجتها، طويلة جداً، تنهي على صفة  
الدائوب، في منحدر ذي درج حجري، ومن حوافه الأشجار  
المنيرة وكانت ثم، في مواجهة هذه لمكة الخاصة، أرض واسعة،  
مرروعة بالبندورة كان الموسم في أوجه، وأقراص البندورة  
الحمره تتدلى، وتراعى على الأرض، دون أن يقطعها أحد قال  
البوش - هذه الأرض ستظل مشاعاً ليس من أيدي عامله لبطاها -

قال كرم

- كيف هذا ؟ أرض مرروعة وليس من يحياها ؟

- لا تعجب مئات الأنوف من أشجار الكرو، والبندق، تظل

دون قطاف.. سباحة لن يريد.. هذا بسبب نقص اليد العاملة

لم يصدق كرم وجد الكلام غريباً خضار، ثار، وليس من  
يحي ؟ كيف هذا ؟ لكنه، عندما دخل المرعة الصميرة، ووجد،  
عند بوابتها، شجرة ضخمة من التوت الأسود، والتمر يساقط على  
الأرض، عشي.

قال ألبوش

- هذا التمر يمتونه، بالمجرية - أهر -

تقدم أيضاً كان الشمس، الخوخ، الدراق، بلأ الأرض، تحت  
الأشجار. وقال ألبوش:

- عندما أهيأ، ليس من يقطع.

- لكنكم تزرعون.. من يروع يهصد..

- نحن لا نستطيع أن نجعل كل هذا التمر.. وهذه مشكلة..

رغب العم، والد الروجة، بكرم وبيروشكا كان في الداخل،  
أمام باحة البيت، صيوفه آخرون، وكانت الباحة تطل على  
الدائوب وكانت ثم، في الباحة، طاولة، وعليها رجايات البند،  
السيرة، السانكا ومن عادة المجرين، أن يملأوا صيغهم بالخمر  
وبالزهر وكانت في الحديقة، أنواع من الورود، ويذكر هديجي  
Cher Noun Par Example (عندنا مثلاً) وقال بيروشكا

- هل أنت سعيد يا كرم ؟

- جداً يا بيروشكا.. ما كنت أصدق.. ما رأيك في أن عمي

إلى الدائوب ؟

- أنا أفضل أن ندخل هذا الكوخ ، وهذا نكتشف ما فيه  
كان في الكوخ سرير - طاولة ، مرآة جدارية صغيرة .. أعلقت

الب

- قتلني

- ولكنهم هناك ، في الباحة  
- أمري إنيهم يندرون أبا صديقتك ومن حتى أن أحمل  
بك للناس حريتهم ، حتى في المدينة ، كيف إذن في الريف ؟  
فبأهلها مجلاً ، عائلته كان الرجل الشرقي في ثيابه صحكت  
بيروشكا ، لو لم الليبة هنا ، لأعطونا هذا الكوخ ما رأيك في أن  
تنام ؟

قال كرم

- لا أدري ، هذا ما نقرره في ما بعد .. لنخرج الآن .. أحسن  
هيونا لمحدثي في من الجدران ..

خرجنا لم نكن نه عرس كانت الأشجار ، المحصرة ، وكومة  
كبيرة من لأعشب والأحطاب كان الكوخ مسحلاً ، وكاننا  
قادرين ، على لمكوث فيه ، لكن كرم كان مريضاً من الجو ، ووجد  
اليوش يتحدث إلى صبيوه ، ولم يلتفت حتى عبيها ، فأخبطنا ،  
وحاول ، بغير شعور ، أن يبعد الرتبة عن نومه ، فقال :  
- ما أحل هذا الكوخ المصانع بين الأشجار

قال اليوش

- يمكن أن تخرجنا فيه بعد العشاء ..

- وهل يمكن هذا ؟

وصحك اليوش .

- لماذا لا يا أخي ؟ الناس في البحر ، لا يظفرون من ثقب  
الباب .. لا يراقب بعضهم بعضاً ، تصرف بحرية ، تريد لباساً  
لباحه ؟ ، هنا إلى الدانوب

كانت هناك ، على الساحل ، شجرة كبيرة قديمة ، جذورها في  
الصخرة ، وغصونها تمتد فوق الماء .. وكانت فيها أرجوحة ، وكان  
الناس يسيرون حفاة ، على حافة الماء ، فخلع حذاءه ، وضعت حذوه  
بيروشكا ، وسارا ، بينا توقف اليوش ، يظفر دوره لينأرجح  
قالت بيروشكا ، في نبرة غي :

- لبتك ، يا كرم ، كنت مبرياً

قال كرم :

- لن أقول لا ، ولن أقول نعم أيضاً . لست أسعاً ، ولا هارباً من  
المكان أو الرمان

- أما أنا فأسفة . لبتك نعم في البحر وينتهي الأمر . تنم لأجلي  
على الأقل

- كم كان هذا يودني يا بيروشكا . لكني لن أعمل هناك شيء  
يظفري

- وطنك ؟

- ونه آخر .. لا أدري ما هو . لكنه يظفري .. ومثقل  
حبابي ، صعدت ، إلى درجة خضرة

- نصير شخصية كبيرة ؟ مسؤولاً كبيراً ؟

- لا أفكر بهذا . ما أرهده شيء آخر ، بعيداً عن هذه  
النصوّرات أن أقول ما أريد أن أكتب أن أصبح كاتباً ربما  
هذا

- وماذا يتصك هذا ؟

- اجنوب.. أن أعطي عن عظمي قليلاً .

- ولكنك مجنون على نحو ما.. أعني لست ككثير الناس..

تصرفك وكأنك تبحث عن شيء .

- لكني لا أعرف ما هو هذا الشيء .

- أليس هذا جنوناً ؟

- قد يكون كذلك ، لكنه ، في المربة جنون عظيم .

- تر . يضر حدث ، في بلدك ؟

- لنضع هذا يا يروشكا .. في هذه اللحظة ، وهذا الدانوب .

ودلك الناس ، والكوخ والسرد في الكوخ ماذا يحتاج الإنسان

أكثر ؟

- أنت رومانتيكي لعني يا كرم ..

- كنت أظن أنني عكس ذلك .. سميت نفسي واقفياً .

- تصرفك يقترب من البوهيمية

- هذه قشرة خارجية من الداخل أناألم أعيش واقع المربة

بأعني ما تكون المربة .. أناألم وحيداً ، حاسماً

حدثها ، بعد ذلك ، عن الإيطالي الذي لم يبق له من عمل سوى

تدبير أمكة الظه ، ومن نلسون الذي يقرأ الماركسية في المربة

صبياً ، ويقرأها وهو يتشمس شتاءً ، ومن الناس الذين أصابتهم

المربة ، والذين ، في المربة ، لم يمت أحلاقهم ، وقال لها : لا أريد

لنمسي هذا المصير . يجب أن ينتهي هذا القرف كله ..

حين عاداء ظهراً ، إلى المروعة ، اقترح كرم أن يأكلوا على

الطريقة المنحوية لم يهتم المحاصرون ماذا يقصد قال لهم : ألوش

يريد أن نأكل لمأ شويأ في المرن أنا سأطعمكم لمأ شويأ خارج

المرن ، وكل ما أحسنه بعض الأسماك على لذيذكم أسماك ها ؟

دقال الجوش ، « لدينا في المروعة أسلاك ، تستطيع أن تصنع منها  
أسيخاً .. إذا كان عدا هو المطلوب .

صموا الأسماك . أتى كرم باللحم وقطعه إلى شقف صغيرة

أشعل ناراً ، ناراً كبيرة ، من حطب الشمس .. شك اللحم بالأسماك

أتى برجاجات البيرة والسيد قال : سأكل حول النار شوي

اللحم ، وحين يصبح منك السبخ من طرفه ، وبمضم اللحم منه ،

وتشرب من الرجاجات ، هذا ما يتوهم الطريقة المنحوية .

صاحت جثة الجوش :

- يورش ماريو (يا يسوع ابن مريم ، ورسيت الصليب على وجهها

معود إلى المنجبة ؟

وهنت الصبايا

- ممود ، ممود .. ملأ الشوكة والسكين .

قالت يروشكا

- ها أنت مجنون يا كرم .. هذا العداء لا يقصه الجنون ..

وقال الجوش هامساً

- وثلكك ، بالأهيك المربة هذه ، ثمن هؤلاء الفتيات كل

هذا بئس من الرق ، لأقصي ؟ اللمة على أوروبا لا بد أن أسامر

إلى هناك ، أنا أيضاً ، وسأعود ساحراً بطيعة هدية

مع العداء بأكثر مما توقع كرم كانوا يرون ، في الأفلام ، كيف

تشوي الطريقة على السعد كان ذلك في العابات ها الناس

بموم مقام القصة ، وهذا النهر ، والنساء .. والخمور .. كانوا يرفعون

رجاجات البيرة ويسارون . من يزلها عن صه فارعة وبالأوراق

المحصاة كانوا يسكنون السبخ الساخن ، ويسهون اللحم كان

الشهد طريفاً ، ورجعوا في التقاط الصور . تهمجوا .. داروا حول

النار، وحتى العجور التي طادت بسورها منقمة عفت مثل  
الاحمر، وكانت سرورة، لكنها لم تفتح، ولا مرة، في إخراج  
رجاحة بيرو دعة واحدة وهذا ما أصمت لأجله

بعد الداء قالت بيروشكا

- لنذهب إلى ذلك الكوخ - إني على ما يرام.. على ما يرام  
تماماً.. أريد أن أكون معك، هي ذلك السرير..

قالتها ومضت كانت راغبة. ولم يجرؤ كرم على التصاق بها. كان  
ذلك فوق طامه على تحدي الشاعر من حوله لكن البوش الذي  
كان يصحك، مشياً، صاح به

- ماذا تنتظر، ألا تريد أن تنزوح؟

وقال جوه وقد تمتع السكر.

- اذهب واسخر على صدر عاهرتك الصمورة.. لقد سيمك

فهذه الآخرون، ركبك كرم لكن البداء التي أدخلت السرور  
من الدوب، دبت الدم إلى الاسرسل في الإنداع قال وهو يمسح  
رجله

- إنها الآن تستلقي على ظهرها.. لا تدعها تنظر طويلاً،

سيتمب بعدها

وقالت روجة العجور:

- هذا كثير يا أشتان. لا يليق

- ما هو الذي لا يليق؟ إني أتكلم لغة عصرية تماماً.. هيا.

سأجملك ترفعي سافك أنت أيضاً

غطت العجور عيناها بيدها، بينما صاح صوت

- لكلك عجور أيا الأب اشتان عجور حد

- ليس كما تصورون.. ثم إني أخذت حبوباً هذا الصباح،  
حبوباً مجرئة.

صفتي المحاصرون.. كان الصبح عاماً الآن، اندفع العجور  
بأعية فلقته الآخرون. كانت أغنية جاعية، صاخبة، مرحة،  
وتدعج كرم، من كثرة الأعالي الجاهلية في البحر، ومن شعبيتها،  
واندفاع الجريين في عائته كلها طاب لهم ذلك، وراح العجور، في  
اندفاعه اليكر والمرح، يلقي بحص الأشعار، كأبه أحد أبطال  
شكسبير، وختم حملته النحسية بخلع قميصه، وراح يبرو ال  
التورث، يحدو على الدرج حتى بلغ شاطئه الدانوب وألقى بنفسه  
في الماء.

لم يحاول أي من الموجودين صمعه، أو إيقافه. كانت روجته  
تصحك، وكذلك البوش. قال لكرم:

- شب، يا أخي، كم هو قوي الأب اشتان. الآن سيجرد في  
الدانوب، سيصحو من سكرته، وهذا أفضل علاج له إنه يعمل في  
مرورته الخاصة في عطلة نهاية الأسبوع، ويهبط باكراً، في البحر،  
مقطع الدانوب صباحاً، وقد احسنا. هذا العام، بعيد ميلاده  
السبعين، ورفض حتى ساعة متأخرة من الليل، رقصاً عتيقاً،  
متواصلاً، كأبه في الخمسين. هذا نموذج لحيل من الهريين، كافي  
طويلاً، واسطاع التلازم مع النظام الجديد، بل كان من بهاته.

قال كرم:

- إني سعيد يا البوش بهذه النزعة، سعيد بأكثر مما تغبر  
الكلمات القوية، الفرعة الخاصة، الدانوب، وهذا الداء من  
الطريقه المموسة، والماء يحيل إني أني أنهم الروح الهريه



إني أقرب من هم الشعب المجري، وهذا ما أردته.. أن يمش  
المرء، ليس كمن يسبح - يودّي أن أقضي عطلة نهاية الأسبوع في  
الريسم، في رحلات على الدانوب، في الذهاب إلى بحيرة  
«البلابون»، في معاينة الناس، في التعرف إليهم، وعلى هذا النحو  
صط، أستطيع الفون إني عشت في المجر وعرفتني

- إذن ستخرج من المنصف؟

- اللعة على المنصف.. إني عشت، عشت، عشت، عشت، عشت في  
الصين، وم أعرف الشعب الصيني، لم أدخل بياً صيباً عما اختلف  
الحال، لكن انظر.. اني لم أعرف، حتى الآن سوى بعض النساء  
- هذا جيد، في البدء، كي تتعلم اللغة المجرية - اللغة لا يمكن  
تعلمها من المدرسة أو الجامعة وحدها... من المرأة أيضاً..  
- لكك تعرف، من رواياتي على الأقل، أن عليّ واجباً..  
- أعرف ذلك وأقدره - أن أبدأ كيف أقول؟ كتب أهم ما  
أعني إليك بحر مفرح - سميت من جمع الوثائق اللازمة لوضع  
كتاب عن إسرائيل - سأشرح كل شيء، يجب أن يطلع القارئ  
المجري على الحقيقة، أن بهم عدالة القضية المجرية..

- أه أيها المبرر البوش.. (هتف كرم) إليك تقدم ماضية طيبة  
بعضنا بكتابك هذا.. إني مستعد لمساعدتك، لديّ بعض  
الرجوع، وإذا خطر بك أن تستمر من شيء - تعال إليّ في كل  
وقت.. لا تردد أبداً..

- سأفعل يا أخي.. أعرف أن بعضهم سيحاربني لأجل هذا  
الكتاب، لكني لا أبالي.. أنا عضو في النسبة  
- هذا جيد، جيد جداً.. إني أشعر، أمام قرارك هذا،  
بتصيري - تصيري الشديد -

قال البوش

- الشهور التي أمضيتها في المجر، كانت مفيدة - لم يكن ممكناً،  
ولا ضرورياً، أن تستمر لأجل الكتابة - كان يجب أن تعرف المجر  
أولاً  
- هذا ما كان يجب - فكيف..

في هذه اللحظة خرجت بيروشكا من الكوخ كانت قد نامت  
ملياً، لم يحمق قد كانت نصوص إبيه، لكنها نامت عملاً، عطش، ردت  
شعرها الذي ذرته الريح على وجهها - نادت كرم إليها، كانت غصة  
صوتها ما يزال وطبه بذلك الدليل الشبي الذي دخلت به الكوخ  
لقد خابت أمستها، ما أشدّ عجيبة المرأة، حين نهم بوليمة جسيمة،  
ويصحب حلمها إلى لا شيء؟ في هذه حين لحج إلى قوة رادة كي  
تغير شعورها الجسدي الموهن، كي تحده، أو ترحمه على الخمر،  
كي تلقي به إلى اللانحور، ويظهر، من جديد، أنها غير مبالية، وأن  
قادرة على أن تناسك..

طلبت ماء بارداً - افترج البوش مسحناً من القهوة - سألت عن  
المجور، وما إذا كان قد نام، قال كرم - بصوري يا بيروشكا قطع  
الدانوب سياحة وهو على تلك الحال من السكر، طي أن لاء  
البارد نعمة - عطش، في البدء، عدة مرات، ابتعد رأسه، تبحرت  
الخمر من صاعده - يا للجسم الصلب الطواع! هذه ميزة جيدة  
الدانوب. هتان أخضر، يافع الخضرة، وضحة وازقة الظلال،  
وعمل في الأرض، حتى يهرق الجسم، ثم سياحة في الدانوب، ويوم  
صيق - إن جسداً يتشكل من رياضة متتامة الحركات كهذه، حرق  
به أن يقاوم - لقد قاوم المجور شربه كثير، وكهوت غطس في

الماء، وبعد أن قطع الدانوب جثة ودهوباً، خرج وعام ببعض  
الألعاب السويدية، ثم نام

شربوا القهوة كانت لديهم جداً وكانت الشمس، قد تملكت  
برؤوس الأشجار، من خلال أشجار الذهب العذبة (به الأصل  
وقالت بيروشكا

- ما رأيك، يا كرم، نعودنا إلى بودابست بالباخرة

- وهل يمكن هذا؟ ما رأيك يا عزيزي ألبوش؟

- يمكن، شرطه أن نعطى الدانوب إلى الضفة الأخرى، حيث  
مرسى السفن النهرية مقابلنا تماماً..

- ونكسب لن نطلع الدانوب سباحة .

قال ألبوش:

- بعضهم يفعل هذا.. هنا لا حرج من ركوب السفن شياش  
السباحة - يمكن سأمر لكما قارباً صغيراً نعطى به الدانوب إلى  
الضفة الأخرى انتظراني - لدي قارب هـ، سيب لحائي، وهو  
شاب قوي، وبنده قارب، ويمكن أن يجار بكما الدانوب بسهولة

جما حوائجهم ودعا بعض السفن تدوّقوا معها «الوجبة  
المسوية» كان القارب ينظر عند هابة السلم الحجري، وصعدا  
مرر فيه وبعد بها، لوّجا بالأيدي لألبوش الواقف على الضفة،  
فلوّج لها بدوره، وأساب القارب بفعل حريات مجددين قويين للسف  
الذي تطوّع بحملها إلى الضفة الأخرى

كانت الشمس، الآن، قد توارت، ذهبت إلى موعدها، في طرف  
الأمق البعيد، حيث يتد الدانوب الأرقق، وكانت حمة الركاب  
الصغيرة، الجميلة، اللأى، بل المردحة بالركاب، تتحدر مع النار

ساحل المدينة، وكان كرم وبيروشكا يقفان على حاجر السفينة كان  
صامتين، معصين بشمور قدسي من النهاية والإعجاب، وكان الماء  
يمطعن على جوانب السفينة بتؤدة، والريح معشه، والغروب بي،  
ووضع كرم كفه على يد بيروشكا فوق الحاجر، وقال لي بشوة  
- بيروشكا، يا عزيزتي، ما أروع هذه الرحلة

وصل عيدي حائداً من الصبح كان يعرف أن كرم في بودابست، رغم أن هذا لم يكتب إليه أيها رسالة. ودأت مساء، عند المروب، قزع الباب عليه، كان كرم، في لحظة «الانقطاع» هذه، كما كان ينبغي، لا يعطي أيه موعد كان حرباً أن يشهد تلك الدقائق وحيداً، مكثاً على حاجر الباعة، مائلاً مريح من شمس وحار، بدأ ذهبية تلمع بصبها من الدري، في المصافي، يرتفع شطه، جاعه، سداخله، يودع بعضها بعضاً قبل المساء، واهدوه مهيب، والنظر يركز، في حدة شديدة الحسية، كل انظر المروح، للعدائين الخلبه، دأت الخصرة الموربه، وفي هذه الحديقه أو تلك، ملاحب أطفال خاليه، ومساعد عارعة، يصر في الصباح وبعد الظهر، من قبل منتصبين بالنفس أو مقبلين من المجائر

كانت المرأة، بالنسبة لكرم، طبيعة، وكانت الطبيعة امرأة وكان ينبغي، في شعور مصر وملحاح، أن يأكل المرأة والطبيعة ويستريح يستنصر، حبال كل منها، برغبة نية، ويتعب من وجهته النعمة، ويمسح عيبه، وهو أمام الأشجار الخالية، وأسطحة القمر يد الحبر، مستعيداً صورة قرية ماء، في مكان ما من جبل

ليان، وناقوس دير الراهبات، ونشيداً ابتهاجياً «اسجدي يا مصري ضد واغني لطيب، واستريح من صاء المكر عالمكر رحيب»، وكان في وحدته هذه، يلود بالصمت، مستمتعاً بوقته، مستجيباً على طريقته، والروح المنمنقة ترفق على السور لتودع وتغرب منه في بحر لا يسوره حدى.

هذا التوحد أصراً به قزع الجرس. أحدث نوعاً من حدمة في متغيره. عادت الروح الهائنة إلى قصصها الصدري. هربت الرؤى، اسعد، في وصف استرجاع، ودقه، منحول عن البعده وذهب إلى الباب يفتح

- سرفوس! (مرحباً) صاح عيدي الوائف على الباب.

وحلف كرم:

- مرحوس أخرجها مخطوطة، حارّة، على طريقة المجرى.  
أصاف وهو يمانه: «هوج فوج» (كيف الحال)؟

قال عيدي وفي عيبه الرجائيتين الرغائين الناع فرح مبين:  
- يا عيدي.. يا كرم.. ها أنا أجذك أخيراً.. وأين؟ في بودابست. لا أصدق!

قال كرم وهو في غيرة فرحة عارمة:

- نعم في بودابست.. تأكل «عبدنا مثلاً» اعترف.. هدمكم أشياء رائحة.. رائحة أكثر من كل ما رأيتم

- والأروع أنك تتكلم المجرية متى تلمتها؟ كيف؟ وماذا تعمل تكلم كثيراً

سأتكلم ولكن ليس قبل أن تشرب كأسين من «الناوتاي»،  
- «ناوتاي»؟ غير محقول! وهذا اسحب حذني حس

معنى هو الذي أعطاني عنوانك قالا لي أشياء كثيرة صوراك بصورة أمير من الشرق!

- يائنان.. كل من حولي يبالغ.. ما أنت تراني وحيداً..

- لكه ليس وقت الفراش بعد.. جئت باكراً كيلا أزعجك..

اسمع لي، اسمع لي.. دعني ألقى نظرة على النصف...

وحين صبت الماوتاي صاح

- كأسك.. إني أشرب بحب صديقي العربي..

أضاف صباة

- اسمع يا كرم.. أنت على موعد الليلة؟

- ليس قاماً.. لماذا؟

- ستخرج معاً إلى إحدى حانات النيبد.. هناك، وسط

الرائحة الركية، والدخان، وعادج الناريين، وترثيم، يحدث

هناك سجد بودايت.. هل ذهبت إلى إحدى هذه الحانات..؟

- ليس بعد..

- ماذا رأيت من بودايت إذن؟

- بعض الأشياء.. بودايت كرهرة اللوتس المصيبة.. تفتح

على سهل..

- أليس كثير من هذا الماوتاي؟

- ليس كثيراً.. إنه لا يقدر إلا لصديق عزيز جداً، وبكيفية

محدودة.. لدي سيد ميرد

- هاته.. وتعال حدثني.. لكم أنا مشوق لسماعك

حدثك كرم عن كل شيء، وبمفصل.. كانت ابتسامة مسية قد

غمزت وجهه هيدجي وهو يرى رجاجة صبيد مبردة أمامه.. شرب

كظلاً، حرة وردية شاعت في وجهه الأبيض، عشاء الررفاوان وقد

وقد شيء ما داخلها لسانه انطلق في كلام مواهل عبث عن سعادت  
جده للكلمات «لست ما أنا مقتبط أنك وجدت الحجر كما وصفتها  
لك».

قال كرم بالفرنسية مأزحاً

- صدينا مثلاً: *vous deux*

يا صديقي! يا صديقي! ردّد هيدجي.. لم أقل هذه الكلمة  
لسوائك بعد همرك.. ولي تراني أموطاً؟ لذلك الروماني الجاهل،  
تصور! سألي كم عدد سكان بودايت؟ قلت: مليوني.. تعرف ما  
قال؟ «عجب كنت أحسب كيوخارست» تأمل.. يشار بين  
عاصمة عربية، وبين قرية ضخمة صائفة في أوروبا.. إنه لا يطابق.  
هذا الروماني الأحق لا يطابق.. لقد أدركت له ظهري بعد هذه  
المحادثة..

قال كرم:

- أنا لا أعرف بوخارست

- ومن الحجر أنك لا تعرفها.. من يمش في الحجر ير رومانين  
مناطقة.. أنا ألتحدث الآن عن واقع، عن واقع صرت تعرفه.

لنشرب إذن، إني على عراج طيب.. وقال بالفرنسية *Je me souviens*  
استك لذلك، وضرب يمينه، ثم أفرغ كأسه وملأها مرة أخرى

كان اعتداده بالحجر قد امتنكه قاماً الآن.. كبرت الحجر، كبرت،  
صارت ربح الدنيا، نصفها، كلها..

ولما فرغت رجاجة النيبد طلب رجاجة أخرى، وقال لكرم  
«لن أجعلك محرجاً بوجودي.. إذا جاءتك ضيعة ما، فأنا مستعد  
للاستحاب أهم القمية كنت شاباً.. كنت شاباً حيلاً أيضاً أنت

برى ولكن دعبد مثلاً، عمواً إلى المجمع بهذه الكلمة في بودايت يمكنك أن تمضي وقتاً طويلاً جداً طيباً إلى أبعد حد تستطيع أن تستمتع أنت مثلاً، عريب لكك استمتعت عير أن هذا المتحف (قالها وغمر بعينه) هذا المتحف معبدة أنت، يا كرم، خدعتي.. أقولها صريحة.. لم تطلعي، في بكبي، على كل مقتنياتك من المتحف. أنت كنت هناك قبلي.. كنت في الحرم الطيب رمن هارن المتحف.. الآن تغير كل شيء.. الدولة وصلت بدعا على كل شيء.. جئت هارن المتحف في عرس واحد.. لكك قلنا تمر في فيه على لوحة جميلة. كل عروضاته من المصريات الحديثة، كلها عن الكومونات إلى البطاب بأه لوحة من الكومونة الشعبية.. ألم يعد في المصى ما يرسم عروها؟

قال كرم

- وأنت أيضاً، يا صديقي، لديك تحف جميلة.. بودي أن أروك لأرى متحفك  
- ضروري يوماً. سننق على ذلك اليوم، أميكو بشوق إليك. لكن لا تتوقع أن ترى أشياء كثيرة.. هناك أشياء صير معروضة.. هذه ليست للمرض.. أنت تفهم. سأبيع بعض المتحف، ولكن لا أريد أن يمتشي أي آى عاهرة.

قال كرم

- أنا بعت ثياباً من تحمي.. بعتها بأسعار عالية. في فيبا.. وبالدولار

- انظرا صاح هيدجي وهو يجر من تهر.. أنت تستطيع أن تفس ذلك أنت أجبي.. يمكنك أن تسافر وأن تأخذ تحفك

وميعها حيث تريد، وبالسر الذي تريد. أنا أنا؟ اللغة. لن أبيع تحمي بالموريت. لست أهله إلى هذا الحد.  
- لكسي أروح يا هيدجي.

- أنت لا ترح.. حتى ولو كنت ترح فأنت تملك إمكانية العمل، هذه التي أنا محروم منها. لا توبني على.. أهرق أن مصير تحمي إلى النار أنا لا أستطيع أن أقيم معروفاً في بيبي. ولا أن أسفيل صوباً، أليكو ستارص برص دخول أله امرأة النسبة على الزواج. لقد كانت زوجي عبناً علي في بكبي، وهي عبء علي في بودايت، مسكبة يا تحمي. يا تحمي العريضة، أهر قادر على الشتر بك، أو على بيعك أله لند. سوف أتاأم اصمح في بكاس أخرى. أريد أن أسكر، أن أنسى..

- ولكك كنت طيباً منذ قليل..

- نعم، نعم.. كنت طيباً. أحاول أن أكون طيباً.. ألا أنكر بحمي العريضة ومصيرها. لكك أنت، لامت جرحاً في صدري

- في هذه الحال أعتذر عما أثرت من شعوبك.. ما كنت أهرق. ما خطر لي أنك بحاجة ماسة إلى تمها. ثم لماذا، لا سيعها بالموريت؟ شعوب عليك بهالع طائلة.

- قلت لك لن أكون أهله إلى هذا الحد.. ثم ليست مسألة بيعها هي التي تعسبي. هرد بكيري أمي ساموت وأتركي. أله الذي كنت خيراً في المصى، وأنا من مقتف حتى أشرفها. ثم فجاء، ذات يوم، أتركيها وأمصي. ولن؟ بروجي؟ لأولادي؟ أنا صاحبها أنا، أنا.  
- ولكننا سموت جماً، وسترك كل شيء.

- وهنا التراجيديا - لذلك، اسبح لي أن أشرب أيضاً.. القصة  
على الموت.. ابن الساهرة هذا.

حين أتى على رجاجة التبيد الثانية كان قد سكر تماماً.. حياه  
الرفاقون تفت عن قلوب بالغ ضحكة انقلب إلى هيسرها بشرته  
المبرء وشث بعداب دفين - وحيى وقت، حذق في ما حواليه من  
نحب، وقال بصوت نضحه شكاة ونصف بكاء:

- أنت تلمت بأشباتك جيداً.. قالوا لي كل شيء.. أخبرني  
فهي

- لكنني لست سعيداً كما تظن - هذا للتحف تيب ببعض  
الإرغاجات أيضاً.

- لا أصدق.. بكفي أن تنظر إلى هذه التحف..  
- ولكن في الدنيا لهما أخرى: الطبيعة، المرأة، الإنسان..  
- أنا أحنك من الملكية.. أن تلك الأشياء يملك - أن  
تصبح حر التصرف بها.. أنهم يا كرم؟

- أنهم.. ولكن أنت، وبعد هذا الزمن.. ما الذي يمتصك؟  
لم يحب هيدجي.. هذا الحق واضحاً على قسامة. ربما غل شأ  
كان يرد الاحتفاظ به معه - لكنه لم يرتكب خطأ فاحشاً  
التحف ملكية شخصه أيضاً - مثل البيت، والسارة، وقطعة  
لأرض عبر أن الإصباح، هل هذا النحو، ما كان ضرورياً - إنه  
بعض السكر

على الباب توقفت وصاح كرم. ترمج في وعفته.. اختصب  
ابتدأه. صحك صجاء.. عادت الالتفة إلى حبيب الرفاق  
الرجاجين، سأل

ألا تريد العودة إلى بكين؟

٢٨٥

- لماذا؟ لماذا لا تفعل مادام ليس لأحد سلطة عليك؟

- وأنت؟ تريد العودة؟ تريد مريداً من التحف؟

- أنا؟ - انظر.. لقد استدعوني.. كان يجب أن أهي أيضاً

لكني عدت القصة

تالفا ومضى في خط متعرج، أقرب ما يكون إلى الجدار، وقبل  
أن يبط في المصد أمدى هذا الرجاء

- أستطيع أن أرورك دائماً؟ أنت أيضاً سألني لربارنا  
سعدت موعداً.. سمعت ذلك يوماً

فبصوت لا تأسرا.. (إلى اللقاء).

وقال كرم وهو يلوح له بيده

- فبصوت لا تأسرا هيدجي!

وحيى عاد إلى غرفته، استشر فرحة أكل ما كان يتوقع عند  
لقاء هيدجي. فثرت منه حتى عن النقاط الرجاجات والكؤوس  
القارعة ترك اللادة الصغيرة كما هي وضع يديه في جيبي سحاله  
وراح يدور البيت، غمرقاً عرقه واديشي. منه حين يبوخ لأسياء  
في ظاهريه، حين تهي نفسها، مشعولة إلى جلب مطبق، باهظة  
روحه الشاعه كرجاج دمشق. رجاج قابيل لكسر من لسة، لكنه لا  
يكسر وهم مئات اللسات التي جرت عليه. في حان كنده تته  
حتى ممراته. يصح الطبيعة ملاداً وحيداً يتسنى أن يذهب فيها،  
أن يدخلها، أن يلاها عبه وأديه ومنه، أن يبوخذها توخذاً  
بائناً

هذه الابتهاية الطقسية، لنص عاشقة، وغير مدركة أنها هاشقة  
بعد، وغير عارفة أين هو الشوق، وأية رباح ستعملها إليه، أو

تحميه ربيها ، والتي تتعب ، تعب ، تنور ، تملب ثورتها مضافاً لكل ما هو أقل من مثل أعني رومانتيكي ، ما نليت أن ترتطم بالواقع ، وببأس الواقع ، وطموحاتهم الصغيرة ، وسعيهم وراء مباح دانيه ، أو بمنهم ما هو دون هدى الإنساني البسل ، في العمل لحياة أفضل ، فتتأذى الشاعر بمرهقة ، ونمرّب ، وينوب عن ما يبعث الطرب فيه ، من خلال تحقيق ما ، على أنه صورة من صور النصال

« عندما مثلاً جاء بعد طول انتظار - جاء عافلاً كمنات وآلاف من أمثاله ، حتى الصورة الطريفة التي أحدها ع في الصبي ، وهو صانع بين حبات البید في بود بي ، تنفّس الآن برقت بصرة سكين حادة ، بلده ، المجر ، لا يمرّ عليه بالمقدار الذي تصوّر - مستعداً للتعرب ثانية في سبيل مرید من التمتع - وهو ينشئ بده النصف شقاء كبيراً ، يمحرمه من التمتع بما ملكه لها بأكله تنصم على حجاب إسائه بمال حبّ للعالم ، لنسافة ، لمعرة الرّ في الأشياء ، ولا يملأ إلا السنّ بالحبيب الذي ، الحبيب الذي يسدّ بالنفس ، بصيرها كهنأ يرتج فيه عن ودود .

ودّ ، في هذه الساعة ، أن تكون لبرجكا إلى جانبه ما كان أحد قادراً أن يبوب منابها لا يبروشكا ، ولا صياء ولا حسن . لكن لبرجكا مسافرة ربما لا تعود أبداً ، إنها في سارة فنّ لبلادها . هي وحدها مهم أرميه النصبة ، معها دون أن سأل عنها أدركت بحساسية الأتني أنه يتمدّب ، وأن عدايه ناشئ من حجر في أن يطمئن ، وهذا الحجر لقلق مريح سيطول ، ما دام غير قادر على أن يحبّ ، وأن يحبّ بجنون كامل ، يشفيه من جنون قطعه شقاء كاملاً أيضاً في هذه الحال صديقه حبيب أفضل منه . إنه وليس القسم

المرّي في إداعة بودابست ، ويبدو قرير العين بصله ، وحبيته الصغيرة ، وبينه الصغير ، والجللة الصغيرة ، على كأس ، أمام وجبة شهية من طبقه ، ثم يذهب إلى المرائش ، كلالين من الزجاج مع اللالين من النساء ، فليملب لبعه الصغيرة ، ويشتم ، ويام مبتساً ، ويمبق مبتساً ، ويذهب إلى صله حياً كرة أخرى

ولقد غاصم كرم صديقه حبيب بمر ديب . لم يسطع أن يكسّف المالحب النعني الرصيّ فيه ، ولا طأبسه التي لجملة سبداً خيل إليه أن حبيب لا يهكر بالوطن ، ولا بالمثل ، ولا بالقصبة ، وجاكبه على ذلك ، وأصدر حكمه بالابتعاد عنه ، ورغم ذلك ظلت ابسامة حبيب التي تكف من جدور أسابه السميّة ، ملققة على شفتيه ، يقابله بها كلها النقاء . وهذه اللبنة دعاء إلى البناء ، على طوي سبك من صبح يده ، وسبانه بالابسامة دانيا ، ويحدث من الطوي الذي أهدء بشكل لجملة ينتهي أن يأكل ، إصاصة إلى أن السكة من كرم ، ولم يرد حبيب على أن يطرح بحصيرها ذلك أن كرم مر بالبارار ورأى السمك حياً يسبح في الحمام ، فابناح سمكة ، ولّمها مكيس ورمي وحلها إلى البيت ، لكن السمكة ظلت تنصّر ، ولا كان كرم مشغولاً ، معد وضما حية في البراد ويرل إلى الطريق ، وهذا فكر في أنه ارتكب حاله ، وتصور معه حناً في براد ، معد أدراجيه وأخرج السمكة ، متوكلاً إليها أن تقوت ، ورفضت السمكة متوكلاته ، فملأ البايو بالماء ، ووصفها فيه ، وبعد قليل استردّت أناسها ، وأحدث تسبح ، ولا عاد ماء وجدها تسبح بشاط كامل ، وهذا اختار في ما يعمل ، هو غير قادر على قننها ، وهي لا عوت كرمي له ، ولا يمكن إيفازها في البايو وقصر حكايته على حبيب ، فاشتدّ هذا ، وفي الماء صعد منه إلى مرثته ،

وهذا تناول السمكة من الماء، وضرب رأسها على حافة البانيو،  
فنهطم الرأس ويرى الدم، لكن ابتسامة حبيب ظلت معلقة على  
شفتيه

هذا النظر الدامي، لرأس السمكة المهطم، أهدى الرؤية  
الشاعرية التي ينظر ب كرم إلى كائنات الوجود اعتبر حطم رأس  
السمكة على حافة البانيو قسوة غير مبررة. كان يحصل أن يدع  
السمكة، على أرضية المطبخ، حتى تموت، مثلاً يسل الصباد على  
شاطئ البحر. ينسم حبيب هذه الرقة المرحطة، وأحبه أن أية صلاة  
في البار، تعمل في السمكة، يسل كما يحصل بل إنها تضرب رأس  
السمكة باطورها قبل أن تنشق بطنها، لكن كرم أصر ألا يأكل  
من لحم «ضحيته»، وساعد الاعتكار الذي غلظه عيده في نصه  
على زيادة نفوره من تلبية دعوة حبيب. وهكذا، في اللحظة  
الأخيرة، صلب إليه مضطرباً أثر البلاء في بيته، فهو مكثرت حتى  
بالنصف الذي كمن، في النهور الأخيرة، من استعمال الصوف،  
بإصرار منه كان يمارس رغبة في معاداة ذاته، ثم دام عاجزاً عن  
الحب، والكتابة، والعيش في القرية، فإنه يجعل نفسه، هي  
خريف الرجز، تدفع نحو البؤ الذي تأمر به. ولقد شجعه على هذا  
السوك، ضياء التركي، قال له، بطيسته الأبدية، «احذر يا كرم أن  
تزق إلى حاوية النخلة الرخصة. ها الباء كثيرات، وهذا  
التحجب يهري بالبرارة، ولديك أسباب أخرى تجعل من اللهو طريفاً  
إلى المجهيم أنت لا تريد أن تصبح مثل أدامو الإيطالي، أو  
كبرياء السوداني أنت نديك قصبة احرس يا بيتي، تذكر أن  
بدهم حكمت كان يسكن البيت الذي نسكه، وأنه كان يكتب  
وعندما يقول: يكتب، يعني يستخدم قصبته، يربها نفسه، وليس معنى

هذا أنه كان ناسكاً، لكن العلاقات الاجتماعية شيء، وقصده الوقت  
في استعمال الراتر، والاعمال في المجلس شيء آخر. لقد اعتزل  
حيث.. ناله جراه.. فما معنى هذا؟ معناه أنه صاع، لكن الصياح  
له أكثر من طريق. هذا ما أقوله لنفسه أيضاً، وكذلك أقوله  
لزوجتي وسفي وأبي، القرية مصيدة.. وقليلون جداً الذين نجوا  
سها، قد تكرر كلامي.. إنني أحدثك كاتب..

ولم يمكن كثير من مجابهة إلى مزيد من الصنائع هو نفسه تحول إلى  
صنع للصنائع كان واعياً داخله. يعرف ماذا عليه وماذا يجب،  
وكيف يجب، لكنه ما كان قادراً على يمس كللانه على الورق كان  
أهوب عليه أن يسك بالريح ويملأها من جدائلها على جدران  
للحف من أن يسدعي الحروف ويلاعبها صارت ريشه خشة  
سكة حرارة في أرض صحرة. وقال في نفسه «لماذا؟ لماذا؟». كيف  
لا تطوعي الأفكار كيف تنأى على إن شرت أو صحت إن  
النهج الباطني، لابن مازوم، يمكن التعلب عليه باصطفاة مرة  
ما، بالشرع، بالرخص، بالمجلس، وهذا ما فعلته، لكن الشعور بعدم  
القدرة على الكتابة، هي الأرملة اللعبة المستعصية، لأنها مرتبطة  
بالمحب، وباليد، وبالتكرير لا يمكن الأعمال وحده، الأعمال زهر  
لور يصنع ولا يفتد، نيسة صقر، تجهل أوردتها، لكن المنصب بعيد  
عنها إن أصعب ما في الحبة أن يعمل الكاتب، ويظل انفعاله  
عند، هو، في حال كده، كالمعدل الرجل، ثم ارداده عاجزاً عن  
المراة الارتواء بعيد.. وظل في الذات يجرى كالنار..

صحت شعور الآن هي ذهابه وبيروشكا إلى القرية «كود»  
وركوب السيف المهرية، واستقبال ذلك المحب المريب، ويده فوق



يدها على حافة السفينة وفي موية صعب، أو جون، قرّر أن يترك  
بيروشكا، صار الليل إلى تصديق صبه حكمة، يمن في تمديدها،  
فتنم في طلب التصديق من جديد. الحكمة نأكل، في نوع من لدّة  
تدسي، تريد موضع الحكمة، تعمقه، توّسه، ونظّل. في حلقها  
المرغة، مرضاً جليداً يشدّ متعته من سرطانيته فانها وإذا كانت  
بيروشكا، قد اسبى إلى حبّ يهرب من الهوس، فقد اسبى، أيضاً،  
إلى يمن يشبه الاعتقاد الكامل، أن كرم إسان شاذّ، وفيه قرابه  
أطوار لا تُفهم، وأن عليها أن تتقبّله كما هو، أو تدع نفسها له، إلى  
أن يقرّر ما يريد.

كرم قرّر بأسرع ما تموّرت قرّر أن يفصل عنها رومانيتكته  
أضافت بدءاً جديداً لأزمة عجزه كان، في دمه، يارس شعوراً  
بالبل، وبيله كان أنانياً، ككل صفة من هذا النوع الكرم،  
الاعتداد، الغروسية، كل هذه القيم، تشدّ في داتها، من خلال  
المطام، ممارسة لدّة شبيهة، الإرصاء الضمعي وإذا كان قد  
توقّف كثيراً أمام دكالك تعصبه الذي أنت سائله، وأعجب  
بالبيت، ظلمه لم يفهم أبداً إلى أن الإجابة على السؤال، بصفة كرم  
غير محدودة، تطوي على لدّة ممارسة الشوى، أو الانتصار من  
خلال جعل الآخرين مديوناً للمعروف، وقد كان، حبال الناس  
مطام. كان يحسّ سمع ما، شبيحة أرمته، وببخت من تمويه،  
بطويق أصناف الآخرين بإحسانه ومثلها تهب الريح الطبع الذي  
يخصب، كانت حياته طليماً معروفاً لو امطع عنه لا يمي له شيء  
وليس حتى الآخر، عبداً كان أم محبواً، إلا أنه تقاضى لده، وفي  
شدائها، أعتق بيروشكا، وهبها لذاتها. اعتزل حبها، دون صاء،  
واحتسب فعلته في دمة النبالة. استعاض، بهذا العمل لممارسة القوة،

عن صعب داخلي يشدّ إلى فقر مدقع في المواضع تجاه حب المرأة،  
ولم يعم بيروشكا دواعي نصرته، ولا استطاع أن يشرح نفسه لها،  
وحين أرادت مولاتها حاتبة، قرّرت، هي الأخرى، أن تهجره،  
وأن تحب آخر، أن تكذب على نفسها، قراحت تقم علاقات  
جسدية، معية النساء، إلى أن كانت حيلة في بيت أحد الأصدقاء،  
وكان معها عشيها، وهوجشت بوجود كرم لم تسلّم. نجاهته  
أظهرت عيروداً قديماً حاله، واحمالة حارة بالشيب الذي معها لم  
يأبه كرم، العيرة ولبدة الحبّ هو لا يحبّ ظلّ لاسالياً، امصرف  
إلى الاستمتاع بوقته عن طريق الشراب، ولم يرغب إلا مرة  
واحدة، مع سيدة البيت. كان، من ناحية الحب، معاني، لم يكن  
يحب، وبيروشكا يعرف ذلك، وكانت هي تحبّ، ويعرف كرم ذلك،  
بكنه حين رآها مع صديق جديد، أثر الابتعاد عنها، ومرة لم يسمح  
لعييه أن تلمحها بحبيها. وراح صراع صامت يدور، وبشكل غير  
متكافئ، بين معاني ومريضة، ودام كذلك إلى ما بعد منتصف  
الليل، حين جاءته صاحبة البيت طالبة منه أن يذهب معها، بهن  
دون اكتراث، لم يفهم سبب الدعوة.. ما كانت له بصاحبة البيت  
هلافة، لكنّه، كياسة، لم يرغب دعوتها. صار معها في الجمار، إلى أن  
دخلت المطبخ، وهناك رأى بيروشكا تنكي. توقّف في العبة  
مبهوتاً لم يقو على عدم التأثر. كان يحب بيروشكا على طريقته  
للمرة. هنا كان صادقاً كان معرّاً، قادراً أن يبدل، أن يسمح الذم  
ببدل أبيص مجرّوه عن روحه، وكانت بيروشكا، بعمل حبّ  
وسكر، جديرة بأن تتصرّف بشكل بمنزق المألوف، ولو أراد أن  
تصك يديه، رجله، لعطفت، لكنّ ذلك لن يريده في معركته، ولن  
يغلب، من ناحية أخرى، حبّه لها. وحين اندفعت إليه، بعد أن

خرجت صاحبة البيت وأغضت الباب وراءها، طوّفته بدراعها العاريين، واهبرت دموعها على صدره، وهي تنجح «كرم! كرم!» وأجابها «بيروشكا! ما بك يا صغيرتي.. ماذا يبكيك؟» «أنت، ماذا كنت؟» «لا شيء.. وهذا أظن ما يكون الفصل.. لقد صيرني عاهرة.. صرت عاهرة، صحت نفسي لكثير من الرجال، سقياً، سبياً، لكن ما فعلته رادلي جوناً.. أنا لم أنعم لم أس، لا أريد الانفصال عنك.. لماذا لا تريني؟ أليس لك قلب؟ أريد أن أراك، أن أحدث إليك، ثم مغري.. يجب أن سمعي هل أن مغري»

بعد أسبوع رتب هادي موعداً لها في أحد المقاهي العربية من «باتشوروا وتسا»، كان هذا شرط كرم للقاء، ربا خشي، إذا جاء إليه، أن يصعب، وأن يعود إلى عمارته المجلس معها، وعندما يعود العلاقة، كان مغري ألا شيء يذل الرجل مثل شهوة، ولا يريد أن يحس نفسه سجيبة لا يثنى بأنه سيجرح من سلباً وعندما دخل المقهى كانت بيروشكا بانتظاره، أمام طاوله في الدوابة، وكانت هادئة، رائحة، وشعرها السيل يعلش على كتفها، وطبقة عند صمحة الوجه، يغطيها شيئاً بمسكات هوليد وقال في نفسه، مغري وهي «لا ليماته» وسرعان ما ردهي هو كرم المخاض، اغترل مباشرة هذه الغائبة وهما لنضها، كي تختار من نشاء من الرجال، وأن تحد الحب الصحيح، للتبادل، بينها وبين الآخر.

تكلت بيروشكا أصم إلى ياساء ومودة شرب معها قليلاً، لم يجهد نفسه بيمصص صد لطفها عدم القدرة على الحب كان حصه الذي لا يغترق. ولم ترد كلمات بيروشكا، عن الحب، المباشرة،

الزواج، سوى في الاضطام بحصه المسح ويمطق واضح، هادي، أكد لها أنه يعرفها، لكنه لا يستطيع أن يجنبا.. وقال لها إن ابرجكا قد سافرت، وكانت هي تعلم ذلك، وقال لها إنه لم يعد يستعمل رواراً في متحصه، ولا سهرات لديه، وأجابات إنها تعرف ذلك من هادي، لكنها توسلت إليه أن يثنى عديتها خط، فأجابها إن هذا لس في مصطحتها، وأنه لا يريد أن يلدو بها، ما دام لا هبها ولا يفكر بأدي تفكير بالزواج منها.. وقالت حريفة، غائبة.

- هكذا إذن يا كرم؟
- هكذا يا حريدي بيروشكا.
- أنت لم تتعلمي من خطأ ارتكبيه؟
- أبداً
- ولست حاقداً على
- بل أنا أعزك
- ولن أراك بعد؟
- أرجو ألا يحصل ذلك.
- لشرب إذن كأس الوداع..

شرباً.. كانت الدنيا غائبة، كان المصاء سيجاً رمادياً، الشمس مكتمة بالرماد، ورأس البكارين أبيضاً، والريح تلعب مع الظلال في الخارج، ومطر رداد، وفي المهي رواد ساعسون، واجو صجاج دخان، يبط، يبط، يتكاثف..

وانتهت الجلسة.

خرجوا.. هبطا درج المقهى.. صاروا تحت المطر.. كان يلس واقعاً، أمسكت به من باقة الواني، قتلته، قتلها، لكنها ظنت

مكة بالياقة.. وظلت عيناها مملكتين في وجهه، ودموع تسكب  
وتنقح على الوجنتين، وظل الرداء ينساق.. وظلت  
رفعة، تشد به من باقه، والرداء ينساق.

لعه بغير كلام

ودموع بغير انقطاع

ومطر، مطر، مطر

- ٢٠ -

ساعات أخرجك من رحلتها العبة الى الخارج نظر الناس، حينما  
ذهبت، الى البحر في عبيها، رأوا بلادها الجميلة في جبالها، في  
صوتها، وفي التوقيف الملوين، كيتوبي مر من لاهور، تسرح لمعها  
برجة من جبل وليل، وقد همت الى كرم سد وصولها، قالت له إنها  
مست، في أيام السر، لو كان معها عبر أنه أجابها من الأصيل ألا  
يذهب سماً، الى أي بلد إسي لا أمل ولا أطيبي، ان تتكرر  
قصة أريد واردانكا ويسبي. سأكنه؛ لماذا أجاب لأن  
رحلتها استتت بأداة حين شق الناهر منه، بعد أن انصس من  
نلك الراقصة الجسدية قالت أخرجك. هل أهم من هذا انك  
تندرك، وقال صاحكاً: كنت أعار لو املكك هذا الحق كل ما في  
الامر إسي لا أرفض بالجلوس في خلمية المسرح.

المصادفة الحريية في لقائهما، كان مقدراً لها أن يذهب الى أهل،  
أو تهيض الى أمل أن يكون علاقة جسدية، أو علاقة صداقة  
ميا جسدية تنفذي به.. وكان نادراً، حتى في البحر معها، أن تقلك  
نصي كل هذا النيل الذي انطوت عليه نص أخرجك وكان  
يسأل، هو الذي عرف غير قتل من النساء، من سر هذه المصادفة  
للمجوهرة، التي لا نسمي الى الظهر ولا الى العبر، ولا ينسب الى

رغبة أو رغبة، بل فتح معها كالحب، كالحرارة التي من الصدق  
وبعد أثر عنه اتصالها الموري، عيب رجوعه، تأثراً كريماً، هذه  
الصناعة، المشهورة في بلدنا، وخارجها أيضاً، هي التي غلبت رصده في  
السمعة، بالنسبة إليه هو، الكاتب المجهول في العربية، حتى مع  
الاقتراض أنه غلب من المور به الشعب وكان مبهوماً، لو أنها  
تعرف العربية، وقرأت وروية واحدة مما كتب، كان تصورها، من  
وجهة الإعجاب، يكون مبرراً، لكنها وقد سمعته ودأ نادراً، من  
تعارفاً، ودون أن يكون لشعب في أثر، أو لكرمه، على مرضى  
وجوده، أي دخل، فرب هذه النسخة من الطبعة، عزت عليه،  
جعلته مديناً، ثموره القدرة على الكفاة.. وإذا كان قد عرا تعلماً  
به، في لحظة، لى معها الأسوي، فإنه سرعان ما أطرح خارجاً  
كهدا، بمصر صداقة حميدة، في رواية متعة يشطّيع أياً شاب أن  
يوفرها لها بأكثر مما يعمل هو، من ما يسها كان أكبر لسهه الصدي  
القي، في الترجمة الإنسانية الكاسية في أعماق كل منها، «مها يكن،  
قال في نفسه، أيرجى أكثر من مرأة، أمراً من عبادة إليها بلد  
يداته، إليها الجبر كآب، هذه البلاد التي سحتني أكثر مما أسحق من  
كرم وحدوة».

في الليلة ذاتها أرسل لها رسالة وهو كان يريد أن يخبر عن  
سعادته بعودتها، بفعل ذلك من بعيد، دون أن يتقدم حياتها. هذه  
بعض الأشياء وهو يماند نفسه، يهله كما يقول، مستأ السامر  
ويرى الدم على أصابعه غير مباد، شعراً على هذا الحوالة السيد،  
وأنه لن يكون، ولا في أي يوم، أداموا كيريامو أو بلوس، هؤلاء  
هؤلاء الذين يتابعون لعبة اللامبالاة بحام الحياة، بعد أن أخصوا عن  
دوانهم كل ما هو عام، ولم يبق لهم سوى الخاص، الخاص جداً، المحدد

بذخبتهم ورواحهم. أما حميس الذي حط بالسجن ثلاث سنوات، فقد  
كان واحداً من عشرات ما رلوا يواصلون سلوكهم السيء، وكان  
جورج يروي قصصاً عن هذا السلوك، لكنه يثق أن تشدداً ما  
حلتهم يبدأ، وأن ما ظلمه المريب سيمضي جراً، من كل بد. ولكن  
تحدث إلى كرم عن ذلك، وكما قال له. «ممكن، يا كرم، أصبح قلبي  
امت جدتي يا بكفي. في اليد خشيت عليك، المنصب، والبار،  
والشهرات، والبس، وكب أنسأل. بلام سمعي هذا كله؟ وهل  
مردية الكاتب. وأنا أعرف له يا- مطقة؟ إن ثيرة، صوته  
الخاص، بخته عن التجارب والتجريب، أمور تصنع خارج دائرة  
المحدود التنظيمية لهذا يصيب الأدياء، عالياً، بالانحداد الصيغة  
ولكن حين يربط الأديب، بنقائ، بعه بمصه ما فهو يعطي نفسه  
لها. وكان كرم يردد إحصاءاً لجورج، يدير نفسه وحبه لسطامه،  
بهم، من كلامه، أنه ليس مثل أدامو الايطالي، وأن له أكثر من هم  
سديل مكان المظلم فوق طمته التي حجب عنه وجه كعندي،  
حيال أطلال الآخرين، الأطلال الذين يوتون جوعاً وبصفي عليهم  
الأوبئة، والمجروب، في بفاع كثيرة من الدنيا.

وقد قال له جورج يوماً هذه الكلمات التي أفعته ضرراً:  
«أنت يا كرم، يامرت إلى موضع إيجابي، موضع مستند من  
القناعة، من الصبر، فأوقفت مهلة المنصب، وتخلصت من  
إغراءات الجنس التي رادت عن حذها. فرضت على نفسك مهراً من  
حساء ماسية كي تكسب ومع أنك لا تكسب، كما نقول، لسبب  
معي لا أحبه أنا، فزنا الأعمال بالكاث. ما دمت في الطريق  
السوي فكل شيء سيصير. سكب. تحترق الآن تحارب تكتسبها  
في السفل. هذا شأنك، أنت تغير بين ما يجب وما لا يجب. هذا

يرجى بدمي حياء التركي أهما عن محدثك عك يقول  
صيا إن روح ظلم حكمت التي ما مرال محوم في قضاء بك  
سنتجك وتلهك

وقال له: في يوم آخر «إسي» كرم، لا أويل إلى مالمالك  
كانت عدي بروشكا اسي، بكت شك طويلاً فاصلت بك  
محولاً أن أصلح بينكما فرصت إياها تحبك بادا أدبت حتى  
تدفعها عن هذا النحو؟ ألا تحب؟ وقال كرم: «المألة، يا  
جورج، ست مسألة حب»، «مسألة ماذا إدس؟»، «لا أستطيع أن  
شرح نفسي»، «يجوز مرج أدباء غير أنني أقول لك عن  
قباعة بروشكا تحبك، وهي حبه، وستكون روعة طيبة فكر  
في ذلك»، «فكرت ففكرت طويلاً أن من أنزوجها، وفي ألهو  
ب»، «أنت لديك ابرجكا»، «ولا هذه أهما العيش لا يتامي  
مع الاستقامة أن تعيش هذا ضروري ربي أعيش لت جدتاً  
عن نحو عارم في نفسي حب بيع الكوب، لكنه لا بيع أبا من  
هارة يسي نصته، أو يعيش دون قضية أهم شكواك إدس،  
وأشاركك فيها، لكنني أسألك شيئاً واحداً أن تقنع بروشكا أسي  
أعزها ولا أحبها هذا كل ما في الأمر»، «وما العرف، إدس، من  
المرء واجب؟»، «هناك فرق أعني من التزوج أنا مزاج  
هكذا صاحب يوماً، صاحب مجنون، ولكن متى؟ أنت أدري  
ربما لم أشر على تلك المرأة بعد»

«نصالح ابرجكا المعاجي» أيقظ العو طم والمواقف والكلمات راح  
يستبدها منمطاً، كم يو أنه يتدوى لقنه طيبه إبه راض عن نفسه  
على نحو ما لقد وضع الاملاق في الوقت المناسب ربما لم يكن  
مراً فاقاً بالمعنى الثام، لكنه كان يراه كذلك، يرى انصاره في وقته

انصاراً ماجداً وحين أرسل، الليلة، سنه الزهور إلى برجكا،  
قال في نفسه: «لو أن هناك من يوصل لي سلة الزهور إلى القمرا» كان  
رحماً، مرهواً، وبرعبه في الدعاب، هف إلى صديقه البارمان  
ميرانش قائلاً: «أيا الهي العظيم، يا أروغ السماء في بوديست  
كلها، هل تعرف من يوصل لي سلة زهور إلى القمرا؟» قال  
ميرانش: «أب تعرف أسي أرسل جوراً لا رهوراً»، «في هذه  
الحال، أنت بحاجة ربولع يا صديقي»، «وما هو عنوان عاهرتك  
أب العجري؟»، «أكتب لديك القمرا، شارع الموت، جنبه  
القمرا»، «ومنى صمد إليها أنت أهما؟»، «أدس أصعد إلى أهما  
مكان»، ليس لي جاسان، كل ما أستطيعه أن أتي إليك ليلة  
الث، احمر لي مائدة» اتصل في المدة ببرجكا كانت ما  
مرال في إجازة راحة بعد القمرا، وكان كرم قد اتفق المخرجه  
حبها بأدب كبير كاسب معرفها قد رادت عن المعرة  
نفسها روحها العينة القبة أسرته، وكان يشعر بالنعصر،  
إبه لم يذهب إليها سلباً، وقال لها مصدراً: «أنا، يا ابرجكا، كما  
تعلمين، ما رلت أعيش أرمتي» وقالت ابرجكا: «وبك الصيرة  
بروشكا؟»، «إسي ما يسا»، «وس هي صديبك الآن؟»،  
«أنت»، «ما انت لا توديني أن أصدق»، «أليس كذلك؟»، «صديقي ولكنني  
عدت بكامل عطي من الرحلة»، «أد لا أفرح بأمر عديك مساء  
الث حبر مائدة في مرضي جد أرجو ان يسبح وقتك  
مصول دعوتي»، «ألا تكن تأجل ذلك؟»، «لا يمكن يا صديقي،  
أرجوك» وأجابته: «انصاء»

نام بعد ظهر السبت إلى الغيب، رأى حياً عربياً، ألقى نفسه  
في مركب شراعي، وسط بحر هائج كان معه خلق كثير، وكان

بعضهم يركب، والرووف يحفظ فيه الأمواج ويدأب الماء تمر  
السمح، وعشاً راح الرجل بجاذبون صلاح النلوع، عكل شيء  
يسرق، وكل شيء يهدر، ومن حول المرك ظهرت أسماك عريه،  
لما أحسها وأرجل، وأيد، وسحات قرديه، كات عند نكها دات  
الغالب، وسرع الركاب واحداً بعد آخر، وبصهم في الماء، حتى لم  
يبق سواه، وطمح بصرع، وسط الريح وانظر منك القروود  
المسكية، ممكاً بصاري المرك، صارخاً في طلب الحدة، ومجاء  
رأى موجة كبيرة مضمه سدحرج قادمة من الأعماق، فأعصر  
عبيه رجلاً، نكه حين صحتها، رأى امرأة عيس عن صه  
الموجة امرأة عيس أحل منها بين الماء، مذت بها الب،  
وسحبته من الدوب، واستطاع، وهو يهبط معه، أن يني على  
الماء، وأن يصد الى امرأة التي انتهت له، انتهت كيا جبة  
التمر عاتاً فصاح فرحاً، أنت؟ وأعان دون ن يني جواناً  
ظل مسكياً بهاج عدم يميني خارجي وراء جاذبي كان  
سعيداً الى درجة لا يصدق، وكان يمني لو طال بعد، لو نغمس،  
وحين يهي كان ما يرب تحت تأثيره، فأعد نفسه صفناً من العيوه،  
ثم اغسل، وشرب كأساً من الويسكي المثلوح، ساع طعمه كأنه لم  
يدق مشروباً بهذه العذوبة، وفي السعة النامه عادر الب، وسار  
متنهلاً الى بيت ابرجكا

طرق الباب منتهماً، وصاح حين فتحه  
أقبلك! قالها على الطريقة المجرية وهو يذ يده

فعلت بيرة حارة

- سرعوس كرم (وأعطته خدداً فبقله) كيف أنت؟ ماذا فعلت  
بباني؟ هل انفصلت جدياً عن تلك الصغيرة؟

جدياً يا عزيزي، تحصى شهو ولا أراها

فالت صاحكة

- لولا أنني أعرف، لقلت إنك رجل كذاثر الرجال، فسوت  
على باب منتهماً، وصاح حين فتحه.

- أقبلك! قالها على الطريقة المجرية وهو يذ يده

فعلت بيرة حارة

\* سرعوس كرم (وأعطته خدداً فبقله) كيف أنت؟ ماذا فعلت

بباني؟ هل انفصلت جدياً عن تلك الصغيرة؟

جدياً يا عزيزي، تحصى شهو ولا أراها..

فالت صاحكة

- لولا أنني أعرف.. لقلت إنك رجل كذاثر الرجال.. فسوت  
على بروسكا بالانفصال عنها.. ماذا أدبت المسكية؟

- لا شيء، وهذا يا بؤلي في بويه طويده وسمره من محاسبه  
النس، قررت أن أثوث من اللهب يا.. وجدت ذلك مسطفاً، ما  
دمت أروغب أن أكون صادقاً مع ذاتي.

- وصدعت مع هذه الدات؟ ألم نساخر غيرها؟ أليس لك فتة؟  
امرأه؟ قل، ما هي أخبار متحمك؟ ولكن، قبل ذلك، ماذا  
تشرّب؟

- كأساً من الويسكي مع الثلج، ادا كان متوقراً، كيف كانت  
رحمتك؟

- موصه جداً خاصة في باريس.. هاك يتدوقون العى.. يا  
لنديه العاده! اشركت في مهرجاني للأصية، وكان تقدير  
الأصية المجرية جدياً.. لديا، في هذا البلد، ما ساهي به

- لديكم أشياء كثيرة تباعون بها - لكم أحب بودابست يا  
 يرجكا أشتر فيها وكأني في وطني  
 - ومع ذلك تشكو ترخص الإقامة الدائمة  
 - هذا ما يعني.. إني لا أشكو، ولكن أن أبيع!!  
 أبيعك قافلاً.. حين يكون الزره خارج وطنه برغفه، يارس  
 إحصائياً بالسمي.. حدثني عن هذا الشعور بعض الجريين النصارى ليعلم  
 في أوروبا وأميركا حلال رحلتي لا يمكن عكر المراج لا تصح  
 المراه.. ولا تقصر نفسك على الكتشاة إني، حين أكون تعباً،  
 لا أعني، وإذا عطش لا أكون ذاتي يكون ذلك مفتلاً، كمثل  
 تؤذبه نكتك لا تحت أي سهر اللبنة؟ لاحظ أي لم أسهر  
 خارج البيت بعد هودني. وكنت سارعس، بولا أي أريد أن أصح حجة  
 لصديقي الكاتب الذي لا يكسب، ولا يحب، ومحاسب معه  
 ويجدها، لكنه، البيلة، سيكون طيباً معي أليس كذلك؟

في مرفس «أم كي» وحسب جيا البارمان فيرنس ترحيماً  
 حاصر كل يد ايرجكا أسأب أن يمل في مكبر الصوت أيا  
 موجوده في الصالة، غير أنها رفضت ذلك كانت تعرف أن الرخص  
 غير لمعي، وأنه مكان لا بأس به، لكنه دون مساوها، ولا تدري  
 لماذا فصله كرم. وحين شرح لها أن ذلك يعود إلى صداقته مع  
 الدرمين فيراسس، ربت على يده الموصوعة على الطاولة، في لغة  
 تصامعة، ما دم الوفاء للصدقة هو الذي حله عني أن يعمل ذلك  
 قترح كرم أن يو هلا شرب الوبسكي ما داما قد بدأ بها، ظم فابع،  
 لكنها، حين جاءت رجاجة «دليل» كاملة، رجعت كرم ألا يكثر  
 قال

- أشتر بقاط للشرب الليلة

- مها يكن، قلها في البيت ما سوف يشربه بعد العودة أم  
 تريدي أن أرجع وحيدة؟  
 - لقد أوصاني صديقي هيرانتس ألا أكون عجرباً وأحب أن  
 هودني صاحباً ستكون مصونة إني فرح يا ايرجكا.. مرح بك  
 الليلة

- ولكنك تحتاج قليلاً، ككل أصحاب المسامية المفرطة هل  
 نزلتي غير حركة حرك في؟ إنك، معي، علي ما يرام. أتعرف  
 لماذا؟ لأنك لا تحتاج إلى الكذب، ولا أنا أطلبه. أتعرف حجم  
 علاقتنا، وبوعها، كلانا ترك سأل الحب جاباً، وهذا أصل معي  
 مطيح أن يكون صديقاً بعير حرج است غير ملرم حيدلي بني،  
 اسوعب مثعرك حين تتألم، تصب، بشك في الآخرين، نعان  
 إلي. المرأة أغوى على الصداقة من الرجل

- لكسي، في هذه الحال، سأكون صديقاً لك.. إني، أحياناً،  
 أكاد لا أفهم.. لماذا تتدفق علي كل هذا اللطف؟

- لآسي أريدك هل أنا عاصنة؟ ألا يعرف الرجل أن بأعد  
 الأشياء ببساطة..؟ تعصبي، هذا كل ما في الأمر.. أنت، تلك  
 الليلة، أردت أن تدفع.. نصرتت بمقلية رجل تجاه امرأة، لا  
 ألومك، حتى عندما، لم تنتب المعصية المذكورة. أنا لم أدفع لك  
 هذا يعني إلى المقلية إياها. أنا أكثر حذيرة.. أكثر حصاراً،  
 وموقفك معي معبار.. موقف الرجل عن المرأة سيار حصارته..  
 وأنت، حتى الآن، اجترت نصف الامتحان حين لم تطويبي عني  
 اسمك، لم تعتربي، حتى بشار الوفاء، وكما يعصم الرجل، ملكاً لك،  
 عطمة من متحمك.. وهذا برصبي. لقد هزمت كثيرين قبلك،  
 وكل رجل، ما أن ينام في فراشي، حتى يمتير عومي معه، التراماً

تجاهه فهو يعرض نفسه عليّ، أو يحاول ذلك على الأقل.. وبين هؤلاء مَنابون، أو يرمعون بحكم المهمة، أنهم كذلك.. أنت، وربما بسبب أرميتك، لم ترتب لنفك أنما حق عليّ.. دعني، إذن أشكر أرميتك.. فلعلها أن تكون دليلاً على اختلاطك من الآخرين.. إن فناناً عاقلاً، مهتماً، جذاباً، جيسوباً، لا يلاثم مرآجي في الفن شيء ما رُئد من الفن، أو على الأصح شيء ما ناضى عن العمل، وهذا ما يجعله حاراً أكثر، محبوباً على نحو ما، وأنا أنعم من البرودة ورجاحة العقل، الرجل العاقل على ما صديقي.

بعث فيرانتس بطاقة زهر. جاء في آخر البكرة وسأل عما يظنيان مارج ابرجكا بقوله

- صديقي كرم فخري، أو من رمرة العجبر، أو من الذي لديهم استمدادات فخرية أحذرك منه..

- ليس ما يكون.. العجبر أيضاً طيبون، وبمصرهم طرهاء، ولكن ماذا عن؟

- لا أستطيع أن أقول.. هذه دعابة..

وقال كرم حين انصرف فيرانتس:

- ينهمني بأني أرفع رجلي المرأة أكثر مما يجب

صحكت ابرجكا

- لم ألاحظ ذلك، وبمضي سبب حل رفع رجلي المرأة ما أكثر

ما يجب علامة فخريه؟

- هو يرمع ذلك.. بمعد المسع.. التواقة.

- وأنت؟

- لا أذكر أنني كنت شراً..

- وماذا في ذلك؟ كن يا صديقي عجباً الليلة أريد، إذا

كنت تعرف ذلك، أن تارس الحب معي على الطريقة العجبرية انظر هذه كأمي الثالثة.. وأنت؟ أريدك صاحباً كما وعدت - لكي أصبح عجباً حقاً يجب أن أسكر..

- ولكن ليس الآن. كن ما جلسا في هذا الوكر.. لا أرفع في الرقص.. ها

في بيتها عراها بيديه، وعدّها ألا يكون عجباً قبل أن يصرعها استلب كحواء. كانت أممي لا هورية كاملة، وكانت لأممي رؤوس تطل من منامها. كانت سرّتها شفاء. وكانت حليتها وردتين، صفرجنين. وقال لها: «تأتي.. أريد أن أشرب قليلاً أيضاً.. لا أدري لماذا أحس بأني مفارقك... حصلت اليوم، بعد الظهر حلاً عجيباً.. رأيت جنية الفجر..» قالت وقد نطقت ورفعت ذراعها إلى أعلى ما الإبطان، وبان السبق وهي تعصّ عن تصفها في حركة تعطر شهوة «نحني حبيبك يا صديقي هذا هي جنية الفجر أمك لك كل جسمي، معط احذر وجهي، احذر عيني، لا أريد علامة عليها.. لا أحب فضائح الجنس»

في الصبح، حين أفاقا، دلّته أكثر من المتاد، شاقها أن تكون سيّدة بيت، وأن تعدّ الإفطار. سقته عصيراً أولاً. وسألته كيف يحصل البصر، وعدّها عرض عليها البعدة رفضت. كانت تبيع مريّة مرهرة، فوق معطها الحريري، وقالت له إنها سعيدة لبعدها إلى جانبها، لعدم هربه كالنمر الفاصية، وعلى طابوقة الإفطار أخبرته أنها حطّعة، وتلمرء الثايبه، وذلك لأنها لا تريد لأنما رجل أن يسبّحها.. وما سبّح حليلة الطلاق أنها لم تنجب.. وذلك، كما فهم، مأساتها.. لقد كانت، هي الأخرى، تعيش مأساة خاصة



وقبل خروجه، سأله بلهجة جدّ طبيعية

- سمعت الأخبار أمس؟

- أبدأ - ماذا هناك؟

برّدت قليلاً، أدركت أن كرم لا يتابع الأخبار الحرة، ولا يقرأ الصحف أبداً، كان مرعجاً من تحيرة مكتبه كانت تحبس ان الوضع خطير. وأنه يجب أن يعرف. قالت طامه

- ولكنها الحرب!

قال دهشاً

- كيف؟ بين من ومن؟ ولماذا لم تخبرني مساء؟

- حينك تعرف.. ثم لم أشأ أن أفسد هجرتك.. (فصحت)

الأخبار مشوّعة - الحرب متوحشة بين العرب وإسرائيل ليساً سمياً بشرة الأخبار هذا الصبح - فقال، محاول النفاط أنها إداعة لا تنق

لكن كرم كان قد استبدّ به قلق غريب، لقد يارجه قدم قائل، صد الام لم ير جورج لم يسمع الأخبار ويبها الحرب موشكة على الوقوع، كان هو في أحضان امرأة اللثة على العربة! إعرأها كات أقوى منه، برغم كل ما بدله بسفادى الاملاق صاح وهو يودعه

- هلّي أن أذهب.. يا لي من جاهل كبير..

ابطلق من الباب الى الدرج لم يسطر المصعد. فصر الصراجات عائداً الى بنشور اوتسا، وهالك، في بيت جورج، كان بصعة طلاب، وراديو ترامنتور من المحم الكبير، ووجوم يتيم على الوجود أحسن أنه جاء ساحراً كان ضيه، هو كرم الجاهدي، أن

يكون مسجاً للأخبار أكثر من مواء. وإذا كان كمشقم، يتم بالبراءات الأدبية عون تحولاً خطيراً عن هذا النحو في الوصف العربي، كان جذيراً بأن يلمسه، وان يجعله يهر الليل في النواصر مع ما يجري، وما يطرأ من تطوّر، تزداد فيه حدة التوتر الى درجة الحرب، لكنه، بدلاً من ذلك، يهر في الرقص، لهذا يدا وكار شعوراً بالذنب يلبسه، وكان بطبيعته، البالة الى التلذذ بتل هد السوم، مثلاً يتسكيت الصغير، لكن جورج، الذي صبح نه الباب، وسأله عن الحديد في الأحبار، أعلى أمام الجميع ان التطورات كانت سريعة، ولم يكن بالإمكان، لتصدّر النفاط الإداعات العربية، سوى الاعتقاد على الاداعات الأجنبية واكثرها غير موثوق، وهم الآن يتظرون ما تقول الفاهرة ودمشق

قال طالب يعرف الاسكنيزية

- عبدالحاصر طلب سحب القوات الدولية من شرم الشيخ وأعلن التصب

وقال آخر كان لتوّه في المظارة

- حضرت هيئة الأركان المصرية السورية اجتماعاً مشتركاً، ووضعت القوات في البلسن في حالة الاستمرار المصري وعال جورج

- اجتمع رؤساء ووايط الطلاب العرب ليلة أمس، وتحرّروا عقد اجتماع دُعي إليه جميع الطلاب العرب الذي يدرسون في بودابست وقد تحدّد موعد في المركز الثقافي المصري السبعة الخامسة بعد ظهر اليوم

تحرّو كرم أن يشارك في الاجتماع برغم أنه ليس طالباً. سأل جورج عما إذا كان ذلك ممكناً فأجابه أن حضور الاجتماع مباح

للجميع دارت، بعد ذلك، مدقته حول التطورات، وحول ما إذا كان العرب على استعداد للمعركة، فكان رأى الأكثرية أن مجرد طلب سحب القوات الدولية من شرم الشيخ يعني أن مصر وسورية مستعدتان للمعركة جيداً. وأعلنت القاهرة، بعد قليل، أن القوات الأردنية وصلت في حالة الاستعداد أيماً، وأن ثورات عسكرية، بموجب مساق الدفاع العربي المشترك، تدور في العواصم العربية وقد كرم عن كل عربي في الجيز، أن يذهب إلى صدرته ويضع يده تحت صدرها، ما دمت السيارات العربية في يودايت هي المراجع المختصة لبيت في أمر سفرهم واشتراكهم في المارك عند شوبها لكن جورج أبله أن هذا قد حدث، وأن السيارات العربية أبلت وأعطيت أرقام المواقف، ونحى الآن تحت الطلب

م يحدد كرم، طوال ذلك اليوم، إلى بيته، بعدى عبد جورج وبعد الظهر رافعه إلى الاجتماع، وهو وجد حشداً من الطلاب، وبينهم المعلمون النقيبون، وكان طالب مصري يدرس الرسم قد وضع خريطة لنوطن العرب، أشير إليها إلى فلسطين المحتلة - إسرائيل - بالنون الأسود ورسمت أسهم بالأحمر، على نحو ما في الخريط العسكرية، تنجعه رؤوسها من سبيلها واجدولان والصفة العربية إلى إسرائيل، ثم تكلم شخص لا يعرف كرم من هو فقال: «إن سحب القوات الدولية من شرم الشيخ يعني إزالة الحاجز العازل بين القوات المصرية والإسرائيلية من الجنوب هذا معناه أن المادرة بأيدي العرب، وأشار إلى الأسهم كمسطلق للجيش العربية التي تحيط بإسرائيل إحاطة السوار بانهم، وقال: «إن العرب يمدون ١٥٠ مليوناً، وأن القضاء على إسرائيل مؤكد هذه المرة، بعده تكلم آخرون بلمسى منه، والثمة بسبها، ولاحظ كرم

من مرحا عاماً بقرب الخلاص قد شاع في الوجوه، وبعد لا جناح عاد إلى بيته يحاول عبثاً التماس أيها إداعة عربية في الرد وهو الصمغ والندج للوجود في غرقه

في الصباح اجتمع عدد كبير من الطلاب العرب السوريين في بيت جورج وفي القصص خرجوا إلى المدينة ومعهم الترانسور. كانت الحرب قد بدأت، وكانت صوت العرب يدع البلاعات، وهي منجعه، لكن الإداعات الأجنبية كانت تبت أخباراً عميقة، ومع تقدم النهار تبيل الموقف، لكن جورج، وكرم وصباى التركي، وحسن الإبراني، وكل الذين تجمعوا في حديقة الباء الودعة كانوا يكذبون أبناء الإداعات الأجنبية، وخاصة إداعتي لندن وصوت أميركا، ويشتربوها حرباً نصية لصالح إسرائيل، ولكن للمصوبات العربية

بعيت الحال كذلك إلى الساء ساء العائلات العربية في بنزور أوتسا أعددوا طعماً للمجتمع الذي تكاثرت عددهم، وكانوا يخرجون ويدخلون، وفي كل ساعة خبر جديد، لكن البلاعات العربية كانت تبت على الأطلسان وهكذا انتهى اليوم الأول والثاني وفي اليوم الثالث، قبل الظهر، عند اجتماع كبير اشرك فيه الطلاب العرب الموجودون في يودايت، والذين قدموا من جامعاتهم في المدن الأخرى، وحررت اتصالات مع السلطات المصرية، فودعت على خروج مظاهرة سلمية تأييدية للعرب، شارك فيها عدد كبير من الطلاب المصريين والأجانب، وخاصة من السيارات الثلاث، وسارت حاملة اللاصات الكبيرة، والأعلام العربية والمصرية، وعلى رأسها تمثلو الطمة وكرم، وصباى، وحسن، ومهي، ورسم دأمو الإيطالي أن يدع حظته وأهنته، وكذلك تحرب كبرياو، وكان لنلسون

الإسرائيلي موقفه معارض، لأنه لم يتأكد بعد من أن هذه الحرب عادية، ولم يعرف من كان البادئ بها

أمام السفارة الاميركية خطب ممثل الطلاب المصريين، ولم يتطع جورج الكلام بسبب موبة ريو معاجنة، فامرح الطلاب السوربون ان بخطب كرم فعلم، ثم تلاه آخرون، ولم يتح لصياح وحس أن يتكلم باسم بنديها، وكانت الكلمات كلها نذرة لإسرائيل واميركا، وتؤيد الموقف العربي ضد الصهيونية، وتعلم الدعم الكامل ولاستعداد للمشاركة في القتال، وخطب رئيس اتحاد الطلبة المصريين ممساً بموقف بلاده المؤيد لنصال العرب ومعداة القضية العربية، وفي وسط هذا غشت اغائل من المتظاهرين، أحس كرم بيد تقبص على ذراعه وصوت يسوي يقول بالعربية:

- براهو كرم، كنت رائماً يا عربي!

- وصاح كرم دهشاً وهو يلتفت الى مصدر الصوت

- يبروشكا! ماذا جاء بك الى هنا؟

- الذي جاء بكل هؤلاء الطلاب.. حرّضت كل الطالبات وشركي في المظاهرة - وأسس رست بعض اسمعات وعلقها على جدران الكلية. (إني ممك يا كرم..)

وقال كرم:

- شكراً يا يبروشكا! يا عربي يبروشكا.. هذا جيل منك..

يسرني ان تكوني مساً..

قال يبروشكا وهي تشير الى جدار مقابل المظاهرة

- انظر ألبوش.. انه مع التلمزيون الجري يخل وتافع المظاهرة

كان اليبوش ضلاً هناك. كان طويلاً، بارزاً، يتكلم في سكرة للسجل، وكان مصر جيل عن الرصيف، وكانت المحبة، من خلال الفتافات، تشعل جوانب اللياسة، وغالب على الاكتناف يتنو «ردية» والريح تحمى باللائعات والأعلام، وبعد ذلك توجهت المظاهرة الى السفارة المصرية، وهناك انصمت

ومن جديد، في المساء، احتشد الطلاب في بيت جورج، جاء بعض الطالبات والطلاب الجريين ايضاً، استمعوا الى شرة أخبار التلمزيون، وأوا الى شاهد من المظاهرة، لكن الأخبار، من الإداعات الأخرى، اردادت سوءاً، وقيل إن إسرائيل تتقدم في سيناء، وان اليهود المصريين يتراجعون أمام قواتها المدرعة، ونظر الطلاب العرب بعضهم الى بعض، وخرج كرم الى الحديقة، لا يريد أن يسمع ولا أن يصدق، وجاءت اليه يبروشكا، ولم تتكلم أمام الحزن البادي على وجهه.

بعد ذلك رعت الاحداث. كانت تراكص، تنداخل، تتطور، شبة بالتندفات أخاع سوداء على بعضها في قمص رجاسي ولج النهار في الليل، والليل في النهار، ولم يدق كرم طعم النوم، شى لحراب على روحه، داس وحيد القرن على صدره، أخلت من الجدران رؤوس شياطين كما في الوجوه الرخية لأويرا بكين كل شيء بدا عربياً، غريباً، ممناً، يكثر من أنياب جسيكية ينفقه كما السمريت الذي أملت من قمم، ومئات الكلمات، مئات الأسئلة، مئات الأجوبة، راحت تترقد في بيت جورج الذي أصبح بيتاً للجميع، لكل الذي جمعت بينهم النكسة، وحلت عليهم، وخطتهم، من رجال ومساء وطلاب وأولاد.

وفي ختام اليوم السادس بلغت الأداة ذروتها القوت  
الإسرائيلية صارت على النفاذ. طلب وقف إطلاق النار. ثم إيفاء  
البر. استقال عبدالناصر، وبكت النساء. بكى بعض الرجال،  
وخرج كرم من البيت ليكي دون أن يراه أحد. قتل إلى  
الحديقة، وسما انطلق إلى الثوار، وزار على غير هدى. نمرت  
الجدران. الورق الملون الذي كان يستر بشاعتها مرتحة يد وحش  
مرعب. الكدبة الكبيرة تكتمت عن سائلة لا تنهي من الأكاذيب  
المربطة، والأسهم، والجيش، ولكم والخسوس ميمناً من الرب  
كل شيء. بهار كان كرتوباً وانهار الباء كان متداً على رمال  
أين الصخر؟ أين الإنسان الذي هو الصخر والباء، والقوة والبلطة  
وانتبدأ والنتهي؟ إنه، مثل كرم، صانع، نائه، ملاحق، منهم.  
مدان، والبالون الكبير، الصمم، المروق، المبود، أرسل في ساء  
فارعه، بميمه لم تكن إلا كشة رصاصية مصمط على النصور  
وحرته إبره، مسله، شفه مديه، فاسم، وبطائر شطاب، وظهر أن  
ما في داخله كان ريماً، مجرد ربيع، وسلاسل لا حد لها من قيود  
وتجود وتبود

لا يدري كرم كم من الوقت مضى، لم يعد يشعر بوقت ولا  
مكان. سود كل شيء. هذا قبعة سوداء مثل كدحان وغلاً منه  
وصدره وعينه، وبصر كدبه كله. وفي بويه من النمة التمله على  
كل شيء، وعلى نفسه أيضاً، عاد إلى بيه. دخل وفي حبه احمرار،  
ودمع، وحرقه، وكابت سترته مفتوحة، ورباطه صفة محلول، وشعره  
قد شمه الريح كان السواء الداخلي، لنس تألت لأنها اصطهدت،  
ونالت لأن مصطهدتها تألم بدوره، لوطن نفاه، ولوطن صار سمناً في  
هريمه، قد مجر في صدره ثوره على الخطأ، ولأنه لا يطيع نفاه

هذا الخطأ شيئاً، ولأن الخطأ قد انصب على الجميع، وتطلب منه  
من الجميع، ومنه قبل الآخرين، فقد اندفع، حتى دون أن يعلق  
الباب وراءه. راح يرق اللوحات، مجطم الحرق يمشر الأشياء في  
التحف، وجمع صحنه، حين واجه صورته في المرأة، وصربها بمص،  
بمص بالغ، قاتل، فتعطست، وشاشرت، محدثة دويماً شديداً، وسال  
الدم من يده، وسع وقع أقدام، بعد لحظ، وأحاطت به أذرع،  
وكان جورج، في مقدمة الدس صموه إلى صدورهم وبكوا. ولم بدأ  
انتفاضة الدمع، والنصب، والحرق، إلا حين أعلنت القاهرة أن  
عبدالناصر رجع من اسفائه، وأن الشعب المصري، الذي يظنه  
الكتلة الرصاصية، الشعب الطيب، الرائع، بعالة، وفلاحه،  
ومثقبه، وكسبه، وسائه ورجاله وشيوخه، قد خرج يهوف  
الثوار صارخاً في وجه الهزيمة: لا!

سواء كانت هزيمة حرب أم هزيمة معركة، فإن مرأتها فاقَت كل ما عرفه العرب في المِرية سابقاً في البدء سَمَوا نكسة لكن جرح هذه النكسة كان عميقاً، وكان وقعها في الحُوس، أتت به يوم الصاعقة الدهول، من بعدها، تطاول استعاق المسيع على واقع مرعب، ما حسبه شعباً كان ورماً، ما طَوَّه قوة كان ضعفاً، ما اصفرَّوه صدقاً كان كذباً كانوا كالسائر في اليوم، وحين، على شد الجرف، فتحوا أصمهم، وجدوا المقاومة سحيقة لقد حُدِّموا جميعاً من الذي خدعهم؟ من الذي صنع المِرية؟ على من الدِّب، بعد كل شيء؟ وقال كرم، في ذات يوم: «عليك جيباً» على الذي صادروا حرية الإنسان العربي، وعلى الإنسان العربي الذي سح لحكامه بمصادرة حريته، على «البفظة» التكبري، والاستعاق الصعدي، وخطب والبيات والإذاعات، وعلى وهم الرقم العادل للمئة والخمسين مليوناً، واللى، في حرَّ المعركة ضد الاستعمار والرجعية، حوَّلوا المِرية إلى صدور حواريهم، رجالهم، ظليتهم» وحين خطب عبدالناصر، مطناً «انتشاء دولة القابلات» أُرثست على الشفاء بسة شاحبة «بعد ماذا؟».

التأمة التي صارت في المِرية، حين أجهزة الإعلام، القلميون

في اللقمة، راحت تنشر صور الجود الحاربي في سبائك، لم يصر منها في المِرية. كان في عيون المِريين عصب فقط، كانت أسئلة كيف؟ ولماذا؟ ولأن؟.. ولفترة اضطر كرم إلى ملازمة بيته وقال جورج إنه يعمل مثله، وقال الطلاب إنهم، لأول مرة يجلسون من النظر في عيون حديقاتهم. هُتمت ابرجكا عدة مرات أجاب كرم على بعضها، مستدراً، بكثير من اللطف، عن أي لقاء، جاءت بيروشكا، فكيف جاءت لتشارك كرم صيته لا أكثر، وقال حس، جذباً هذه المرة: «ماذا حدث لأمة المِرية يا أخي؟» وصبا، التركي، عن باب المِرية، تحدث عن حرب الاستقلال، عن الأماني الوطنية الصائفة، عن النعوب التي لا تُدثرها المراتم، وقال أليوش «شيء لا يُصدى يا كرم! صور، الكارثة اكبر مما توقَّعنا؛ سباء، الصفة المِرية، قطاع مرة، الجولان، ما عدد؟ كيف حدث؟ القصب والإذاعات المِرية ثبتت أخباراً مرعبة» ومن النبك، نظر كرم إلى الحديقة: كان اداو في مكانه، ولسون بنياً، وهرأ كسبه الماركسية، وواصل كبرهانو لعب التنس، وظل للتعجب غريباً، مخطأ، مبعثراً، وفي رسالة مختصرة، كتب كرم استفائنه وغذنها إلى الحامسة، وأعلن، بصوت لا لون له، صوت حرم، مشهور: «أنا عائد إلى الوطن». وقال هادي «الصعب المِرية تنشر أساء مئات الألوف من البارحين، تتحدث عن سقوط الجولان والتبيطرة، وتيسب بالشعب إلى التفرع، إلى تقديم المساعدات المسكة، للأصدقاء الذين يتسمون إيباً في ساعة الهمة، وأن جداره المعجور، دق عليه الباب، حامله حفيه ملأى باللابس والأدوية، وقالت: «اعدوني، لا أعرف لمن أوجه هذه الحديقة، وقال جورج إنهم استدعوه، بصفتهم رئيس الرابطة، لبحث موضوع

المساعدات وأن المجر أرسلت كذا خطاً من الأدوية، والأغذية،  
والنظارات، وأن اتحاد الشباب، واتحاد الطلاب، والاتحاد النسائي،  
والمنظمات، شرعت بجمع المساعدات والتبرعات، وأنه اختير عضواً  
في لجنة استلامها لتنظيم إرسالها إلى سورية

اتفقوا بعد ذلك على أنه يسمى عليهم القيام بواجبهم. دعا  
جورج إلى اجتماع عقد في بيته، حضره الطلاب والوجودون في المجر  
من السوريين، وشارك فيه كرم، متحدثاً كرسياً في أنصبي القاعة،  
متأثلاً، مثل جورج لأن بعضهم لم يلب الدعوة، مع أنه كان يعدر  
ألا أحد سيتغلب، ولا أحد يطاوعه وجدانه أن يتغلب. وبعد أن  
شرح جورج الموقف، والسكينة الخطيرة، ومئات ألوف البارحين من  
الحوال، ومدرة المجرى لتقديم المساعدة، قال إن الحياة لا بأس  
فيها، ولا يجب أن يكون، الحاضر يمكن نمويها، الأراضي التي  
احتلت تحتاج إلى مجال لتحريرها، لكن ما هو أهم، ألا نكون أقل  
من المجرى مبادرة إلى المساعدة، يسمى جمع مبلغ من المال، يرسل  
به أدوية إلى الوطن، أو مواد غذائية للبارحين، هذا ينطلق من  
السلب إلى الإيجاب، من الدموغ التي درساها، إلى العمل الذي  
يرفع من قدرنا في صيون المجرى، ويصبح لنا أن نشارك وانصباً في  
تخفيف آثار النكسة، والاستعداد للمستقبل

كان يتكلم بوهي، وبهي الجمل ينسخ من مصغره المطاطة الهواء  
في فمه لتسكين الربو، وساول ورقه وثلاً، لتدوين الملاحظات  
والامتحانات. تكلم بعض الطلاب تكلم جورج ثابتاً معباً، كان من  
رأيه أن الطلاب العرب اعتادوا أن يصلوا تملاً ليربحوا بعض  
العمود في الشتاء يشاركون في رفع الثلج المزاح من الطرقات،  
وفي الصيف في قضاة الفاكهة وجمع الخضروات، ولكن هذا عمل

خفيف. الآن، في حزيران، ليس من ثلج، وقطب الثلج تسلياً،  
ولأجل الوطن، ولشطار المجرى، يجتهدون في تقديم مساعدة جيدة  
للنازحين من مواطنهم في الحوال والنسيرة، عليهم أن يعملوا في  
الباء. هنا يحتاج المجرى إلى أيدي عاملة، والأجر مرتفع،  
والخضيلة ستكون مخررة، تبين الوجه، وقد بحث مع المجرى في  
ذلك، فكان جوابهم أنهم يقدمون عاصمة الطلاب العرب نحو وطنهم،  
وهم بحاجة إلى أيدي عاملة، وهناك أعمال ترميم في القصر  
الأمبراطوري، الذي سيحول إلى متحف، ويمكن أن يربح أن يعمل  
به

استحسن الحاضرون هذا الرأي. أهدوا حامية أيضاً شرع  
جورج بتدوين الأساطير، فلما فرغوا تكلم كرم لأول مرة:  
- سجلوا اسمي معكم..

انتمد الجميع إليه الاسد يطلب العمل في الباء، وفي مثل  
حصره يدها اللسان يموتاً على العلم فقط، لتنظيمات تحمل عمل  
صعب في الباء. قالوا:

- نقدر عاطفتك يا استاذ.. لكن في مثل سك، وأنت كاتباً،  
لماذا نشاركك أن نحسب اقترارك مشاركتك نكون في الكتابة  
لا في الباء

قال كرم

- لا كساية قبل العودة إلى الوطن.. أنا عائد إلى الوطن بعد  
شهر على الأكثر، لقد استقلت من الجامعة، وأوغت برنامجي  
الأدبي في الإذاعة

وقال طالب

- ولكنك، كما معروف.. (ولم يكتم)

- همت .. ومع هذا سأعود. هاك، كما قلت، يمكن أن أكتب  
قد تكون كتابي مساهمة في خدمة الوطن والمجتمع، وقد لا تكون،  
لكنه الواجب على كل حال.. ها لم ألتقط أن أكتب. ساحل  
غرسني الداهية، العقيمة، إلى تربة البلد، ها سيعاودها الاختصار،  
صديق، وتثمر، وفي جيبك ذلك يهون كل شيء.. أعرف الصاعب،  
أعرف أن الألم يضطري، إني أجب عن الألم، سأعلم أن أناأم.  
وسيكون لأني فائدة. اسمي كل شيء. الاب أعدت قرار  
سأعود. لكسي سأشارك في العمل معكم، سجلوا اسمي، هذه سأله  
معروف منها أيضاً جورج لا يمكن أن يمس في النار في حائه  
الراحة، كبريه بالربو. العمل في البناء ينهي عليه. اللثة  
هكذا جورج يدوم بهمة لانسال نانس لم يحضروا الاجتماع  
بصعهم في صورة هذا الاجتماع، بدعوههم إلى المشاركة في العمل، وبأي  
للاطلاع، بالإشراف من بعيد، أن أبا، وإذا واعمم، سأكون في  
المقدمة، اسمعوا، بحكم العمر والتجربة، أن أقودكم لأداء هذه  
المهمة

حين اسمي الاجتماع، ومع جورج وكرم وحيدى، قال جورج  
- ما كان يجب، يا كرم، أن تشارك في عمل صعب كهذا، وأن  
تكون على رأس الناس. أن أعرفك عادي. وبيع واكثر الطلاب  
يعرفونك، يدرونك، وقد رجوك أن تكتب، لكنك أصربت على  
العمل معهم.. لماذا؟

لأنك لن تكون موجوداً بهم في الورشة بسبب مرضك، ولأن  
العمل ثاق، وإذا لم يكن هناك من يتولى ضبط الأمور، من يكون  
قدوة، من يعمل بجد، فإن الآخرين لن يصلوا، والذين يصلون في

اليوم الاول سيعيرون في اليوم الثاني، أو الأيام التالية، متدريين  
بالمرض، بالسر، بالدراسة، بأي عذر.. وجودي بينهم، أنا الذي  
أكونهم كثيراً، سبب عرائهم، سيحرصهم على العمل، ويحملهم  
بمجلدون من التجربة..

- إذا كان ذلك كذلك فأنت على حق.. لكسي أرجوك اكتف  
بالإشراف

- في الورشة أقرر ما أراه مناسباً.. غداً صباحاً نجتمع عند  
ساحة الأبطال ومن هناك نطلق كما نحب، وأغلب الطلاب، كما  
أعتقد، يعرفون القصر الإمبراطوري، من يتأخر يبعثنا إلى  
هاك. أعطي لائحة الاسماء من هو المسؤول هناك؟ أكتب  
اسمه في اللائحة. سأقابله فور وصول الورشة وأدعه يحدد لنا  
قطاع العمل في القصر..

بعد الظهر انتفى بعض التحفد، وأرسلها إلى أيرجكا، مع  
بطاقة منه جاءت بروشكا التي أبدتها جورج أن كرم قرر العودة  
إلى الوطن. وأنه سذهب غداً صباحاً بمن في النساء مع الطلاب  
وأنة رفض إعادة المنصب إلى وضعه السابق، لأن إقامته في البحر  
انتهت.. قال لها، من باب المودة، إن كرم سيألم، إنه يعيش أزمة،  
وإهم اصبروا عليه ألا يذهب إلى عمل النساء الشاق مرصص، وقال  
لها «ادهي الله، كوي طبيعة معه اجنيه يتسنى قسلاً لا تحري  
أن يحول بيته ومن ما قرر عودته إلى الوطن أصبحت ضرورة أنا  
أعرف أنه سلافي بعض المناصب، وأنه سأنم، لكنه من إنه يبحث  
عن الألم. تصوّرني ماذا يدور في رأس هذا الصديق؟»

وجدته بروشكا يشرب يصفي إلى السموية التاسعة  
ليبتوفن. مجلس بين عراية من محويات متحمه. لا يسمح لأحد

بالدخول، ولا ينظمه النعم، ولا يذهب إلى أي مطعم يأكل  
بواضع، يطلب لكنه يشرب يشرب صامتاً كتباً هي، يحسها  
الأنثوي، يحسها الرائد، يحسها المبتلى، استشرت الآن مأساة  
حبيب، فكل من خدعها صدمها دخلت. وحسب بها كأنها يريد، قل  
مر، فما القريب، أن يكون لطيفاً معها إلى آخر حد. أن يسبها أنه  
فاطمة أن يحس لها معرفته. وحسب عرضت عليه أن ترتب أشياء  
البيت قليلاً، رخص كانت الرجاءات المارة على الطاولة الصغيرة  
وحولها، لقد شرب كثيراً في الأيام الأخيرة، وكان لديه، في بيت  
المؤونة، كمية من رجاءات النسيب، ومن الكوبيك، ورجاءة  
ويكي، وأخرى فودكا، وقال لها إنه سيشرب كلها. سيشرب إلى  
أن يأتي يوم الرحيل، وأب تستطيع من اليوم أن تأتي إليه ساعة  
تشاء، كصديقه، صديقه فقط، فالأمر أن يناد. إنني أعاقب  
بمسي.

فكرت ببروشكا أن تهتف إلى أيرجكا. إن يكون وجودها  
ملياً به فلتأت لن تقترن لن يمار لن تعصب ولن تهرب لكنه  
بها من ذلك، فإن إنه لا يسجل أي امرأة روائية محدودون  
ضياء، حس، فهمي، حبيب، ومن فقد سيكون مشغولاً، وسباني  
من العمل تماماً، لذلك يصدر من أسفل أحد في الليل أصاح  
- ببروشكا عدي أي قطعة من هذا المتحصب كندكار..

- لماذا؟ أنت لن تعود إذن؟ أمر الفراق جائاً؟

- أحب هذا..

- ألن تكتب إلي؟

- لا أدري

- ألا تفكر بدعوتي إليك؟

- لا أدري

- ماذا لو ذهبا معا يا حبيبي؟

- لا يمكن أنا غير داهب إلى البك كي تصوري

- أين ستذهب إذن؟

- لا أدري بالعصا.. غير أنني، لا أستطيع أن أعذك معي

إتمام دواشك أهم.. ثم ماذا؟ فتروج؟ أنت تعزبين رأيي

- جون تسع لي بالذهاب منك عداً إلى العمل؟

- غداً ستكون في الكلية، لا مساءً جيسا.. ماذا تستطيعين

أنت هناك؟ تعملين في رفع الأنقاض؟

- أصل كل ما يهلك تأخذ صورة طيبة هي

- أنا أخذ صورة طيبة منك.

- كرم أنت غير مفهوم، وستظل غير مفهوم. هل هذا لنسبتي

أكثر؟ لتجعلي أحبك أكثر؟

- أنا غير مهم على كل حال.. ماذا عدي من الغموض؟

- من محبة؟

- لا أحد

- لا أصدق. قلت مرة إن لة مداء مجهولاً بالنسبة إليك.

- كنت أخرج.. أحس ذلك أحياناً.. اسمي يا ببروشكا خلعت

مد مدة بحسب المص.. رأيتها كما في البقطة..

- تريد إقناعي بأنك محبون؟ فة امرأة تنتظرك قل من هي؟

- ليس من امرأة بعد.. أيرجكا فهمت مشكلتي أفضل منك.

إنني عاجز عن الحب، عن حب امرأة حتى الجسود، هذه هي

للشكلة

- نعتقد أنها ستحل في بلدك؟.. تنثر على المرأة التي



تأديك؟ أنا لا أصدق حكاية جنية القمر هذه..

«وأنا لا أصدقها.. عقلي يرفض خرافة كهذه.. لكن قلبي، عاطفتي، وجودي، كل ما في ضد عقلي.. أخشى أن تكون هناك جنية قمر حقيقية وأن أجنّ فعلاً..»

في المساء طلبت منه أن يخرج بها إلى أي مكان.. «تتكن جلسة وداع» قالت.. «وبعدها لن نراي، لن أفرص نفسي عليك.. وقال لها: «تفرّرت ألاً أعاد البيت.. ولكن إذا كنت تُصرّة على جلسة وداع فستقوم بذلك الليلة.. هيا بنا»

في نحو الساعة التاسعة كانا في بار «سيف» (القلب). كان مكاناً ليلاً صغيراً، وفيه موسيقى بسيطة: عازف بيانو وعازف كمان، وكانت، تلك الأيام، تروج أغنية: «بعد سواك عزيزي بيروشكا» فطلب عزفها، وراحاً، ممأً، بصبيان إليها، والصبى سوار حول القلبين، ودخان سيكارتته يتعالى ومادياً، حلزونياً، مزوجاً بذلك الهم الوطني الذي أناخ عليه، كأننا يتفاضد، هو دون سواه، فمن ذلك الميت، والتفريط، والمنجبة، وذلك القمع، والمصادرة، وتفرج الإنسان، ونفبه من ذاكرة الحكام، وعدم وجود الشعب في أي قرار يتخذونه.

وإذا رأيت بيروشكا إلى عزته أخذت تبكي، غسلاً: «ما بك؟ أليس سعيدة مي؟» قالت: «أحاول أن أكون سعيدة، لكنك حزين، صامت وأمرق أني سأفارقك، وهذا ما يبكيني» قال كرم، «لا بأس يا بيروشكا، أنا لست إلا عابراً في حياتك، لست إلا صديقاً سيحتفظ بذكراك طويلاً، لكنك، أنت، وفي هذا المجتمع الجديد، سيكون لك كل ما نطمحون إليه: الدراسة، والعمل، والزوج، والمستقبل.. ثمة رجال كثيرون، وشجعتين مع أحدهم

السعادة التي لم أستطع أن أمنحك إياها» وأجابته ودموعها تتواصل: «أجل هناك رجال كثيرون، لكن أين يمكن العثور على صديق مثلك؟»

أوقفته في الشارع، مثلها يوم التقى والطر، كانت المساء صافية الآن، نسيم عذب وقيق. أضواء، الحركة هادئة، الشارع طويل، على اعتداده، يتراعى، وليس من سائلة، عادت إلى البكاء.. قبلته وعادت إلى البكاء، قالت: «ألن نلتقي بعد؟» قال: «ربما.. سأهتف إليك يوم السفر، لكني، قبل ذلك، أفضل أن أبقي وحيداً، أنا وحراري.. وسأكون مشغولاً نهاراً، وفي الليل، حين أجد لحظة من قوة.. سأوضّب أهراسي.. أوصيت على صناديق خشبية.. سأبست بأشباتي بحراً، إلى مساء اللاذنية، وأركب الطائرة، إلى دمشق.

كان الليل قد انتصف، وكان المبني ساكناً، لكنه ما كاد يدخل بيته حتى فرغ الجرس. من؟ كان ضياء وحسن وغهمي بانتظاره، أبلغهم جورج ما جرى في الاجتماع، فقرروا المشاركة في العمل، قال ضياء: «لست المسألة بحجم ما نستطيع أن نوذبه، ولكنها مسألة تضامن، الروح الأمية يا كرم.. كان يقف وسط التفرقة، طويلاً، هزلاً، بكع، وشارباً يتهدلان على فمه، وسيكارة تحترق بين أنامله، «نحن، أضاف، معكم.. سأصل ولو ليوم واحد، هذا الزهو اللعين لن يعيقني.. أنت ستكون مشرفاً، جيد.. أعطني عملاً خفيفاً.. بعيداً عن الفبار..» قال حسن وغهمي: «نحن في صحة جيدة.. أعطنا عملاً صعباً.. هذا لا شيء، مستعدون للتبرع أيضاً، لا بأس ستخرجون من الجنة» وحينئذ أخذ ضياء قصيدة لناظم، بلغة تركية جميلة وفيها هذا البيت: «من الأيام السود إلى الأيام البيض»

توجهوا صباحاً إلى ساحة الأبطال، كانت كوكبة من التاليل تحيط نصف إحاطة بالساحة. كانوا يكامل قاماتهم، ويواجههم البرونزية، وفي المقدمة البطل الكبير، أرياد. ومن هناك، في القرو أولاً، ثم الباص، توجه الطلاب إلى القصر الإمبراطوري. كانوا حوالي ثلاثين طالباً، وكان المهندس المسؤول بانتظارهم، وقال يشرح عملهم: «في الطابق الرابع أنقاض أعمدة، أحجار، أتربة، أسياخ حديدية... مهمتكم أن تزيلوها. الأتربة تجمع في اللال الكبيرة، وتوضع في المصعد، وتفرغ في الباحة، حيث تنقلها الشاحنات، أما الأعمدة والأخشاب والقضبان الحديدية فتحمل على الأكاف، وتنزلون بها على الدرج، وتلقونها في الباحة أيضاً».

تولى ضياء عملية المصعد. كل دوره أن يعطي الإشارة من الأسفل، وهناك من ينقل لال الأتربة والأنقاض. كرم وحسن وقبلي صعدوا إلى الطابق الرابع، مع الطلاب، وشرعوا بحمل الأعمدة الخشبية. كان العبار كثيراً. نجح الأنقاض والأتربة آثار موجات كثيفة منها، عمل الجميع مجتهداً. جنة. لكن العبار خفتهم، كان كرم يلبس ثياباً خفيفة، وعلى رأسه قبعة تشبه اللباد، لم يلبث، منذ الساعات الأولى، أن نزعها ووضعها على كتفه، مع ذلك تسلخ الكتف. أحسن بنار كاوية تخرج منه. صر على أسنانه كيلا يشكو. صار يحمل على الكتف الآخر، لكن هذا تسلخ أيضاً. ولم يلبث الصعود والمهبوط أن أنهكا قواه. تجلّد ما استطاع، وعندما، في الساعة الثانية عشرة، دوت مطرقة النداء، كان التعب قد هدأ، تصدوا مطعم العمال. طاولات مستطيلة من الخشب، مقاعد خشبية أيضاً. لكل عامل رغيف من نوع «الصمون» وطبق من اللحم والخضار. كانوا جوعاً. أحسوا أنهم أشد جوعاً من أي يوم في

حياتهم. ويانتظار طبق الطعام التمهوا بعضاً من أرغفتهم. كانت شهيتهم متفتحة. وكان الطعام لذيذاً، أو هكذا وجدوه، وأكلوا بشاط، أتوا على أرغفتهم وأطباقهم، وبعد ذلك أشعلوا سيكاراتهم، فالتفت رؤوسها وهم يبتون منها بنهم شديد..

ضياء، مع الأسف، لم يستطع إكمال يوم عمله، العبار لطخ وجهه وملاً فيه وأنته، وعندئذ حاج سعاله، فبقي جالساً في الطعام، مراكناً عند قدم المندار، يداري ثعبه الذي هدم جسده المتضور. وحين دوت مطرقة العمل، لاحظ كرم أن بعض الطلاب قد تسللوا وهربوا. اشتط غضباً. قال للآخرين: «نصف يوم وهربون، أي وجدان هذا؟ آفة جديدة، وأي شعور بالمسؤولية؟ لكنه فوجئ، في اليوم التالي، بفتاب عدد آخر. صحيح أن طلاباً جدداً انضموا إلى العمل، لكن العدد أخذ يتناقص، وراح بعض الطلاب يجتنبون في زوايا الطوابق، ولم يجد بداً من الحلول على ضياء، على المصعد، كي يرى من يحاول الهرب. لقد كان إصراره على العمل في موضعه، لولاء لازداد الحرب، لكن وجوده، تجلّد، تفانيه، أعجل الآخرين، وهكذا بقي القسم الأكبر منهم، وكانوا، عند هودتهم في المساء، يهرجرون أجسادهم التعب، وكان كرم يستحم، ويشرب، ويبذل جهداً إضافياً في توضيب ما تبقى من متحفه في الصناديق.

الزبارة الأمل، التي كان يترقبها، وبتلقاها بفرح طفلي، كانت زبارة ضياء في بعض الليالي. يشربان معاً، يتحدثان، يحكي ضياء عن نضال شعب التركي، عن الفقر والجوع والقمع، عن البؤس في استانبول، عن البؤس الأشد في بر الأناضول، وعند الانتهاء، ينشد بعض قصائد ناظم حكمت. كان كرم بطرب، كان يجرن، وكاد، لولا الحياء، يبيكي، لكن القصائد كانت تبعث فيه عزيمه

جديدة، وروحاً حنوناً، على مواصلة العمل، وعلى التصحيح الفاطح،  
التصحيح الذي لا رجعة عنه في العودة إلى الوطن. كانت الجهر عزيزة  
عليه، صار يحبها حقاً، لكن الوطن كان عزيزاً أيضاً، وكان حبيباً،  
وكانت تسبب من قصائد ناظم روح إنسانية تضالية خارقة،  
وخاصة قصائده من الجن، وقصائده من المنى، وكان يستند  
ضياء، بكثير من الإلحاح، قصيدة ناظم عن أرض الجهر.. «سلاماً يا  
أرض الجهر، يا أنت، كرفيف، ملأى بالأسرار، ومنته مباركة  
أيضاً. سلاماً للنهارات، والليالي، والدوالي، والشاق، والأغاني في  
ربوعك.. لا يشع المرء من إنسانك، وحيالك، ونعمتك، وحرمتك،  
وشاعرتك وخرقك..» وحين يبلغ ضياء، من قصيدته، تربية  
الوداع، كان صوته يندو رغباً، فيه حزن وشجوا: «وداعاً، يا من  
أكرمتني أكثر مما أستحق.. وداعاً ورباً هدت، ورباً خان العمر،  
من يعلم، لكنني أعلم، أن يوماً سيأتي، لي أعلم، تسافرين فيه إلينا،  
وتسافر إليك، ويبرر بعضنا إلى بعض، كما نبرر حقيقة إلى أخرى..»  
وحين تنتهي القصيدة بنم الصمت، يظل كرم إلى النافذة، يقوم  
ضياء، بغير كلام، فيفلق الباب وينصرف. كان هو، لا ناظم، يودع  
صديقه، يودع الجهر فيه، والأيام الجميلة، وتلك السهرات الرائعة.

وفي إحدى الأمسيات، حين دخل كرم باب البناية، بشباب  
المصل، والفسار والسخام على وجهه وعنه وبيده، استوقفته  
البوابة، قالت له: «تعال، فمة من ينتظرك عندي..» استعملها أن  
يقتل ويهود، لكنها أصرت على أن يرى من ينتظره من قوده.  
وعندما أطل من الباب، اضطرب للمفاجأة، كانت هذه ابرجكا!  
ارتبك، مسح يديه على جني بطنائه قبل أن يصافحها، لكن  
ايرجكا صاحت:

- لا تخجل.. لا تمسح بديك.. أنت الآن كرم الحقيقي، كرم  
الذي ترك القلم، ترك المنصف، وذهب ليميل في البناء، لأجل شيء  
عزيز، عزيز كأكثر ما في الوجود.

اعتذر عن دعوتها إلى بيته، «كل شيء فوضى» قال لها. وعدها  
أن يزورها، لكنه لم ينف بالوعد. كان يتفادى المواعيد  
الدراماتيكية، ولا يسمح لأيا عاطفة أن تشبه عيا اعتراف. كذلك لم  
يتف إلى يروشكا. لم يخبرها بموعد سفره. أثر أن يكون الوداع بغير  
دموع، وفي نهاية الأيام العشرة، المحددة للعمل، تفرغ لتوضيب ما  
تبقي من أشياء، وشحنها، بمساعدة اليوش، بجرأ، وقطع تذكرة  
سفر بالطائرة، ولم يأخذ معه سوى حقيبة واحدة، ولم يثقل، بمئاد،  
أن تقام له حفلة وداع. قال:

- شكراً لكل شيء.. لكل المواطنين. شكراً يا جورج، وبيا  
جبل، وضياء، وحسن، وفيسي، شكراً لكم جميعاً..  
أضاف مازحاً:

- انتهت دراستي، أصبح أنني لا أعود بشهادة علمية، لكنني  
أعود بتجربة.. هناك، ربا، مأجد بعض المناصب، بعض المناصب،  
لكن القربة أغنى من كل شيء.. إنني كنت سعيداً هنا. كنت  
سعيداً معكم، ولكنني، ويرغم كل الظروف، سأكون سعيداً في  
الوطن أكثر.. هناك أرضي، وبيتي. هناك أهلي، وهناك سأكتب..

في المطار قليل باقة زهور من موديه، عاتق المسبح، وضع رأسه  
على صدر ضياء. كان المعجوز يسكن ويسكن هو أيضاً. وحين صعد  
الطائرة، صنف في نفسه: «وداعاً يا أرض الجهر»، واستسلم، طوال  
الرحلة، لتذكرياته وأفكاره الخاصة. وفي السابع عشر من أيلول، عام

١٩٦٧ كان في مطار دمشق. ومن هناك هتف لثقيته، وحين جاء دوره أمام شباك الجوازات، نظر مسؤول الأمن في الصورة، ونظر إليه، وقال له « لحظة!... » ذهب إلى « الفيش » وحين عاد طلب منه أن يقف جانباً، وجاء من أدخله إلى إحدى الغرف وأغلق الباب، وعندئذ أدرك أنه موقوف.

وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل أركب سيارة جيب. وضعوا القيد في يديه وأركبوه سيارة جيب، ولم يقل له أحد شيئاً، ولم يسأل هو، عن شيء.. وفيما السيارة تحني، نظر من فتحها الخلفية إلى السماء..

كان القمر مشملاً. كان القمر الكون بضياء أبيض. حلق فيه. ظل يهذي فيه، غيّل إليه أن في القمر نقطة يعرفها. أثمرت النقطة. ارتسمت.. ظهر ما يشبه الوجه، ظهرت على الوجه ابتسامة.. وابتسم بدوره قائلاً: « جنية القمر سافرت معي... » وأغمض عينيه على معاداة لم يعرفها من قبل.

(انتهت الرواية يوم ٩ تموز ١٩٨٣)